

(١٣٦٢)

إنكم إذا مثلهم

مسائل ومواعظ

من مصنفات العقيدة والتفاسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"عزا إذا غلبه. (فإن العزة لله جميعا) أي الغلبة والقوة لله. قال ابن عباس: (يبتغون عندهم) يريد عند بني قينقاع، فإن ابن أبي كان يواليهم.

[سورة النساء (٤): الآيات ١٤٠ الى ١٤١]

وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠) الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (١٤١)

قوله تعالى: (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) الخطاب لجميع من أظهر الإيمان من محق ومنافق، لأنه إذا أظهر الإيمان فقد لزمه أن يمتثل أوامر كتاب الله. فالمنزل قوله تعالى: (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره «١»). وكان المنافقين يجلسون إلى أحبار اليهود فيسخرون من القرآن. وقرأ عاصم ويعقوب (وقد نزل) بفتح النون والزاي وشدها، لتقدم اسم الله جل جلاله في قوله تعالى: (فإن العزة لله جميعا). وقرأ حميد كذلك، إلا أنه خفف الزاي. الباقون (نزل) غير مسمى الفاعل. (أن إذا سمعتم آيات الله) موضع (أن إذا سمعتم) على قراءة عاصم ويعقوب نصب بوقوع الفعل عليه. وفي قراءة الباقين رفع، لكونه اسم ما لم يسم فاعله. (يكفر بها) أي إذا سمعتم الكفر والاستهزاء بآيات الله، فأوقع السماع

---

(١). راجع ج ٧ ص ١٢." (١)

"على الآيات، والمراد سماع الكفر والاستهزاء، كما تقول: سمعت عبد الله يلام، أي سمعت اللوم في عبد الله. قوله تعالى: (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) أي غير الكفر. (إنكم إذا مثلهم) فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر، لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر، قال الله عز وجل: (إنكم إذا مثلهم). فكل من جلس في مجلس «١» معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية. وقد روي عن عمر بن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤١٧/٥

عبد العزيز [رضي الله عنه «٢»] أنه أخذ قوما يشربون الخمر، فقيل له عن أحد الحاضرين: إنه صائم، فحمل عليه الأدب وقرأ هذه الآية (إنكم إذا مثلهم) أي إن الرضا بالمعصية معصية، ولهذا يؤاخذ الفاعل والراضي بعقوبة المعاصي حتى يهلكوا بأجمعهم. وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات، ولكنه إلزام شبه بحكم الظاهر من المقارنة، كما قال:

فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقد تقدم «٣». وإذا ثبت تجنب أصحاب المعاصي كما بينا فتجنب أهل البدع والأهواء أولى. وقال الكلبي: قوله تعالى (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) نسخ بقوله تعالى: (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء «٤»). وقال عامة المفسرين: هي محكمة. وروى جويبر عن الضحاك قال: دخل في هذه الآية كل محدث في الدين مبتدع إلى يوم القيامة. قوله تعالى: (إن الله جامع المنافقين) الأصل (جامع) بالتنوين فحذف استخفافا، فإنه بمعنى يجمع. (الذين يتربصون بكم) يعني المنافقين، أي ينتظرون بكم الدوائر.

---

(١). في ج: موضع.

(٢). من ج وط.

(٣). راجع ص ١٩٤ من هذا الجزء.

(٤). راجع ج ٦ ص ٤٣١." [1]

"وقوته ورزقه ويقولون الخير من الله والشر من إبليس (. قال: فيكفرون بالله ثم يقرءون على ذلك كتاب الله، فيكفرون بالقرآن بعد الإيمان والمعرفة؟ قال: (فما تلقى أمتي منهم من العداوة والبغضاء والجدال أولئك زنادقة هذه الأمة). وذكر الحديث. ومضى في" النساء" وهذه السورة النهي عن مجالسة أهل البدع والأهواء، وأن من جالسهم حكمه حكمهم فقال:" وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا «١» " الآية. ثم بين في سورة" النساء" وهي مدنية عقوبة من فعل ذلك وخالف ما أمر الله به فقال:" وقد نزل عليكم في الكتاب" الآية «٢». فألحق من جالسهم بهم. وقد ذهب إلى هذا جماعة من أئمة هذه الأمة وحكم بموجب هذه الآيات في مجالس «٣» أهل البدع على المعاشرة والمخالطة منهم أحمد بن حنبل والأوزاعي

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٤١٨

وابن المبارك فإنهم قالوا في رجل شأنه مجالسة أهل البدع قالوا: ينهى عن مجالستهم، فإن انتهى وإلا ألحق بهم، يعنون في الحكم. وقد حمل عمر بن عبد العزيز الحد على مجالس شربة الخمر، وتلا" إنكم إذا مثلهم". قيل له «٤»: فإنه يقول إني أجالسهم لأباينهم وأرد عليهم. قال «٥» ينهى عن مجالستهم، فإن لم ينته ألحق بهم.

[سورة الأنعام (٦): الآيات ١٥٤ الى ١٥٥]

ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون (١٥٤) وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون (١٥٥)

قول تعالى: (ثم آتينا موسى الكتاب) مفعولان. (تماما) مفعول من أجله أو مصدر. (على الذي أحسن) قرئ بالنصب والرفع. فمن رفع- وهي قراءة يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق- فعلى تقدير: تماما على الذي هو أحسن. قال المهدوي: وفيه بعد من أجل حذف المبتدأ العائد على الذي. وحكى سيبويه عن الخليل أنه سمع" ما أنا بالذي قائل لك شيئا". ومن نصب فعلى أنه فعل ماضي داخل في الصلة، هذا قول البصريين. وأجاز الكسائي والفراء

---

(١). راجع ص ١٢ من هذا الجزء.

(٢). راجع ج ٥ ص ٤١٧.

(٣). في ك: مجالسه.

(٤). كذا في ك. وفي ب وج وز وى: قيل لهم. قالوا.

(٥). كذا في ك. وفي ب وج وز وى: قيل لهم. قالوا.." [1]

"وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠)

(وقد نزل عليكم في الكتاب) الخطاب لجميع من أظهر الإيمان من مؤمن ومنافق لأن من أظهر الإيمان فقد لزمه أن يمتثل ما أنزل الله، وقيل: إنه خطاب للمنافقين فقط كما يفيده التشديد والتوبيخ، والكتاب هو القرآن والذي أنزله الله عليهم في الكتاب هو قوله تعالى (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤٢/٧

حتى يخوضوا في حديث غيره) وهذا نزل بمكة لأنه قد كان جماعة من الداخلين في الإسلام يقعدون مع المشركين واليهود حال سخريتهم بالقرآن واستهزائهم به فنهوا عن ذلك.

ثم إن أحبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين، وكان المنافقون يجلسون إليهم ويخوضون معهم في الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله (أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) أي إذا سمعتم الكفر والاستهزاء بآيات الله، فأوقع السماع على الآيات، والمراد سماع الكفر والاستهزاء.

(فلا تقعدوا معهم) ما داموا كذلك (حتى) غاية للنهي (يخوضوا في حديث غيره) أي حديث الكفر والاستهزاء.

وفي هذه الآية باعتبار عموم لفظها الذي هو المعتبر دون خصوص السبب دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يفيد التنقص والاستهزاء للأدلة الشرعية، كما يقع كثيرا من أسراء التقليد الذين استبدلوا آراء." (١)

"الرجال بالكتاب والسنة، ولم يبق في أيديهم سوى قال إمام مذهبنا كذا، وقال فلان من أتباعه بكذا، وإذا سمعوا من يستدل على تلك المسئلة بآية قرآنية أو بحديث نبوي سخروا منه ولم يرفعوا إلى ما قاله رأسا، ولا بالوا به بالة وظنوا أنه قد جاء بأمر فظيع وخطب شنيع، وخالف مذهب إمامهم الذي نزلوه منزلة معلم الشرائع.

بل بالغوا في ذلك حتى جعلوا رأيه القائل، واجتهاده الذي هو عن منهج الحق مائل، مقدما على الله وعلى كتابه وعلى رسوله فإنا لله وإنا إليه راجعون، ما صنعت هذه المذاهب بأهلها، والأئمة الذين انتسب هؤلاء المقلدة إليهم برآء من فعلهم فإنهم قد صرحوا في مؤلفاتهم بالنهي عن تقليدهم كما أوضح الشوكاني ذلك في القول المفيد وأدب الطلب، اللهم انفعنا بما علمتنا واجعلنا من المتقيدين بالكتاب والسنة، وباعد بيننا وبين آراء الرجال المبنية على شفا جرف هار، يا مجيب السائلين.

قال ابن عباس: دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة.

(إنكم إذا مثلهم) مستأنفة سيقت لتعليل النهي أي أنكم إن فعلتم ذلك وقعدتم معهم ولم تنتهوا فأنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب (١)، قيل

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٦٨/٣

(١) روى الإمام أحمد ٢/ ١٤٨ بترتيب الساعاتي، والترمذي ٤/ ٢٠ وحسنه، والنسائي ١/ ١٩٨ من حديث جابر أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر " وهو حديث صحيح. قال ابن حجر: أخرجه النسائي من حديث جابر مرفوعا وإسناده جيد، قلت: وليس في النسائي الشطر الثاني من الحديث، وأخرجه الترمذي من وجه آخر بسند فيه ضعف، وأبو داود في " سننه " ٣/ ٤٧٧ عن ابن عمر بسند فيه انقطاع، وأحمد ١/ ٢١٠ عن عمر- بسند فيه مجهول. وفي " القرطبي " ٥٢٢/ ٤١٧! فكل من جلس مجلس معصية، ولم ينكر عليهم أن يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكر عليهم، فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية.." (١)

"ولهذا كان مستحقا للهجر إذا أعلن بدعة أو معصية أو فجورا أو تهتكا،أو مخالطة لمن هذا حاله بحيث لا يبالي بطعن الناس عليه، فإن/ هجره نوع تعزير له،فإذا أعلن السئات أعلن هجره،وإذا أسر أسر هجره، إذ الهجرة هى الهجرة على السيئات،وهجرة السيئات هجرة ما نهى الله عنه،كما قال تعالى : ﴿ والرجز فاهجر ﴾ [المدثر : ٥] ، وقال تعالى : ﴿ واهجرهم هجرا جميلا ﴾ [المزمل : ١٠] ، وقال : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم** ﴾ [النساء : ١٤٠] .

وقد روى عن عمر بن الخطاب : أن ابنه عبد الرحمن لما شرب الخمر بمصر، وذهب به أخوه إلى أمير مصر عمرو بن العاص ليجلده الحد، جلده الحد سرا، وكان الناس يجلدون علانية، فبعث عمر بن الخطاب إلى عمرو ينكر عليه ذلك، ولم يعتد عمر بذلك الجلد حتى أرسل إلى ابنه فأقدمه المدينة فجلده الحد علانية، ولم ير الوجوب سقط بالحد الأول، وعاش ابنه بعد ذلك مدة ثم مرض ومات، ولم يمت من ذلك الجلد، ولا ضربه بعد الموت، كما يزعمه الكذابون .

". (٢)

"وشبهها بعضهم بكرة على مستوى أملس لا تزال تتحرك عليه،وفى الحديث المرفوع : (القلب أشد تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانا) ، وفى الحديث الآخر : (مثل القلب مثل ريشة بفلاة من الأرض تحركها الريح) ، وفى صحيح البخارى عن سالم عن ابن عمر قال : كانت يمين رسول الله صلى الله عليه

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٦٩/٣

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤٤٥/٣

وسلم : (لا ومقلب القلوب) ، وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا إلى طاعتك) ، وفى الترمذى / عن أبى سفيان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول : (يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك) قال : فقلت : يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا ؟ قال : (نعم، القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء) .

وقوله تعالى : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ [النور : ٣] ، لما أمر الله ـ تعالى ـ بعقوبة الزانيين حرم مناكحتهما على المؤمنين هجرا لهما، ولما معهما من الذنوب والسيئات . كما قال تعالى : ﴿ والرجز فاهجر ﴾ [المدثر : ٥] ، وجعل مجالس فاعل ذلك المنكر مثله بقوله تعالى : ﴿ **إنكم إذا مثلهم** ﴾ [النساء : ١٤٠] ، وهو زوج له، وقد قال تعالى : ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ [الصافات : ٢٢] أى : عشراءهم وقرناءهم وأشباههم ونظراءهم؛ ولهذا يقال : المستمع شريك المغتاب .

ورفع إلى عمر بن عبد العزيز قوم يشربون الخمر، وكان فيهم جليس لهم صائم فقال : ابدؤوا به فى الجلد، ألم تسمع الله يقول : ﴿ فلا تقعدوا معهم ﴾ [النساء : ١٤٠] ، فإذا كان هذا فى المجالسة والعشرة العارضة حين فعلهم للمنكر يكون مجالسهم مثلا لهم، فكيف بالعشرة الدائمة ؟

". [(١)]

"فإن قلت: إذا كان كذلك فهؤلاء القوم قد علم الله أنهم لا يؤمنون وأخبر بنفي أن يهديهم وأن يغفر لهم، فإذن لا فائدة في الطلب منهم أن يؤمنوا بعد هذا الكلام، فهل هم مخصوصون من آيات عموم الدعوة. قلت: الأشخاص الذين علم الله أنهم لا يؤمنون، كأبي جهل، ولم يخبر نبيه بأنهم لا يؤمنون فهم مخاطبون بالإيمان مع عموم الأمة، لأن علم الله تعالى بعدم إيمانهم لم ينصب عليه أمارة، كما علم من مسالة التكليف بالمحال لعارض في أصول الفقه، وأما هؤلاء فلو كانوا معروفين بأعيانهم لكانت هذه الآية صارفة عن دعوتهم إلى الإيمان بعد، وإن لم يكونوا معروفين بأعيانهم فالقول فيهم كالقول فيمن علم الله عدم إيمانه ولم يخبر به، وليس ثمة ضابط يتحقق به أنهم دعوا بأعيانهم إلى الإيمان بعد هذه الآية ونحوها.

والنفي في قوله ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ أبلغ من: لا يغفر الله لهم، لأن أصل وضع هذه الصيغة للدلالة على أن اسم كان لم يجعل ليصدر منه خبرها، ولا شك أن الشيء الذي لم يجعل لشيء يكون نابيا عنه،

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣/ ٤٧٠

لأنه ضد طبعه، ولقد أبدع النحاة في تسمية اللام، التي بعد كان المنفية لام الجحود.

[١٤١,١٣٨] ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ .

استئناف ابتدائي ناشيء عن وصف الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا، فإن أولئك كانوا مظهرين الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، وكان ثمة طائفة تبطن الكفر وهم أهل النفاق، ولما كان التظاهر بالإيمان ثم تعقيبه بالكفر ضربا من التهكم بالإسلام وأهله، جيء في جزاء عملهم بوعيد مناسب لتهكمهم بالمسلمين، فجاء به على طريقة التهكم إذ قال ﴿بشر المنافقين﴾ ، فإن البشارة هي الخبر بما يفرح المخبر به، وليس العذاب كذلك. وللعرب في التهكم أساليب كقول شقيق ابن سليك الأسدي:." [(١)]

"وهذا الحكم تدريج في تحريم موالاة المسلمين للكافرين، جعل مبدأ ذلك أن لا يحضروا مجالس كفرهم ليظهر التمايز بين المسلمين الخلص وبين المنافقين، ورخص لهم القعود معهم إذ خاضوا في حديث غير حديث الكفر، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الأيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ [التوبة:٢٣، ٢٤].

وجعل جواب القعود معهم المنهي عنه أنهم إذا لم ينتهوا عن القعود معهم يكونون مثلهم في الاستخفاف بآيات الله إذ قال ﴿**إنكم إذا مثلهم**﴾ فإن إذن حرف جواب وجزاء لكلام ملفوظ به أو مقدر. والمجازاة هنا لكلام مقدر دل عليه النهي عن القعود معهم؛ فإن التقدير: إن قعدتم معهم إذن إنكم مثلهم. ووقوع إذن جزاء لكلام مقدر شائع في كلام العرب كقول العنبري:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي

...

---

(١) التحرير والتنوير، ٤/٢٨٢

بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

إذن لقام بنصري معشر خشن

...

عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا

قال المرزوقي في شرح الحماسة: وفائدة إذن هو أنه أخرج البيت الثاني مخرج جواب قائل له: ولو استباحوا ماذا كان يفعل بنو مازن فقال: إذن لقام بنصري معشر خشن. قلت: ومنه قوله تعالى ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾ [العنكبوت:٤٨]. التقدير: فلو كنت تتلو وتخط إذن لارتاب المبطلون. فقد علم أن الجزاء في قوله ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ عن المنهي عنه لا عن النهي، كقول الراجز، وهو من شواهد اللغة والنحو:

لا تتركني فيهم شطيرا

...

إني إذن أهلك أو أطيرا

والظاهر أن فريقا من المؤمنين كانوا يجلسون هذه المجالس فلا يقدمون على تغيير هذا ولا يقومون عنهم تقية لهم فنهوا عن ذلك. وهذه المماثلة لهم خارجة مخرج التغليظ والتهديد والتخويف، ولا يصير المؤمن منافقا بجلوسه إلى المنافقين، وأريد المماثلة في المعصية لا في مقدارها، أي أنكم تصيرون مثلهم في التلبس بالمعاصي.

وقوله ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ تحذير من أن يكونوا مثلهم، وإعلام بأن الفريقين سواء في عدواة المؤمنين، ووعيد للمنافقين بعدم جدوى." (١)

"والجمهور على أن هذه الآية ليست بمنسوخة.وعن ابن عباس والسدي: "أنها منسوخة بقوله تعالى في سورة النساء[١٤٠] ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ بناء على رأيهم أن قوله: ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ أباح للمؤمنين القعود ولم يمنعه إلا على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم﴾ [الأنعام: ٦٨] كما تقدم آنفا.

[٧٠] ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس

---

(١) التحرير والتنوير، ٤/٢٨٥

لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾

عطف على جملة ﴿فأعرض عنهم﴾ [النساء: ٦٣] أو على جملة ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ [الأنعام: ٩٦] .وهذا حكم آخر غير حكم الإعراض عن الخائضين في آيات الله ولذلك عطف عليه.وأتي بموصول وصلة أخرى فليس ذلك إظهارا في مقام الإضمار.

و ﴿ذر﴾ فعل أمر.قيل: لم يرد له ماض ولا مصدر ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول.فتصاريفه هذه مماثلة في الاستعمال استغناء عنها بأمثالها من مادة ترك تجنبا للثقل واستعملوا مضارعه والأمر منه.وجعله علماء التصريف مثالا واويا لأنهم وجدوه محذوف أحد الأصول، ووجدوه جاريا على نحو يعد ويرث فجزموا بأن المحذوف منه الفاء وأنها واو.وإنما حذفت في نحو ذر ودع مع أنها مفتوحة العين اتباعا للاستعمال، وهو حذف تخفيف لا حذف دفع ثقل، بخلاف حذف يعد ويرث.

ومعنى"ذر"اترك، أي لا تخالط.وهو هنا مجاز في عدم الاهتمام بهم وقلة الاكتراث باستهزائهم كقوله تعالى: ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾ [المدثر: ١١] وقوله: ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ ، وقول طرفة:

فذرني وخلقي إنني لك شاكر ... ولو حل بيتي نائيا عند ضرغد

أي لا تبال بهم ولا تهتم بضلالهم المستمر ولا تشغل قلبك بهم فالتذكير بالقرآن شامل لهم، أو لا تعبأ بهم وذكرهم به، أي لا يصدك سوء استجابتهم عن إعادة تذكيرهم.." (١)

"لمثل هذا الشرط هولو الامتناعية، فالتقدير: ولو كان معه إله لذهب كل إله بما خلق.

وبقاء اللام في صدر الكلام الواقع بعد إذن دليل على أن المقدر شرط لو لأن اللام تلزم جواب لو ولأن غالب مواقع إذن أن تكون جواب لو فلذلك جاز حذف الشرط هنا لظهور تقديره.

وقد تقدم بيان ذلك عند قوله تعالى: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ في سورة النساء.

فقوله: ﴿إذا لذهب كل إله بما خلق﴾ استدلال على امتناع أن يكون مع الله آلهة.

وإنما لم يستدل على امتناع أن يتخذ الله ولدا لأن الاستدلال على ما بعده مغن عنه لأن ما بعده أعم منه وانتفاء الأعم يقتضي انتفاء الأخص فإنه لو كان لله ولدا لكان الأولاد آلهة لأن ولد كل موجود إنما يتكون على مثل ماهية أصله كما دل عليه قوله تعالى: ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ أي له.

والذهاب في قوله: ﴿لذهب كل إله﴾ مستعار للاستقلال بالمذهوب به وعدم مشاركة غيره له فيه. وبيان

---

(١) التحرير والتنوير، ٦/١٥٦

انتظام هذا الاستدلال أنه لو كان مع الله آلهة لاقتضى ذلك أن يكون الآلهة سواء في صفات الإلهية وتلك الصفات كمالات تامة فكان كل إله خالقا لمخلوقات لثبوت الموجودات الحادثة وهي مخلوقة، فلا جائز أن تتوارد الآلهة على مخلوق واحد لأن ذلك: إما لعجز عن الانفراد بخلق بعض المخلوقات وهذا لا ينافي إلهية، وإما تحصيل للحاصل وهو محال، فتعين أن ينفرد كل إله بطائفة من المخلوقات. ولنفرض أن تكون مخلوقات كل إله مساوية لمخلوقات غيره بناء على أن الحكمة تقتضي مقدارا معينا من المخلوقات يعلمها الإله الخالق لها؛ فتعين أن لا تكون للإله الذي لم يخلق طائفة من المخلوقات ربوبية على ما لم يخلقه وهذا يفضي إلى نقص في كل من الآلهة وهو يستلزم المحال لأن الإلهية تقتضي الكمال لا النقص. ولا جرم أن تلك المخلوقات ستكون بعد خلقها معرضة للزيادة والنقصان والقوة والضعف بحسب ما يحف بها عن عوارض الوجود التي لا تخلو عنها المخلوقات كما هو مشاهد في مخلوقات الله تعالى الواحد. ولا مناص عن ذلك لأن خالق المخلوقات أودع فيها خصائص ملازمة لها كما اقتضته حكمته، فتلك المخلوقات مظاهر لخصائصها لا محالة فلا جرم أن ذلك يقتضي تفوق مخلوقات بعض الآلهة على مخلوقات بعض آخر بعوارض من التصرفات والمقارنات لازمة لذلك، لا جرم يستلزم ذلك كله لازمين باطلين:." (١)

"فذكر ذلك لإبراهيم النخعي فقال : صدق أبو وائل أو ليس ذلك في كتاب الله ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾.

وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال : أنزل في سورة الأنعام (حتى يخوضوا في حديث غيره) (الأنعام الآية ٦٨) ثم نزل التشديد في سورة النساء ﴿إنكم إذا مثلهم﴾.

وأخرج ابن المنذر عن السدي في الآية قال : كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في رسول الله والقرآن فشتموه واستهزؤوا به فأمر الله أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره.

وأخرج عن سعيد بن جبير أن الله جامع المنافقين من أهل المدينة والمشركين من أهل مكة الذين خاضوا واستهزؤوا بالقرآن في جهنم جميعا.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر عن مجاهد ﴿الذين يتربصون بكم﴾ قال : هم المنافقون يتربصون بالمؤمنين ﴿فإن كان لكم فتح من الله﴾ إن أصاب المسلمون من عدوهم غنيمة قال المنافقون ﴿ألم نكن معكم﴾

---

(١) التحرير والتنوير، ٩٣/١٨

قد كنا معكم فأعطونا من الغنيمة مثل ما تأخذون ﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾ يصيبونه من المسلمين قال المنافقون للكفار ﴿ألم نستحوذ عليكم﴾ ألم نبين لكم أنا على ما أنتم عليه قد نثبطهم عنكم." (١)

"المشركون يجلسون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه فإذا سمعوا استهزؤوا فنزلت ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم﴾ الآية ، قال : فجعلوا إذا استهزؤوا قام فحذروا وقالوا : لا تستهزؤوا فيقوم فذلك قوله ﴿لعلهم يتقون﴾ أن يخوضوا فيقوم ونزل ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ أن تقعد معهم ولكن لا تقعد ثم نسخ قوله بالمدينة ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم﴾ النساء الآية ١٤٠

إلى قوله ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ نسخ قوله ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ الآية.

وأخرج الفريابي وأبو نصر السجزي في الابانة عن مجاهد في قوله ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ قال : هم أهل الكتاب نهى أن يقعد معهم إذا سمعهم يقولون في القرآن غير الحق.

وأخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن أبي وائل قال : إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الكذب ليضحك بها جلساءه فيسخط الله عليه فذكر ذلك لإبراهيم النخعي فقال : صدق أو ليس ذلك في كتاب الله ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم﴾ الآية.

وأخرج أبو الشيخ عن مقاتل قال : كان المشركون بمكة إذا سمعوا القرآن من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خاضوا واستهزؤوا فقال المسلمين : لا يصلح لنا مجالستهم نخاف أن نخرج حين نسمع قولهم ونجالسهم فلا نعيب عليهم." (٢)

" صفحة رقم ٥٣٦

(النساء : (١٣٦) يا أيها الذين . . . . .

" يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا " (قوله تعالى :) ياأيها الذين ءامنوا ءامنوا بالله ورسوله (فإن قيل فكيف قيل لهم) ءامنوا (وحكي عنهم أنهم آمنوا ؟ فعن ذلك ثلاثة أجوبة : أحدها : يا أيها الذين آمنوا بمن قبل محمد من الأنبياء آمنوا بالله ورسوله ويكون ذلك خطابا ليهود والنصارى .

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٧٩/٥

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٨٩/٦

الثاني : معناه يا أيها الذين آمنوا بأفواههم أمنوا بقلوبكم ، وتكون خطابا للمنافقين .

والثالث : معناه يا أيها الذين آمنوا داوموا على إيمانكم ، ويكون هذا خطابا للمؤمنين ، وهذا قول الحسن .

(النساء : (١٣٧ - ١٤٠) إن الذين آمنوا . . . . .

" إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا " (قوله تعالى :) إن الذين ءامنوا ثم كفروا ثم ءامنوا ثم كفروا (فيه ثلاثة أقاويل : فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادة العجل ، ثم آمنوا بموسى بعد عوده ثم كفروا بعيسى ، ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليهم وسلم ، وهذا قول قتادة .." [١]

"وقد تقدم تحقيقه في البقرة ، و " حتى " : غاية للنهي ، والمعنى : أنه يجوز مجالستهم عند خوضهم في غير الكفر والاستهزاء.

قال الضحاك : عن ابن عباس : دخل في هذه الآية كل محدث في الدين ، وكل مبتدع إلى يوم القيامة.

قوله : ﴿**إنكم إذا مثلهم**﴾ " إذا " هنا : ملغاة ؛ لوقوعها بين مبتدأ وخبر ، والجمهور على رفع اللام في " مثلهم " على خبر الابتداء ، وقرئ شاذا بفتحها ، وفيها تخريجان : أحدهما : - وهو قول البصريين - أنه خبر أيضا ، وإنما فتح لإضافته إلى غير متمكن ؛ كقوله - تعالى - : ﴿إنه لحق مثل مآ أنكم تنطقون﴾ [الذاريات : ٢٣] بفتح اللام ، وقول الفرزدق : [البسيط] ١٨٩١ - ....

.....

وإذ ما مثلهم بشر

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٧٧

في أحد الأوجه.

والثاني : - وهو قول الكوفيين - إن " مثل " يجوز نصبها على المحل ، أي : الظرف ، ويجيزون : " زيد مثلك " بالنصب على المحل أي : زيد في مثل حالك ، وأفرد " مثل " هنا ، وإن أخبر به عن جمع

---

(١) النكت والعيون . موافق للمطبوع، ١/٥٣٦

ولم يطابق به كما طابق ما قبله في قوله : ﴿ثم لا يكونوا اا أمثالكم﴾ [محمد : ٣٨] ، وقوله : ﴿وحور عين كأمثال﴾ [الواقعة : ٢٢ ، ٢٣].

قال أبو البقاء وغيره : لأنه قصد به هنا المصدر ، فوحد كما وحد في قوله : ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ [المؤمنون : ٤٧].

وتحرير المعنى : أن التقدير : إن عصيانكم مثل عصيانهم ، إلا أن تقدير المصدرية في قوله : " لبشرين مثلنا " قلق.

٧٩

فصل في معنى الآية والمعنى : **أنكم إذا مثلهم** ، إن قعدتم عندهم وهم يخوضون ويستهزئون ، ورضيتم به ، فأنتم كفار مثلهم ، وإن خاضوا في حدِيث غيره ، فلا بأس بالقعود معهم مع الكراهة.

قال الحسن : لا يجوز القعود معهم وإن خاضوا في حديث غيره ؛ لقوله – تعالى – : ﴿وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ [الأنعام : ٦٨] والأكثرون على الأول ، وآية الأنعام مكية وهذه مدنية ، والمتأخر أولى.

فصل قال بعض العلماء : هذا يدل على أن من رضي بالكفر ، فهو كافر ، ومن رضي بمنكر يراه ، وخالط أهله وإن لم يباشر ذلك ، كان في الإثم بمنزلة المباشر لهذه الآية ، وإن لم يرض وحضر خوفا وتقية ، فلا.

قوله : ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ أي : كما اجتمعوا على الاستهزاء بآيات الله في الدنيا ، فكذلك يجتمعون في العذاب يوم القيامة ، وأراد : جامع بالتنوين ؛ لأنه بعدما جمعهم حذف التنوين ؛ استخفافا من اللفظ ، وهو مراد في الحقيقة.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٧٧

في : " الذين يتربصون " : ستة أوجه : أحدها : أنه بدل من قوله : " الذين يتخذون " ، فيجيء فيه الأوجه المذكورة هناك.

الثاني : أنه نعت للمنافقين على اللفظ ، فيكون مجرور المحل.

الثالث : أنه تابع لهم على الموضع ، فيكون منصوب المحل ، وقد تقرر أن اسم الفاعل العامل إذا أضيف إلى معموله ، جاز أن يتبع معموله لفظا وموضعا ، تقول : " هذا ضارب هند العاقلة والعاقلة " بجر العاقلة ونصبها.

الرابع : أنه منصوب على الشتم.

الخامس : أنه خبر مبتدأ مضمر ، أي : هم الذين.

السادس : – وذكره أبو البقاء – أنه مبتدأ ، والخبر قوله : ﴿فإن كان لكم فتح﴾ ،

٨٠

". [1]

"" صفحة رقم ١٩١ "

تلهيا وتعجبا ، وهو المراد ههنا .

) ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بأاياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين (

المؤمنون : (٤٥) ثم أرسلنا موسى . . . . .

فإن قلت : ما المراد بالسلطان المبين ؟ قلت : يجوز أن تراد العصا ، لأنها كانت أم آيات موسى وأولاها ، وقد تعلقت بها معجزات شتى : من انقلابها حية ، وتلقفها ما أفكته السحرة ، وانفلاق البحر ، وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها ، وكونها حارسا ، وشمعة ، وشجرة خضراء مثمرة ، ودلوا ورشاء . وجعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل ، فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى :) وجبريل وميكال ((البقرة : ٩٨) ويجوز أن تراد الآيات أنفسها ، أي : هي آيات وحجة بينة) عالين (متكبرين) إن فرعون علا فى الارض ((القصص : ٤) ،) لا يريدون علوا فى الارض ((القصص : ٨٣) أو متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم .

) فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين (

المؤمنون : (٤٧) فقالوا أنؤمن لبشرين . . . . .

البشر يكون واحدا وجمعا :) بشرا سويا ((مريم : ١٧) ،) لبشرين (،) فإما ترين من البشر ((مريم : ٢٦) و (مثل) و (غير) يوصف بهما : الاثنان ، والجمع ، والمذكر ، والمؤنث :) **إنكم إذا مثلهم** ((النساء : ١٤٠) ،) ومن الارض مثلهن ((الطلاق : ١٢) ويقال أيضا : هما مثلاه ، وهم أمثاله :) إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ((الأعراف : ١٩٤) .) وقومهما (يعني بني إسائيل ، كأنهم يعبدوننا خضوعا وتذللا . أو لأنه كان يدعي الإلاهية فادعى للناس العبادة ، وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة .

) ولقد ءاتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون (

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١٦٣٨

المؤمنون : (٤٩) ولقد آتينا موسى . . . . .

) موسى الكتاب (أي قوم موسى التوراة) لعلهم (يعملون بشرائعها ومواعظها ، كما قال :) على خوف من فرعون وملئهم ((يونس : ٨٣) يريد آل فرعون ، وكما يقولون : هاشم ، وثقيف ، وتميم ، ويراد قومهم . ولا يجوز أن يرجع الضمير في) لعلهم (إلى فرعون وملئه ، لأن التوراة إنما أوتيها بنو إسرائيل بعد إغراق فرعون وملئه :) ولقد ءاتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى ((القصص : ٤٣) .

) وجعلنا ابن مريم وأمه ءاية وءاويناهمآ إلى ربوة ذات قرار ومعين (

المؤمنون : (٥٠) وجعلنا ابن مريم . . . . .

فإن قلت : لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه ؟ قلت : نعم ، لأن مريم ولدت من." [1]

٣٧٤"

جميعا) يعني الظفر والنصر كله من الله تعالى وهذا كما قال في آية أخرى " ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين " المنافقون ٨

سورة النساء ١٤٠

ثم قال عز وجل " وقد نزل عليكم في الكتاب " وذلك أن المشركين بمكة كانوا يستهزئون بالقرآن فنهى الله تعالى المسلمين عن القعود معهم وهو قوله " وإذا رأيت الذين يخوضون في اياتنا فأعرض عنهم " إلى قوله " فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظلمين " الأنعام ٦٨ فامتنع المسلمون عن القعود معهم فلما قدموا المدينة كانوا يجلسون مع اليهود والمنافقين وكان اليهود يستهزئون بالقرآن فنزل " فقد نزل عليكم في الكتاب " يعني في سورة الأنعام " أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها " يعني يجحد بها " ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم " يعني فلا تجلسوا معهم " حتى يخوضوا في حديث غيره " يعني حتى يأخذوا في كلام آخر

ثم قال " **إنكم إذا مثلهم** " يعني لو جلستم معهم كنتم معهم في الوزر وفي هذه الآية دليل أن من جلس في مجلس المعصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية أو عملوا بها فإن لم يقدر بأن ينكر عليهم ينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية وروى جويبر عن الضحاك أنه قال دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة قرأ عاصم " وقد نزل عليكم " بنصب النون والزاي وقرأ الباقون بضم النون وكسر الزاي على معنى فعل ما لم يسم فاعله ثم قال تعالى " إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا " يعني إذا ماتوا على كفرهم ونفاقهم فبدأ

---

(١) تفسير الكشاف - موافق للمطبوع، ٣/١٩١

بالمنافقين لأنهم أشد من الكفار وجعل مأواهم جميعا النار وقال الكلبي رواية في قوله تعالى " فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره " نسخ بقوله تعالى " وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء " الأنعام ٦٩ وقال عامة المفسرين إنها محكمة وليست بمنسوخة

سورة النساء ١٤١ - ١٤٣." (١)

"﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا * وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا * الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾

قوله تعالى: " بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما "

٦١٥٣- حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قوله: " عذابا أليما " ، قال:"الأليم الموجع في القرآن كله"، وكذلك فسره ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والضحاك بن مزاحم ، وقتادة ، وأبو مالك ، وأبو عمران الجوني ، ومقاتل بن حيان

قوله تعالى: " الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين " ." (٢)

"٦١٥٨- قرأت على محمد بن الفضل، ثنا محمد بن علي، أنبأ محمد بن مزاحم، عن بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، قوله: " أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها " ، فنسخت هذه الآية التي في الأنعام ، فكان هذا الذي أنزل بالمدينة وخوفهم، فقال: إن قعدتم ورضيتم بخوضهم واستهزائهم بالقرآن **فإنكم إذا مثلهم**".

قوله تعالى: " فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره "

٦١٥٩- حدثنا أبي، ثنا عبد الرحمن بن محمد بن سلام الطرسوسي، ثنا يزيد بن هارون، أنبأ العوام بن حوشب، عن إبراهيم التيمي، عن أبي وائل، قال:"إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الكذب ليضحك بها القوم فيسخط الله عليه، فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي ، فقال: صدق، أليس الله تعالى يقول: " إذا سمعتم

---

(١) بحر العلوم ـ موافق للمطبوع، ٣٧٤/١

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٤٠١/٤

آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره " ".

قوله تعالى: " **إنكم إذا مثلهم** " ." (١)

"٦١٦٠- حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا ابن إدريس، عن العلاء بن المنهال، عن هشام بن عروة، "أن عمر بن عبد العزيز ، أخذ قوما يشربون، فضربهم وفيهم رجل صالح، فقيل: إنه صائم، فتلا: " فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره، إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا " ".

٦١٦١- قرأت على محمد بن الفضل، ثنا محمد بن علي، أنبأ محمد بن مزاحم، عن بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، فقال:"إن قعدتم ورضيتم بخوضهم واستهزائهم بالقرآن فإنكم إذا مثلهم".

قوله تعالى: " إن الله جامع المنافقين "

٦١٦٢- وبه عن مقاتل، قوله: " إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا " ، قال:"إن الله جامع المنافقين من أهل المدينة والمشركين من أهل مكة، الذين خاضوا واستهزءوا بالقرآن في جهنم جميعا".

قوله تعالى: " الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم "

٦١٦٣- حدثنا أبي، ثنا عبد العزيز بن المغيرة، ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة، يعني قوله: " الذين يتربصون بكم، فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم " ، قال:"هم المنافقون".

قوله تعالى: " وإن كان للكافرين نصيب " ." (٢)

"﴿ ١٤٠ ، ١٤١ ﴾ ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ﴾ .

أي: وقد بين الله لكم فيما أنزل عليكم حكمه الشرعي عند حضور مجالس الكفر والمعاصي ﴿ أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ﴾ أي: يستهان بها. وذلك أن الواجب على كل مكلف في آيات الله الإيمان بها وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها، وهذا المقصود بإنزالها، وهو الذي خلق الله الخلق لأجله، فضد الإيمان الكفر بها، وضد تعظيمها الاستهزاء بها واحتقارها، ويدخل في ذلك مجادلة الكفار والمنافقين لإبطال آيات الله ونصر كفرهم.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٤/٤٠٣

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٤/٤٠٤

وكذلك المبتدعون على اختلاف أنواعهم، فإن احتجاجهم على باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله لأنها لا تدل إلا على حق، ولا تستلزم إلا صدقا، بل وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتقتحم حدوده التي حدها لعباده ومنتهى هذا النهي عن القعود معهم ﴿ حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ أي: غير الكفر بآيات الله والاستهزاء بها.

﴿ إنكم إذا ﴾ أي: إن قعدتم معهم في الحال المذكورة ﴿ مثلهم ﴾ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها، والحاصل أن من حضر مجلسا يعصى الله به، فإنه يتعين عليه الإنكار عليهم مع القدرة، أو القيام مع عدمها.

﴿ إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ﴾ كما اجتمعوا على الكفر والموالاة ولا ينفع الكافرين (١) مجرد كونهم في الظاهر مع المؤمنين كما قال تعالى: ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ إلى آخر الآيات.

---

(١) في ب: المنافقين.." [1]

" صفحة رقم ٣٣٥

أي لأنه المفصل لشريعتكم لشريعتكم المتكفل بما تحتاجون إليه من الأحكام والمواعظ وجميع ما يصلحكم ، وهو القرآن الواصل إليكم بواسطة أشرف الخلق) والكتاب الذي أنزل) أي أوجد إنزاله ومضى ؛ ولما لم يكن إنزاله مستغرقا للزمان الماضي بين المراد بقوله : (من قبل (من الإنجيل والزبور والتوراة وغيرها لأن رسولكم بلغكم ذلك فلا يحصل الإيمان إلا بتصديقه في كل ما يقوله .

ولما كان المؤمن الذي الخطاب معه عالما بأن التنزيل والإنزال لا يكون إلا من الله بنيا للمفعول في قراءة ابن كثير وأبي عمروا وابن عامر للعمل بالفاعل ، وصرحت قراءة الباقين به .

ولما كان التقدير : فمن آمن بذلك فقد اهتدى وآمن قطعا بالملائكة واليوم الآخر وغير ذلك من كل ما دعا إليه الكتاب والرسول ، عطف عليه قوله : (ومن يكفر) أي يوجد الكفر ويجدده وقتا من الأوقات) بالله وملائكته وكتبه) أي التي أنزلها على أنبيائه بواشطة مائكته أو بغير واسطة) ورسله) أي من الملائكة والبشر ، فكان الإيمان بالترقي للاحتياج إليه ، وكان الكفر بالتدلي للاجتراء عليه .

ولما كان الإيمان بالبعث – وإن كان أظهر شيء – مما لا تستقل به العقول فلا تصل إليه إلا بالرسل ،

---

(١) تفسير السعدي، ص/٢١٠

ذكره بعدهم فقال : (واليوم الآخر) أي الذي أخبرت به رسله ، وقضت به العقول الصحيحة وإن كانت لا تستقل بإدراكه قبل تنبيه الرسل لها عليه ، وهو روح الوجود وسره وقوامه وعماده ، فيه تكشف الحقائق وتجمع الخلائق ، ويظهر شمول العلم وتمام القدرة ويبسط ظل العدل وتجتني ثمرات الفضل) فقد ضل (وأبلغ في التأكيد لكثرة المكذبين فقال : (ضلالا بعيدا) أي لا حيلة في رجوعه معه .

النساء : (١٣٧ - ١٤١) إن الذين آمنوا. .. . . .

) إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (( )."
(١)

"وقرأ الجمهور : وقد نزل مشددا مبنيا للمفعول. وقرأ عاصم : نزل مشددا مبنيا للفاعل. وقرأ أبو حيوة وحميد : نزل مخففا مبنيا للفاعل. وقرأ النخعي : أنزل بالهمزة مبنيا للمفعول ، ومحل أن رفع أو نصب على حسب العامل ، فنصب على قراءة عاصم ، ورفع على الفاعل على قراءة أبي حيوة وحميد ، وعلى المفعول الذي لم يسم فاعله على قراءة الباقين. وإن هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف وتقديره : ذلك أنه إذا سمعتم. وما قدره أبو البقاء من قوله : أنكم إذا سمعتم ، ليس بجيد ، لأنها إذا خففت إن لم تعمل في ضمير إلا إذا كان ضمير أمر ، وشأن محذوف ، وإعمالها في غيره ضرورة نحو قوله :

فلو أنك في يوم الرخاء سألتنيطلاقك لم أبخل وأنت صديق

وخبر إن هي الجملة من إذا وجوابها. ومثال وقوع جملة الشرط خبرا لأن المخففة من الثقيلة قول الشاعر :

فعلمت أن من تتقوه فإنهجزر لخامعة وفرخ عقاب

ويكفر بها في موضع نصب على الحال ، والضمير في معهم عائد على المحذوف الذي دل عليه قوله : يكفر بها ويستهزأ أي : فلا تقعدوا مع الكافرين المستهزئين ، وحتى غاية لترك القعود معهم. ومفهوم الغاية

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٢/٣٣٥

أنهم إذا خاضوا في غير الكفر والاستهزاء ارتفع النهي ، فجاز لهم أن يقعدوا معهم. والضمير عائد على ما دل عليه المعنى أي : في حديث غير حديثهم الذي هو كفر واستهزاء. ويحتمل أن يفرد الضمير ، وإن كان عائدا على الكفر وعلى الاستهزاء المفهومين من قوله : يكفر بها ويستهزأ بها ، لأنهما راجعان إلى معنى واحد ، ولأنه أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة في كونه لمفرد ، وإن كان المراد به اثنين.

﴿إنكم إذا مثلهم﴾ حكم تعالى بأنهم إذا قعدوا معهم وهم يكفرون بآيات الله ويستهزئون بها ، وهم قادرون على الإنكار مثلهم في الكفر ، لأنهم يكونون راضين بالكفر ، والرضا بالكفر كفر. والخطاب في أنكم على الخلاف السابق أهو للمنافقين ؟ أم للمؤمنين ؟ ولم يحكم تعالى على المسلمين الذين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين بمكة بأنهم مثل المشركين ، لعجز المسلمين إذ ذاك عن الإنكار بخلاف المدينة ، فإن الإسلام كان الغالب فيها والأعلى ، فهم قادرون على الإنكار ، والسامع للذم شريك للقائل ، وما أحسن ما قال الشاعر :

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٥٧

وسمعك صن عن سماع القبيحكصون اللسان عن النطق به

قال ابن عطية : وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات ، ولكنه إلزام شبه بحكم الظاهر من المقارنة

٣٧٤

كقول الشاعر :

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينهفكل قرين بالمقارن يقتدى

وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه أخذ قوما يشربون الخمر فقيل له عن أحد الحاضرين : إنه صائم فحمل عليه الأدب ، وقرأ : إنكم إذا مثلهم. ومن ذهب إلى أن معنى قوله : **إنكم إذا مثلهم** ، إن خضتم كخوضهم ووافقتموهم على ذلك فأنتم كفار مثلهم ، قوله تنبو عنه دلالة الكلام. وإنما المعنى ما قدمناه من أنكم إذا قعدتم معهم مثلهم.

وإذا هنا توسطت بين الاسم والخبر ، وأفرد مثل ، لأن المعنى أن عصيانكم مثل عصيانهم ، فالمعنى على المصدر كقوله : ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ وقد جمع في قوله : ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ وفي قوله : ﴿وحور عين * كأمثال اللؤلوا المكنون﴾ والإفراد والمطابقة في التثنية أو الجمع جائزان. وقرىء شاذا مثلهم بفتح اللام ، فخرجه البصريون على أنه مبني لإضافته إلى مبني كقوله : لحق مثل ما أنكم تنطقون على قراءة من فتح اللام ، والكوفيون يجيزون في مثل أن ينتصب محلا وهو الظرف ، فيجوز عندهم زيد مثلك بالنصب

أي : في مثل حالك. فعلى قولهم يكون انتصاب مثلهم على المحل ، وهو الظرف.
﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا﴾ لما اتخذوهم في الدنيا أولياء جمع بينهم في الآخرة في النار ، والمرء مع من أحب ، وهذا توعد منه تعالى تأكد به التحذير من مجالستهم ومخالطتهم.
". (١)

"﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى ءاياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيرها﴾ هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه المؤمنون لأن علة النهي وهو سماع الخوض في آيات الله يشمله وإياهم. وقيل : هو خاص بتوحيده لأن قيامه عنهم كان يشق عليهم وفراقه على مغاضبه والمؤمنون عندهم ليسوا كهو. وقيل : خطاب للسامع والذين يخوضون المشركون أو اليهود أو أصحاب الأهواء ثلاثة أقوال ، ورأيت هنا بصرية ولذلك تعدت إلى واحد ولا بد من تقدير حال محذوفة أي ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى ءاياتنا﴾ وهم خائضون فيها أي وإذا رأيتهم ملتبسين بهذه الحالة. وقيل : ﴿رأيت﴾ علمية لأن الخوض في الآيات ليس مما يدرك بحاسة البصر وهذا فيه بعد لأنه يلزم من ذلك حذف المفعول الثاني من باب علمت فيكون التقدير ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى ءاياتنا﴾ خائضين فيها وحذفه اقتصارا لا يجوز وحذفه اختصارا عزيز جدا حتى أن بعض النحويين منعه والخوض في الآيات كناية عن الاستهزاء بها والطعن فيها. وكانت قريش في أنديتها تفعل ذلك ﴿فأعرض عنهم﴾ أي لا تجالسهم وقم عنهم وليس إعراضا بالقلب وحده بينه وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم** ، وقد تقدم من قول المفسرين في هذه الآية أن قوله : وقد نزل عليكم في الكتاب : أن الذي نزل في الكتاب هو قوله : ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون﴾ الآية و﴿حتى يخوضوا ﴾ غاية الإعراض عنهم أي فلا بأس أن تجالسهم والضمير في ﴿غيرها ﴾ قال الحوفي عائد إلى الخوض كما قال الشاعر :

إذ نهى السفيه جرى إليهوخالف والسفيه إلى خلاف

أي جرى إلى السفه. وقال أبو البقاء : إنما ذكر الهاء لأنه أعادها على معنى الآيات ولأنها حديث وقول : ﴿وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ أي إن شغلك
١٥٢
بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى أي ذكرك النهي. قال الزمخشري :

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٣/٣٠٤

ويجوز أن يراد وإن كان الشيطان ينسيك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لأنها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى أي بعد إن ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم ؛ انتهى. وهو خلاف ظاهر الشرط لأنه قد نهي عن القعود معهم قبل ثم عطف على الشرط السابق هذا الشرط فكله مستقبل وما أحسن مجيء الشرط الأول بإذا التي هي للمحقق لأن كونهم يخوضون في الآيات محقق ومجيء الشرط الثاني ب"أن" لأن إن لغير المحقق وجاء ﴿مع القوم الظالمين﴾ تنبيها على علة الخوض في الآيات والطعن فيها وأن سبب ذلك ظلمهم وهو مجاوزة الحد ووضع الأشياء غير مواضعها. قال ابن عطية : وأما شرط ويلزمها النون الثقيلة في الأغلب وقد لا تلزم كما قال الشاعر :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٤٣

أما يصبك عدو في مناوأة

إلى غير ذلك من الأمثلة ؛ انتهى. وهذه المسألة فيها خلاف ، ذهب بعض النحويين إلى أنها إذا زيدت بعد إن ما لزمت نون التوكيد ولا يجوز حذفها إلا ضرورة وذهب بعضهم إلى أنها لا تلزم وإنه يجوز في الكلام وتقييده الثقيلة ليس بجيد بل الصواب النون المؤكدة سواء كانت ثقيلة أم خفيفة وكأنه نظر إلى مواردها في القرآن وكونها لم تجيء فيها بعد أما إلا الثقيلة. وقرأ ابن عامر ﴿ينسينك﴾ مشددا عداه بالتضعيف وعداه الجمهور بالهمزة. وقال ابن عطية : وقد ذكر القراءتين إلا أن التشديد أكثر مبالغة ؛ انتهى. وليس كما ذكر لا فرق بين تضعيف التعدية والهمزة ومفعول ﴿ينسينك﴾ الثاني محذوف تقديره ﴿وإما ينسينك الشيطان﴾ نهينا إياك عن القعود معهم والذكرى مصدر ذكر جاء على فعلى وألفه للتأنيث ولم يجيء مصدر على فعلى غيره.

﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ ﴿الذين يتقون﴾ هم المؤمنون والضمير في ﴿حسابهم﴾ عائد على المستهزئين الخائضين في الآيات. وروي أن المؤمنين قالوا : لما نزلت فلا تقعدوا معهم لا يمكننا طواف ولا عبادة في الحرم فنزلت ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ فأبيح لهم قدر ما يحتاج إليه من التصرف بينهم في العبادة ونحوها ، والظاهر أن حكم الرسول موافق لحكم غيره لاندراجه في قوله : ﴿وما على الذين يتقون﴾ أمر هو صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنهم حتى إن عرض نسيان وذكر فلا تقعد معهم. وقيل : للمتقين وهو رأسهم أي ما عليكم من حسابهم من شيء.

﴿ولاكن ذكرى ﴾ أي ولكن عليكم أن تذكروهم ذكرى إذا سمعتموهم يخوضون بأن تقوموا عنهم وتظهروا كراهة فعلهم وتعظوهم.

(١) ".

"عليه الأدب وقرأ هذه الآية " **إنكم إذا مثلهم** " وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات ولكنه إلزام شبه بحكم الظاهر من المقارنة وهذا المعنى كقول الشاعر

(عن المرء لا تسأل وسل عن قرينة

فكل قرين بالمقارن يقتدي) " الطويل "

ثم توعد تعالى المنافقين والكافرين بجمعهم في جهنم فتأكد بذلك النهي والحذر من مجالسهم وخلطتهم قوله تعالى

سورة النساء ١٤١ ١٤٢ ١٤٣

" الذين " صفة للمنافقين و " يتربصون " معناه ينتظرون دور الدوائر عليكم فإن كان فتح للمؤمنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يظهرونه من الإيمان وإن كان للكافرين نيل من المؤمنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يبطنونه من موالاة الكفار وهذا حال المنافقين و " نستحوذ " معناه نغلب على أمركم ونحطكم ونحسم أمركم ومنه قول العجاج في صفة ثور وبقر

(يحوذهن وله حوذي

) " الرجز "

أي يغلبهن على أمرهن ويغلب الثيران عليهن ويروي يحوزهن بالزاي ومن اللفظة قول لبيد في صفة عير وأتن

(إذا اجتمعت وأحوذ جانبيها

وأوردها على عوج طوال)

أحوذ جانبيها قهرها وغلب عليها

وقوله تعالى " استحوذ عليهم الشيطان " معناه غلب عليهم وشذ هذا الفعل في أن لم تعل واوه بل استعملت على الأصل وقرأ أبي بن كعب ومنعناكم من المؤمنين وقرأ ابن أبي عبلة ونمنعكم بفتح العين على الصرف ثم سلى وأنس المؤمنين بما وعدهم به في قوله " فالله يحكم بينكم يوم القيامة " أي وبينهم وينصفكم من جميعهم وبقوله " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا " وقال يسيع الحضرمي كنت عند علي بن أبي طالب فقال له رجل يا أمير المؤمنين أرأيت قول الله تعالى " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ١٢٢/٤

سبيلا " كيف ذلك وهم يقاتلوننا ويظهرون علينا أحيانا فقال علي رضي الله عنه معنى ذلك يوم القيامة يكون الحكم وبهذا قال جميع أهل التأويل

١٢٧

". (١)

"القولﷺ في تأويل قوله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ [النساء: ١٤٠] يعني بذلك جل ثناؤه: بشر المنافقين الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين. ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب﴾ [النساء: ١٤٠] يقول: " أخبر من اتخذ من هؤلاء المنافقين الكفار أنصارا وأولياء بعدما نزل عليهم من القرآن ﴿أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ [النساء: ١٤٠] يعني: بعدما علموا نهي الله عن مجالسة الكفار الذين يكفرون بحجج الله وآي كتابه ، ويستهزئون بها ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ [النساء: ١٤٠] يعني بقوله: ﴿يخوضوا﴾ [النساء: ١٤٠] يتحدثوا حديثا غيره بأن لهم عذابا أليما. وقوله: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: 140] يعني: وقد نزل عليكم أنكم إن جالستم من يكفر بآيات الله ، ويستهزئ بها وأنتم تسمعون فأنتم مثله ، يعني: فأنتم إن لم تقوموا عنهم في تلك الحال مثلهم في فعلهم ، لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم ، وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، كما عصوه باستهزائهم بآيات الله ، فقد أتيتم من معصية الله نحو الذي أتوه منها ، فأنتم إذا مثلهم في ركوبكم معصية الله ، وإتيانكم ما نهاكم الله عنه.." (٢)

"ذكر من قال ذلك: حدثني المثنى ، قال: ثنا إسحاق ، قال: ثنا يزيد بن هارون ، عن العوام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبي وائل ، قال: " إن الرجل ليتكلم بالكلمة في المجلس من الكذب ليضحك بها جلساءه ، فيسخط الله عليهم. قال: فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي ، فقال: صدق أبو وائل. أوليس ذلك في كتاب الله: ﴿ﷺأن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠]." (٣)

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٤٨١/٢

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٠٢/٧

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٠٣/٧

"حدثني المثنى ، قال: ثنا إسحاق ، قال: ثنا عبد الله بن إدريس ، عن العلاء بن المنهال ، عن هشام بن عروة ، قال: أخذ عمر بن عبد العزيز قوما على شراب ، فضربهم وفيهم صائم ، فقالوا: إن هذا صائم فتلا: ﴿ﷺفلا تقعدوا معهم -[٦٠٤]- حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠]." (١)

"ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: " ﷺكان المشركون يجلسون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه، فإذا سمعوا استهزءوا، فنزلت: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ [الأنعام: ٦٨] الآية، قال: فجعل إذا استهزءوا قام، فحذروا وقالوا: لا تستهزئوا فيقوم، فذلك قوله: ﴿لعلهم يتقون﴾ [الأنعام: ٦٩] : أن يخوضوا فيقوم، ونزل: ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ [الأنعام: ٦٩] إن قعدوا معهم، ولكن لا تقعدوا، ثم نسخ ذلك قوله بالمدينة: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠] ، فنسخ قوله: ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ [الأنعام: ٦٩] الآية "." (٢)

"ﷺوأما قوله: ﴿إنكم لمشركون﴾ [الأنعام: ١٢١] يعني: إنكم إذا مثلهم، إذ كان هؤلاء يأكلون الميتة استحلالا، فإذا أنتم أكلتموها كذلك فقد صرتم مثلهم مشركين. واختلف أهل العلم في هذه الآية: هل نسخ من حكمها شيء أم لا؟ فقال بعضهم: لم ينسخ منها شيء، وهي محكمة فيما عنيت به، وعلى هذا قول عامة أهل العلم. وروي عن الحسن البصري وعكرمة." (٣)

"فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما منكم فهو يتولى ذلك منهم فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا يعني أن تتركوا الحق وتتبرأوا.

قال الفراء: ويقال معناه: لا تتبعوا الذنوب لتعدلوا كما يقال: لا تتبعن هواك ليرضى عنك أي أنهاك عن هذا كيما يرضى ربك.

ويقال: فلا تتبعوا الهوى فرارا من إقامة الشهادة وإن تلووا باللسان فتحرفوا الشهادة لتبطلوا الحق أو تعرضوا عنها فتكتمونها ولا تقيمونها عند الحكام فإن الله كان بما تعملون من إقامتها وكتمانها خبيرا ويقال: معناه:

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٠٣/٧

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣١٧/٩

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣١/٩

وإن تلووا أي تدافعوا في إقامة الشهادة، يقال:
لويت حقه أي دافعته وبطلته.
وقال ابن عباس: هذه الآية في [القاضي] وليه شدقه وإعراضه عن أحد الخصمين.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول هذه الآية: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقم شهادته على ما كانت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجحد حقا هو عليه، وليؤده عفوا، ولا يلجئه إلى سلطان [ليأخذ] «١» بها حقه، وأما رجل خاصم إلي فقضيت له إلى أخيه بحق ليس هو له عليه، فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من جهنم» «٢» [٣٩٠] .

مسألة في اللغة
قال أهل المعاني: معنى القسط العدل، يقال أقسط الرجل يقسط إقساطا إذا عدل وقسط يقسط قسوطا إذ جار.
قال الله تعالى: وأقسطوا إن الله يحب المقسطين «٣» وقال تعالى: أما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا.
ويقال: قسط البعير يقسط قسطا إذا يبست يده، ويد قسطا أي يابسة، فكان أقسط معناه أقام الشيء على حقيقته في العدل، وكان معنى قسط أي [خيار] أي يبس الشيء وأفسد جهته المستقيمة.

[سورة النساء (٤) : الآيات ١٣٦ الى ١٤١]
يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (١٣٦) إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (١٣٧) بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩) وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠)
الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (١٤١)

---

(١) المخطوط مشوش ولم نجده في المصادر وما أثبتناه استظهارا منا. [.....]

(٢) المعجم الكبير: ٢٣/ ٣٨٢ باختصار.

(٣) سورة الحجرات: ٩.." [(١)]

"وقال الشاعر:

وخيل قد دلفت «١» لها بخيل ... تحية بينهم ضرب وجمع «٢»

ثم وصف المنافقين فقال الذين يتخذون الكافرين أولياء أنصارا وبطانة من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة يعني الرفد والمعونة والظهور على محمد وأصحابه.

وقال الزجاج: العزة يعني المنعة والشدة والغلبة مأخوذ من قولهم: أرض عزاز أي صلبة لا يفيد عليها شيء ويقال: استعز على المريض اشتد وجعه، وقولهم يعز علي أي يشتد، وقولهم إذا عز الشيء لم يوجد فتأويله قد اشتد وجود وصف إن وجد فإن العزة لله جميعا أي القدرة لله جميعا وهو سيد الأرباب. ثم قال وقد نزل عليكم يا معشر المسلمين بمكة في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يعني القرآن يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره أي يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بمحمد وأصحابه والقرآن. وذلك إن المنافقين كانوا يجلسون إلى أحبار اليهود فيستهزءون بالقرآن ويكذبون به ويحرفونه عن مواضعه فنهى الله تعالى المسلمين عن مجالستهم ومخالطتهم، والذي نزل في الكتاب قوله تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم «٣» الآية.

الضحاك عن ابن عباس: ودخل في هذه الآية كل محدث في الدين، وكل مبتدع إلى يوم القيامة.

الكلبي عن أبي صالح: صح هذا القول بقوله عز وجل وما على الذين يتقون الشرك والاستهزاء من حسابهم من شيء ولكن ذكرى أي ذكروهم وعظوهم بالقرآن لعلهم يتقون الاستهزاء بمحمد **والقرآن إنكم إذا مثلهم إذا** قعدتم عندهم فأنتم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم أي ينتظرون بكم الدوائر يعني المنافقين فإن كان لكم فتح من الله يعني النصر والغنيمة قالوا ألم نكن معكم على دينكم فأعطونا من الغنيمة وإن كان للكافرين نصيب يعني دولة وظهورا على المسلمين قالوا يعني المنافقين ألم نستحوذ عليكم ألم نخبركم بعزيمة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونطلعكم على سرهم.

وقال أهل اللغة: ألم نستحوذ عليكم ويغلب عليكم قال: استحوذ أي غلب.

وفي الحديث كان عمر أحوذنا أي غالب أمرنا في الحق.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣/٤٠٠

وقال العجاج:

يحوذهن وله حوذي. ... [كما يحوذ الفئة] الكمي «٤» .

(١) دلفت: زحفت.

(٢) لسان العرب: ٥/ ٢٦٤.

(٣) سورة الأنعام: ٦٨.

(٤) الحوذ: السير الشديد، والحوز: السير برفق، والبيت في تصحيفات المحدثين للعسكري: ٢٠٦.." [١]

"فاتخذتموهم أولياء ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ كفار، إذا جالستموهم على تلك الحال، لأن من لم يجتنبهم، فهو راض بفعلهم، فالرضا بالكفر كفر.

وهذه الآية تدل على اجتناب أهل المعاصي إذ ظهر منهم منكر، ومجانبة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والقدرية وغيرهم إذا خاضوا في فسقهم.

وروى إبراهيم التيمي عن أبي وائل قال: إن الرجل ليتكلم بالكلمة في المجلس من الكذب ليضحك بها جلساؤه فيسخط الله عليهم.

وقال إبراهيم النخعي: إذ سمع هذا عن أبي وائل، صدق أبو وائل، أو ليس ذلك في كتاب الله D ﴿ أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا." [٢]

"في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ أي: يجمعهم بموالاة بعضهم بعضا فكلهم كافر.

قوله: ﴿الذين يتربصون بكم﴾ الآية.

في قراءة أبي: ومنعناكم في موضع: نمنعكم.

وأجاز الفراء: ونمنعكم بالنصب على الصرف.

ومعنى الآية: أنها صفة للمنفقين لأنهم كانوا يتربصون بالمؤمنين، فإن كان فتح من الله جل وعز للمؤمنين، قالوا للمؤمنين: ألم نمنعكم في جهادكم، فطلبوا الفيء من الغنيمة ﴿وإن كان للكافرين﴾ ظفر على المؤمنين قالوا للكافرين ﴿ألم نستحوذ عليكم﴾ أي: نغلب عليكم حتى قهرتم المؤمنين ﴿ونمنعكم﴾ من المؤمنين،

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٤٠٣/٣

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١٥٠٢/٢

أي: كنا عيونا لكم نأتيكم بالأخبار في السر، ونخذل المؤمنين حتى غلبتموهم ﴿فالله يحكم بينكم يوم القيامة﴾ أي: بين المؤمنين والمنافقين ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ أي: حجة يوم القيامة.

وهذا وعد من الله جل ذكره للمؤمنين يكون في القيامة فأما في الدنيا فقد يغلبون ويغلبون، ودل على ذلك قوله ﴿فالله يحكم بينكم يوم القيامة﴾.

وقيل: معناه: لا يجعل الله الكافرين على المؤمنين سبيلا يوم القيامة في قتلهم لهم، وسبيهم لذراريهم، ذلك مباح للمؤمنين في الدنيا، ولا درك عليهم في." (١)

"﴿وقد نزل عليكم﴾ أيها المؤمنون ﴿في الكتاب﴾ في القرآن ﴿أن إذا سمعتم﴾ الكفر بآيات الله والاستهزاء بها ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث﴾ غير الكفر والاستهزاء يعني: قوله في سورة الأنعام ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ هذه كانت مما نزل عليهم في الكتاب وقوله: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ يعني: إن قعدتم معهم راضين بما يأتون من الكفر بالقرآن والاستهزاء به وذلك أن المنافقين كانوا يجلسون إلى أحبار اليهود فيسخرون من القرآن فنهى الله سبحانه المسلمين عن مجالستهم ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ يريد: أنهم كما اجتمعوا على الاستهزاء بالآيات يجتمعون في جهنم على العذاب." (٢)

"وقوله: ﴿ومثلا للآخرين﴾. قال ابن عباس ومقاتل: يريد عظة لمن بقي بعدهم (١) وآية وعبرة، والمعنى: أن حال غيرهم من المشركين يقاس بحالهم ويجروا مجراهم إذا ماتوا على الطغيان. قال أبو علي: والمثل واحد يراد به الجمع، ومن ثم عطف على سلف، ويدلك على وقوعه أكثر من واحد. قوله: ﴿ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه﴾ [النحل: ٧٥]، فأوقع لفظ الإفراد على التثنية، وكذلك أفرد في موضع التثنية فيما أنشد سيبويه:

وساقيين مثل زيد وجعل (٢)

وقد جمع المثل في قوله: ﴿وتلك الأمثال﴾ [الحشر: ٢١] وقوله: ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد: ٣٨]، وأفرد في قوله (٣): ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠].

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١٥٠٣/٢

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٢٩٦

٥٧ - قوله تعالى: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد لما ذكر عيسى، وقدرة الله تعالى فيه وخلقه إياه من غير ذكر، وما كان يفعل من إحياء الموتى وغير ذلك إذا قومك منه يصدون يريد: يضجون كضجيج الإبل بالأثقال (٤).

وقال مجاهد في هذه الآية: قالوا إنما يريد محمد أن نعبده كما عبد

---

(١) انظر: "تفسير الطبري" ١٣/ ٨٥، "تفسير مقاتل" ٣/ ٧٩٨.

(٢) هذا صدر البيت وعجزه:

سقبان ممشوقان مكنوزا العضل

انظر: "الكتاب" ٢/ ١٧، "شرح أبيات" سيبويه ص ٩٥، "الحجة" ٦/ ١٥٣.

(٣) انظر: "الحجة" ٦/ ١٥٣.

(٤) ذكر ذلك القرطبي في "الجامع" ١٦/ ١٠٣.." [1]

"وقال الله تعالى: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ (١) [النساء: ١٤٠] ولم يقل: أمثالهم. وقد جمع في قوله ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿رأي العين﴾. يقال: (رأيته (٢) رأيا)، و (رؤية)، و (رأيته في المنام رؤيا حسنة) غير مجراة (٣). فالرؤيا تختص بالمنام، وهو مصدر لـ (رأيت) (٤)، ويقول: (هو مني رأي العين) أي: حيث يقع عليه بصري. فقوله: ﴿رأي العين﴾ يجوز (٥) أن ينتصب عدى المصدر (٦)، ويجوز أن يكون ظرفا للمكان (٧)، كما تقول: (ترونهم أمامكم). ومثله: (هو مني مزجر الكلب) (٨)،

= والشاهد في البيت: إفراد (مثل) وهي في موضع التثنية.

(١) فأفردت (مثل) في الآية، وهي في موضع الجمع.

(٢) من قوله: (رأيته ..) إلى (.. مجراة): نقله عن "تفسير الطبري" ٣/ ١٩٨ مع التصرف.

(٣) في (ج): (محزاة) ، (د): (مجزاة). ومعنى: (غير محجراة): أي أن كلمة (رؤيا)، غير مصروفة، والإجراء: المنع من الصرف. وهو من اصطلاحات الكوفيين. يقولون: (ما يجرى وما لا يجرى)، و (الجاري وغير الجاري). قال ابن حجر: (وهذا اصطلاح قديم، يقولون للاسم المصروف: مجرى). "فتح الباري" ٨/

---

[1] التفسير البسيط الواحدي ٦٤/٢٠

٦٨٤. وقد وردت هذه اللفظة كثيرا عند الفراء. انظر: "معاني القرآن" ٣/ ١٥٠، ٢١٤، ٢١٨، "والحروف" لأبي الحسين المزني ٥٩، "النحو وكتب التفسير" ١/ ١٨٦، "دراسة في النحو الكوفي" ص ٢٣٣.

(٤) في (د): (مصدرا رأيت).

(٥) في (ج): (ويجوز).

(٦) والنصب هنا على المصدر: إما المصدر التوكيدي، أو المصدر التشبيهي أي: رأيا مثل رأي العين أي: يشبه رأي العين.

(٧) أي: يجوز نصبه لكونه ظرف مكان.

(٨) انظر هذا المثل في "كتاب سيبويه" ١/ ٤١٣، ٤١٦، "الأصول" لابن السراج ١/ ١٩٩، "المسائل الحلبيات" للفارسي ٥٩، "اللسان" ٣/ ١٨١٣ (زجر).

والمزجر: اسم لمكان الزجر. والزجر: المنع والنهي والانتهار. ومعنى هذا المثل: أنه مني في القرب بتلك المنزلة.

انظر: (زجر) في "اللسان" ٣/ ١٨١٣، "المعجم الوسيط" ١/ ٣٩٠.." [1]

"وقال أبو العالية: ثم ازدادوا كفرا بذنوب أصابوها في كفرهم (١).

قال أبو عبيد: جعل أبو العالية إصابة الذنوب زيادة في الكفر، كما أن أعمال البر زيادة في الإيمان (٢).

وقال أبو علي: ما ازدادوه من الكفر إنما هو بقولهم: ﴿إنما نحن مستهزئون﴾ [البقرة: ١٤] فهذا زيادة في الكفر. ويدل على أن المستهزئ (٣) باستهزائه كافر، فيزداد به كفرا إلى كفره قوله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم﴾ إلى قوله: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠]، فإذا كان المجالس مثلهم وإن لم يظهر ذلك ولم يعتقده، فالقاتل لذلك أشد ذهابا في الكفر (٤).

وقوله تعالى: ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ إن قيل: إن الله عز وجل لا يغفر الكفر وقد أخبر به، فلم قال ههنا فيمن آمن ثم كفر، ثم آمن ثم كفر: ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾؟

فالجواب: أن الله تعالى يغفر للكافرين (٥) كفره إذا آمن، فإن كفر بعد إيمانه لن يغفر له الكفر الأول، لأنه إذا كفر بعد إيمان قبله كفر، كان مطالبا بجميع كفره.

وهذا جواب ذكره الزجاج (٦)، وبه قال بعض الأصوليين (٧).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨٣/٥

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في المخطوط: "المستهزئين"، والتصويب من "الحجة" ١/ ٢٣٤.

(٤) "الحجة" لأبي علي ١/ ٢٣٤، ٢٣٥.

(٥) هكذا في المخطوط، والإفراد أظهر.

(٦) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ١٢٠.

(٧) لم أقف عليه.." [1]

"قال المفسرون: الذي نزل في النهي عن مجالستهم ما نزل بمكة من قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم﴾ الآية [الأنعام: ٦٨] وكان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود، فيسخرون من القرآن ويكذبون به فنهى الله عز وجل المسلمين (١).

وقوله تعالى: ﴿أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها﴾ أي إذا سمعتم الكفر بآيات الله والاستهزاء بها ، ولكن أوقع فعل السماع على الآيات والمراد بالسماع الاستهزاء (٢).

قال الكسائي: وهو كمال تقول العرب: سمعت عبد الله يلام، وأتيت عبد الله يلام، إنما سمع اللوم فأوقع على الملوم (٣).

وقوله تعالى: ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾.

أي يأخذوا في حديث غير الكفر والاستهزاء، فكنى عنه لأن الفعل يدل على المصدر.

وقوله تعالى: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾، قال ابن عباس: "يريد إنكم كافرون مثلهم" (٤).

وهذا دليل على الوعيد لمن رضي بحالهم وم‍ا هم عليه من الكفر والاستهزاء (٥)، أو من رضي بالكفر فهو كافر، ويدل على أن من رضي بمنكر وخالط أهله وإن لم يباشر ذلك كان في الإثم والمعصية بمنزلة

---

(١) من "الكشف والبيان" ٤/ ١٣٤ أبتصرف، وانظر: "بحر العلوم" ١/ ٣٩٨، والبغوي ٢/ ٣٠١، و"الكشاف" ١/ ٣٠٥، و"زاد المسير" ٢/ ٢٢٨، و"الدر المنثور" ٢/ ٤١٥.

(٢) انظر: القرطبي ٥/ ٤١٧، ٤١٨.

(٣) لم أقف عليه عن الكسائي، وانظر: القرطبي ٥/ ٤١٨.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٤٩/٧

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: الطبري ٥/ ٣٣٠.." [1]

"لأن الله تعالى خوفهم فقال: إن قعدتم معهم ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠] وقال غيرهم: (ليست بمنسوخة، ولكن المعنى: ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ إذا قعدوا معهم بشرط التذكير والموعظة) (١).

٧٠ - قوله تعالى: ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا﴾ الآية، قال ابن عباس (٢) والمفسرون (٣): (يعني: الكفار الذين إذا سمعوا آيات الله استهزؤوا بها وتلاعبوا عند ذكرها).

وقال الفراء: (يقال: ليس من قوم إلا ولهم عيد فهم (٤) يلهون في أعيادهم إلا أمة محمد، فإن أعيادهم بر وصلاة وتكبير وخير) (٥)، وهذا قول الكلبي (٦)، فعلى القول الأول معنى قوله ﴿دينهم﴾: الذي شرع لهم، وعلى قول الفراء المراد بالدين: العيد؛ لأنه مما يتدين (٧) به فصار داخلا في جملة الدين.

---

(١) هذا هو الظاهر، واختيار النحاس في "ناسخه" ٢/ ٣١٩، ومكي في "الإيضاح" ص ٢٤٣، وابن الجوزي في "النواسخ" ص ٥٢٣، ومصطفى زيد في "النسخ في القرآن" ١/ ٤٤٠، قالوا: (الآية خبر ومحال نسخه، والمعنى فيه بين، أي: ما عليكم شيء من آثامهم إنما يلزمكم الإنذار والنهي عن المنكر، ولا يقعد معه راضيا بقوله وفعله وإلا كان مثله) وانظر: ابن عطية ٥/ ٢٣٥، والقرطبي ٧/ ١٥، وانظر: "مفهوم النسخ عند السلف" في ص ٢٦٧.

(٢) ذكر نحوه بدون نسبة البغوي ٣/ ١٥٥، وابن الجوزي ٣/ ٦٤.

(٣) انظر: الطبري ٧/ ٢٣١، والماوردي ٢/ ١٢٩.

(٤) في (ش): (عيد فلهم)، وهو تحريف.

(٥) "معاني الفراء" ١/ ٣٣٩.

(٦) ذكره السمرقندي ١/ ٤٩٣، والقرطبي ٧/ ١٦، وذكره الرازي ١٣/ ٢٧ عن ابن عباس.

(٧) في (ش): (مما تدين به).." [2]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٧/١٥٤

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٨/٢١٤

"الذين يتخذون الكافرين﴾ [النساء: ١٣٩] يعني: اليهود ﴿أولياء من دون المؤمنين﴾ [النساء: ١٣٩] كان المنافقون يوالون اليهود ويتوهمون أن لهم القوة والمنعة وذلك قوله: ﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ [النساء: ١٣٩] أي: القوة بالظهور على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والمعنى: أيطلبون أن يتقووا بهم فيظهروا على المسلمين؟ وقوله: ﴿فإن العزة لله جميعا﴾ [النساء: ١٣٩] أي: الغلبة والقوة لأنه عزيز بعزه ومعز من عز من عباده بما خلق من العزة، فله العزة جميعا من كل وجه.

﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ﴿١٤٠﴾ الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴿١٤١﴾ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ﴿١٤٢﴾ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴿١٤٣﴾ ﴾ [النساء: ١٤٠-١٤٣] قوله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب﴾ [النساء: ١٤٠] الآية، قال المفسرون: الذي نزل عليهم في الكتاب: النهي عن مجالستهم.

وهو قوله: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم﴾ [الأنعام: ٦٨] الآية.

وكان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود فيسخرون من القرآن، ويكذبون به، فنهى الله المسلمين عن مجالستهم.

وقوله: ﴿أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها﴾ [النساء: ١٤٠] أي: إذا سمعتم الكفر بآيات الله والاستهزاء بها ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ [النساء: ١٤٠] أي: يأخذوا في حديث غير الكفر والاستهزاء.

﴿إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠] أي: إنكم كافرون مثلهم لأن من رضي بالكفر فهو كافر.

وهذا يدل على أن من." (١)

"﴿لم يكن الله ليغفر لهم:﴾ شيئا من كفرهم الأول والثاني والثالث؛ لأن الكفر المتأخر أحبط العمل المتقدم (١).

﴿ولا ليهديهم سبيلا:﴾ لا يوفقهم، والتوفيق هو التيسير لليسرى، وذلك غير واجب بعد التمكين الذي يلزم

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ١٢٩/٢

به الحجة (٢).

وقبول توبة هؤلاء مختلف فيه (٣).

١٣٩ - ﴿أيبتغون:﴾ على الإنكار.

﴿فإن العزة:﴾ «أي: المنعة» (٤).

﴿لله جميعا﴾ يكرم بها من يشاء وقد ردها (٥) لرسوله وللمؤمنين.

١٤٠ - ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب:﴾ قوله: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم﴾ [الأنعام:٦٨] (٦).

و ﴿أن:﴾ لترجمة المنزل ما هو، والتقدير: وقد نزل عليكم في الكتاب شيئا وهو قوله: ﴿إذا سمعتم آيات الله﴾ (٨٩ ظ) ﴿يكفر بها ويستهزأ بها (٧)﴾: بالقرآن، وهو استخفافه.

﴿فلا تقعدوا معهم:﴾ فطرد المعاشرة دون المجادلة والتقية، وإنما أباح القعود بعد الغاية لرفع الجناح أو لاستمالتهم (٨).

والكناية في (معهم) راجعة إلى (٩) الكافرين والمستهزئين.

و (الخوض) في الحديث هو الشروع في الكلام، وضده الإمساك عنه (١٠).

﴿إنكم إذا مثلهم:﴾ أي: إن قعدتم معهم موالين إياهم كنتم مثلهم في الكفر والنفاق (١١).

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ١٢٠، والتبيان في تفسير القرآن ٣/ ٣٥٩ - ٣٦٠.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٥/ ٤٤١.

(٣) ينظر: تفسير البغوي ١/ ٤٩٠.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ١٢٠، ومعاني القرآن الكريم ٢/ ٢١٨.

(٥) في الأصل وع وب: وردها. وينظر: التفسير الكبير ١١/ ٨٠.

(٦) ينظر: تفسير القرآن الكريم ٢/ ٤٤٥ - ٤٤٦، وتفسير البغوي ١/ ٤٩١، والقرطبي ٥/ ٧؟؟؟.

(٧) (ويستهزأ بها) ليس في ب. وينظر في توجيه (أن): المجيد ٤٦٢ - ٤٦٣ (تحقيق: د. عطية أحمد)، والدر المصون ٤/ ١٢٠ - ١٢١.

(٨) ينظر: التفسير الكبير ١١/ ٨١.

(٩) ساقطة من ب. وينظر: الكشاف ١/ ٥٧٨، ومجمع البيان ٣/ ٢١٧، والبحر المحيط ٣/ ٣٩٠.
(١٠) في ب: عنهم.
(١١) ينظر: تفسير الطبري ٥/ ٤٤٣، وتفسير القرآن الكريم ٢/ ٤٤٦، وتفسير البغوي ١/ ٤٩١.." [١]

"﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (١٤١) ﴾

﴿وقد نزل عليكم في الكتاب﴾ قرأ عاصم ويعقوب "نزل " بفتح النون والزاي، أي: نزل الله، وقرأ الآخرون "نزل " بضم النون وكسر الزاي، أي: عليكم يا معشر المسلمين، ﴿أن إذا سمعتم آيات الله﴾ يعني القرآن، ﴿يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم﴾ يعني: مع الذي يستهزئون، ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ أي: يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، وهذا إشارة إلى ما أنزل الله في سورة الأنعام "وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره" (الأنعام -٦٨) .

وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة، ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ أي: إن قعدتم عندهم وهم يخوضون ويستهزئون ورضيتم به فأنتم كفار مثلهم، وإن خاضوا في حديث غيره فلا بأس بالقعود معهم مع الكراهة، وقال الحسن: لا يجوز القعود معهم وإن خاضوا في حديث غيره، لقوله تعالى: ﴿وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ والأكثرون على الأول. وآية الأنعام مكية وهذه مدنية والمتأخر أولى: ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾

﴿الذين يتربصون بكم﴾ [ينتظرون بكم الدوائر] (١) ، يعني: المنافقين، ﴿فإن كان لكم فتح من الله﴾ يعني: ظفر وغنيمة، ﴿قالوا﴾ لكم ﴿ألم نكن معكم﴾ على دينكم في الجهاد، كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة، ﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾ يعني دولة وظهور على المسلمين، ﴿قالوا﴾ يعني: المنافقين للكافرين، ٩٨/ب ﴿ألم نستحوذ عليكم﴾ والاستحواذ: هو الاستيلاء والغلبة، قال تعالى: "استحوذ عليهم الشيطان" (المجادلة -١٩) أي: استولى وغلب، يقول: ألم نخبركم بعورة محمد

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٥٣٤/١

(١) ما بين القوسين ساقط من: (أ) .." [1]

"﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠) ﴾." [2]

"المبالغة التي يعطيها اللام، والمراد بنفيهما نفى ما يقتضيهما وهو الإيمان الخالص الثابت. والمعنى: إن الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه، يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف، من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله، لأن قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة، وكان الإيمان أهون شيء عندهم وأدونه، حيث يبدو لهم فيه كرة بعد أخرى وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم، لأن ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع، ولكنه استبعاد له واستغراب، وأنه أمر لا يكاد يكون، وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع، لا يكاد يرجى منه الثبات. والغالب أنه يموت على شر حال وأسمج صورة. وقيل: هم اليهود، آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالإنجيل وبعيسى. ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم.

[سورة النساء (٤) : الآيات ١٣٨ الى ١٣٩]

بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩)

بشر المنافقين وضع (بشر) مكان: أخبر، تهكما بهم. والذين نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين، أو هم الذين. وكانوا يمايلون الكفرة «١» ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض: لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود. فإن العزة لله جميعا يريد لأوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم، وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

[سورة النساء (٤) : الآيات ١٤٠ الى ١٤١]

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٠١/٢

(٢) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٠١/٢

وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠) الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (١٤١)

---

(١) . قوله «يمايلون الكفرة» : لعله «يمالئون» . (ع)." [(١)]

"موسى وأولاها، وقد تعلقت بها معجزات شتى: من انقلابها حية، وتلقفها ما أفكته السحرة، وانفلاق البحر، وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها، وكونها حارسا، وشمعة، وشجرة خضراء مثمرة، ودلوا ورشاء. جعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل، فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز أن تراد الآيات أنفسها، أى: هي آيات وحجة بينة عالين متكبرين إن فرعون علا في الأرض، لا يريدون علوا في الأرض أو متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم.

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٤٧ الى ٤٨]

فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون (٤٧) فكذبوهما فكانوا من المهلكين (٤٨)

البشر يكون واحدا وجمعا: بشرا سويا

، لبشرين، فإما ترين من البشر و «مثل» و «غير» يوصف بهما: الاثنان، والجمع، والمذكر، والمؤنث: إنكم إذا مثلهم، ومن الأرض مثلهن ويقال أيضا: هما مثلاه، وهم أمثاله: إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم. وقومهما يعنى بنى إسرائيل، كأنهم يعبدوننا خضوعا وتذللا. أو لأنه كان يدعى الإلهية فادعى للناس العبادة، وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة.

[سورة المؤمنون (٢٣) : آية ٤٩]

ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون (٤٩)

موسى الكتاب أى قوم موسى التوراة لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها، كما قال: على خوف من فرعون وملائهم يريد آل فرعون، وكما يقولون: هاشم، وثقيف، وتميم، ويراد قومهم. ولا يجوز أن يرجع الضمير في

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٧٧/١

لعلهم إلى فرعون وملئه، لأن التوراة إنما أوتيها بنو إسرائيل بعد إغراق فرعون وملئه: ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى.

[سورة المؤمنون (٢٣) : آية ٥٠]

وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين (٥٠)

فإن قلت: لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه؟ قلت: نعم، لأن مريم ولدت من غير مسيس، وعيسى روح من الله ألقى إليها، وقد تكلم في ا لمهد وكان يحيى الموتى مع معجزات أخر، فكان آية من غير وجه، واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية ثم حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها. الربوة والرباوة في رائهما الحركات. وقرئ: ربوة ورباوة، بالضم. ورباوة بالكسر وهي الأرض المرتفعة. قيل: هي إيليا أرض بيت المقدس، وأنها." [١]

"التي لم تتلاحق في زمان واحد، وليس هذا مقصد الآية، وإنما توجد هذه الصفة في شخص من المنافقين، لأن الرجل الواحد منهم يؤمن ثم يكفر، ثم يوافي على الكفر وتأمل قوله تعالى: لم يكن الله ليغفر لهم فإنها عبارة تقتضي أن هؤلاء محتوم عليهم من أول أمرهم، ولذلك ترددوا وليست هذه العبارة مثل أن يقول:

لا يغفر الله لهم، بل هي أشد، وهي مشيرة إلى استدراج من هذه حاله وإهلاكه، وهي عبارة تقتضي لسامعها أن ينتبه ويراجع قبل نفوذ الحتم عليه، وأن يكون من هؤلاء، وكل من كفر كفرا واحدا ووافى عليه فقد قال الله تعالى: إنه لا يغفر له، ولم يقل «لم يكن الله ليغفر له» فتأمل الفرق بين العبارتين فإنه من دقيق غرائب الفصاحة التي في كتاب الله تعالى، كأن قوله لم يكن الله حكم قد تقرر عليهم في الدنيا وهم أحياء.

قوله تعالى:

[سورة النساء (٤) : الآيات ١٣٨ الى ١٤٠]

بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨) ا لذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩) وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٨٩/٣

جهنم جميعا (١٤٠)

في هذه الآية دليل ما على أن التي قبلها إنما هي في المنافقين، كما ترجح آنفا، وجاءت البشارة هنا مصرحا بقيدها، فلذلك حسن استعمالها في المكروه، ومتى جاءت مطلقة فإنما عرفها في المحبوب.

ثم نص تعالى في صفة المنافقين على أشدها ضررا على المؤمنين، وهي موالاتهم الكفار واطراحهم المؤمنين، ونبه على فساد ذلك ليدعه من عسى أن يقع في نوع منه من المؤمنين غفلة أو جهالة أو مسامحة، ثم وقف تعالى على جهة التوبيخ على مقصدهم في ذلك، أهو طلب العزة والاستكثار بهم أي ليس الأمر كذلك بل العزة كلها لله يؤتيها من يشاء، وقد وعد ب١٠ المؤمنين، وجعل العاقبة للمتقين، والعزة أصلها: الشدة والقوة، ومنه الأرض العزاز أي: الصلبة، ومنه عزني [ص: ٢٣] أي: غلبني بشدته، واستعز المرض إذا قوي، إلى غير هذا من تصاريف اللفظة.

وقوله تعالى وقد نزل عليكم مخاطبة لجميع من أظهر الإيمان من محقق ومنافق، لأنه إذا أظهر الإيمان فقد لزمه أن يمتثل أوامر كتاب الله تعالى، والإشارة بهذه الآية إلى قوله تعالى: وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره [الإنعام: ٦٨] ، إلى نحو هذا من الآيات، وقرأ جمهور الناس «نزل عليكم» بضم النون وكسر الزاي المشددة قال الطبري: وقرأ بعض الكوفيين «نزل» بفتح النون والزاي المشددة على معنى نزل الله، وقرأ أبو حيوة وحميد «نزل» بفتح النون والزاي خفيفة، وقرأ إبراهيم النخعي «أنزل» بألف على بناء الفعل للمفعول، والكتاب في هذا الموضع القرآن، وفي هذه الآية دليل قوي على وجوب تجنب أهل البدع وأهل المعاصي، وأن لا يجالسوا، وقد روي عن عمر بن عبد العزيز أنه أخذ قوما يشربون الخمر فقيل له عن أحد الحاضرين: إنه صائم فحمل." (١)

"عليه الأدب، وقرأ هذه **الآية إنكم إذا مثلهم وهذه** المماثلة ليست في جميع الصفات، ولكنه إلزام شبه بحكم الظاهر من المقارنة، وهذا المعنى كقول الشاعر: [الطويل]

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

ثم توعد تعالى المنافقين والكافرين بجمعهم في جهنم، فتأكد بذلك النهي والحذر من مجالسهم وخلطتهم.

قوله تعالى:

[سورة النساء (٤) : الآيات ١٤١ الى ١٤٣]

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٢٥/٢

الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (١٤١) إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (١٤٢) مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (١٤٣)

الذين صفة للمنافقين، ويتربصون معناه: ينتظرون دور الدوائر عليكم، فإن كان فتح للمؤمنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يظهرونه من الإيمان، وإن كان للكافرين نيل من المؤمنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يبطنونه من موالاة الكفار، وهذا حال المنافقين، ونستحوذ معناه: نغلب على أمركم، ونحطكم ونحسم أمركم، ومنه قول العجاج في صفة ثور وبقر: [الرجز] يحوذهن وله حوذي أي يغلبهن على أمرهن، ويغلب الثيران عليهن، ويروى يحوزهن بالزاي، ومن اللفظة قول لبيد في صفة عير وأتن:

إذا اجتمعت وأحوذ جانبيها ... وأوردها على عوج طوال

أحوذ جانبيها قهرها وغلب عليها. وقوله تعالى: استحوذ عليهم الشيطان [المجادلة: ١٩] معناه: غلب عليهم، وشذ هذا الفعل في أن لم تعل واوه، بل استعملت على الأصل، وقرأ أبي بن كعب «ومنعناكم من المؤمنين» وقرأ ابن أبي عبلة «ونمنعكم» بفتح العين على الصرف، ثم سلى وأنس المؤمنين بما وعدهم به في قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة أي وبينهم وينصفكم من جميعهم، وبقوله ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وقال يسيع الحضرمي: كنت عند علي بن أبي طالب فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أرأيت قول الله تعالى: ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا كيف ذلك وهم يقاتلوننا ويظهرون علينا أحيانا؟ فقال علي رضي الله عنه: معنى ذلك: يوم القيامة يكون الحكم، وبهذا قال جميع أهل التأويل.." (١)

"[سورة النساء (٤) : آية ١٣٨]

بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨)

قوله تعالى: بشر المنافقين زعم مقاتل أنه لما نزلت المغفرة في سورة الفتح للنبي والمؤمنين قال عبد الله بن أبي ونفر معه: فما لنا؟ فنزلت هذه الآية «١» . وقال غيره: كان المنافقون يتولون اليهود، فألحقوا بهم في التبشير بالعذاب. وقال الزجاج: معنى الآية: اجعل موضع بشارتهم العذاب. والعرب تقول: تحيتك الضرب،

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٢٦/٢

أي: هذا بدل لك من التحية. قال الشاعر:

وخيل قد دلفت لها بخيل ... تحية بينهم ضرب وجيع «٢»

[سورة النساء (٤) : آية ١٣٩]

الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩)

قوله تعالى: الذين يتخذون الكافرين أولياء قال ابن عباس: يتخذون اليهود أولياء في العون والنصرة. قوله تعالى: أيبتغون عندهم العزة أي: القوة بالظهور على محمد وأصحابه، والمعنى:

أيتقون بهم؟ قال مقاتل: وذلك أن اليهود أعانوا مشركي العرب على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال الزجاج: أيبتغي المنافقون عند الكافرين العزة. و «العزة» : المنعة، وشدة الغلبة، وهو مأخوذ من قولهم: أرض عزاز. قال الأصمعي: العزاز: الأرض التي لا تنبت. فتأويل العزة: الغلبة والشدة التي لا يتعلق بها إذلال.

قالت الخنساء:

كأن لم يكونوا حمى يتقى ... إذ الناس إذ ذاك من عز بزا

أي: من قوي وغلب سلب. ويقال: قد استعز على المريض، أي: اشتد وجعه. وكذلك قول الناس: يعز علي أن يفعل، أي: يشتد، وقولهم: قد عز الشيء: إذا لم يوجد، معناه: صعب أن يوجد، والباب واحد.

[سورة النساء (٤) : آية ١٤٠]

وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠)

قوله تعالى: وقد نزل عليكم في الكتاب وقرأ عاصم، ويعقوب: «نزل» بفتح النون والزاي.

قال المفسرون: الذي نزل عليهم في النهي عن مجالستهم، قوله في الأنعام وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم «٣» وكان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود، فيسخرون من القرآن ويكذبون به، فنهى الله المسلمين عن مجالستهم. وآيات الله: هي القرآن. والمعنى: إذا سمعتم الكفر بآيات الله، والاستهزاء بها، فلا تقعدوا معهم حتى يأخذوا في حديث غير الكفر، والاستهزاء. إنكم إن جالستموهم على ما هم عليه من ذلك، فأنتم مثلهم، وفي ماذا تقع المماثلة فيه، قولان: أحدهما:

---

(١) باطل. عزاه المصنف لمقاتل، وهو متهم بالوضع، كما تقدم، وخبره لا شيء، ليس له أصل.

(٢) في «الخزانة» ٤/ ٥٣ قال البغدادي: وهذا البيت نسبه شراح أبيات «الكتاب» وغيرهم إلى عمرو بن معديكرب الصحابي ولم أره في شعره. وفي «اللسان» : دلف: الدليف: المشي الرويد. ودلفت الكتيبة إلى الكتيبة في الحرب تقدمت. وجيع أي موجع.

(٣) سورة الأنعام: ٦٨.." [١]

"ثم قال تعالى: بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما.

واعلم أن من حمل الآية المتقدمة على المنافقين قال إنه تعالى بين أنه لا يغفر لهم كفرهم ولا/ يهديهم إلى الجنة، ثم قال: وكما لا يوصلهم إلى دار الثواب فإنه مع ذلك يوصلهم إلى أعظم أنواع العقاب، وهو المراد من قوله بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما وقوله بشر تهكم بهم، والعرب تقول: تحيتك الضرب، وعتابك السيف. ثم قال تعالى:

[سورة النساء (٤) : آية ١٣٩]

الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩)

الذين: نصب على الذم، بمعنى أريد الذين، أو رفع بمعنى هم الذين، واتفق المفسرون على أن المراد بالذين يتخذون: المنافقون، وبالكافرين اليهود، وكان المنافقون يوالونهم ويقول بعضهم لبعض: إن أمر محمد لا يتم، فيقول اليهود بأن العزة والمنعة لهم.

ثم قال تعالى: أيبتغون عندهم العزة قال الواحدي: أصل العزة في اللغة الشدة، ومنه قيل للأرض الصلبة الشديدة: عزاز، ويقال: قد استعز المرض على المريض إذا اشتد مرضه وكاد أن يهلك، وعز الهم اشتد، ومنه عز علي أن يكون كذا بمعنى اشتد، وعز الشيء إذا قل حتى لا يكاد يوجد لأنه اشتد مطلبه، واعتز فلان بفلان إذا اشتد ظهره به، وشاة عزوز التي يشتد حلبها ويصعب والعزة القوة منقولة من الشدة لتقارب معنييهما. والعزيز القوي المنيع بخلاف الذليل.

إذا عرفت هذا فنقول: إن المنافقين كانوا يطلبون العزة والقوة بسبب اتصالهم باليهود، ثم إنه تعالى أبطل عليهم هذا الرأي بقوله فإن العزة لله جميعا.

فإن قيل: هذا كالمناقض لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين [المنافقين: ٨] .

قلنا: القدرة الكاملة لله، وكل من سواه فبإقداره صار قادرا، وبإعزازه صار عزيزا، فالعزة الحاصلة للرسول عليه

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤٨٧/١

الصلاة والسلام وللمؤمنين لم تحصل إلا من الله تعالى، فكان الأمر عند التحقيق أن العزة جميعا لله. ثم قال تعالى:

[سورة النساء (٤) : آية ١٤٠]

وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠)

قال المفسرون: إن المشركين كانوا في مجالسهم يخوضون في ذكر القرآن ويستهزؤن به، فأنزل الله تعالى: وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره [الأنعام: ٦٨]." [١]

"وهذه الآية نزلت بمكة، ثم إن أحبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين، والقاعدون معهم والموافقون لهم على ذلك الكلام هم المنافقون، فقال تعالى مخاطبا للمنافقين إنه قد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها والمعنى إذا سمعتم الكفر بآيات الله والاستهزاء بها، ولكن أوقع فعل السماع على الآيات والمراد به سماع الاستهزاء. قال الكسائي: وهو كما يقال: سمعت عبد الله يلام. وعندي فيه وجه آخر وهو أن يكون المعنى: إذا سمعتم آيات الله حال ما يكفر بها ويستهزأ بها، وعلى هذا التقدير فلا حاجة إلى ما قال الكسائي، فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غير الكفر والاستهزاء.

ثم قال: إنكم إذا مثلهم.

والمعنى: أيها المنافقون أنتم مثل أولئك الأحبار في الكفر. قال أهل العلم: هذا يدل على أن من رضي بالكفر فهو كافر، ومن رضي بمنكر يراه وخالط أهله وإن لم يباشر كان في الإثم بمنزلة المباشر بدليل أنه تعالى ذكر لفظ المثل هاهنا، هذا إذا كان الجالس راضيا بذلك الجلوس، فأما إذا كان ساخطا لقولهم وإنما جلس على سبيل التقية والخوف فالأمر ليس كذلك، ولهذه الدقيقة قلنا بأن المنافقين الذين كانوا يجالسون اليهود، وكانوا يطعنون في القرآن والرسول كانوا كافرين مثل أولئك اليهود، والمسلمون الذين كانوا بالمدينة كانوا بمكة يجالسون الكفار الذين كانوا يطعنون في القرآن فإنهم كانوا باقين على الإيمان، والفرق أن المنافقين كانوا يجالسون اليهود مع الاختيار، والمسلمين كانوا يجالسون الكفار عند الضرورة.

ثم إنه تعالى حقق كون المنافقين مثل الكافرين في الكفر فقال: إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٤٦/١١

جميعا.
يريد كما أنهم اجتمعوا على الاستهزاء بآيات الله في الدنيا فكذلك يجتمعون في عذاب جهنم يوم القيامة، وأراد جامع بالتنوين لأنه بعد ما جمعهم ولكن حذف التنوين استخفافا من اللفظ وهو مراد في الحقيقة.

[سورة النساء (٤) : آية ١٤١]
الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (١٤١)
اعلم أن قوله الذين يتربصون بكم إما بدل من الذين يتخذون، وإما صفة للمنافقين، وإما نصب على الذم، وقوله يتربصون أي ينتظرون ما يحدث من خير أو شر، فإن كان لكم فتح أي ظهور على اليهود قالوا للمؤمنين ألم نكن معكم، أي فأعطونا قسما من الغنيمة، وإن كان للكافرين يعني اليهود نصيب، أي ظفر على المسلمين قالوا ألم نستحوذ عليكم، يقال: استحوذ على فلان، أي غلب عليه وفي تفسير هذه الآية وجهان:
الأول: أن يكون بمعنى ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم ثم لم نفعل شيئا من ذلك ونمنعكم من المسلمين بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا لنا نصيبا مما أصبتم.
الثاني: أن يكون المعنى أن أولئك الكفار واليهود كانوا قد هموا بالدخول في الإسلام، ثم إن المنافقين حذروهم عن ذلك وبالغوا في تنفيرهم عنه وأطمعوهم أنه سيضعف أمر محمد وسيقوى أمركم، فإذا اتفقت لهم صولة على." (١)

"بضربها بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة مثمرة ودلوا ورشاء، فلأجل انفراد العصا بهذه الفضائل أفردت بالذكر كقوله جبريل وميكال وثانيها: يجوز أن يكون المراد بالآيات نفس تلك المعجزات وبالسلطان المبين كيفية دلالتها على الصدق، وذلك لأنها وإن شاركت سائر آيات الأنبياء في كونها آيات فقد فارقتها في قوة دلالتها على قوة موسى عليه السلام وثالثها: أن يكون المراد بالسلطان المبين استيلاء موسى عليه السلام عليهم في الاستدلال على وجود الصانع وإثبات النبوة وأنه ما كان يقيم لهم قدرا ولا وزنا.

---
(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٤٧/١١

واعلم أن الآية تدل على أن معجزات موسى عليه السلام كانت معجزات هارون عليه السلام أيضا، وأن النبوة كما أنها مشتركة بينهما فكذلك المعجزات، ثم إنه سبحانه حكى عن فرعون وقومه صفتهم ثم ذكر شبهتهم أما صفتهم فأمران أحدهما: الاستكبار والأنفة والثاني: أنهم كانوا قوما عالين أي رفيعي الحال في أمور الدنيا، ويحتمل الاقتدار بالكثرة والقوة وأما شبهتهم فهي/ قولهم: أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون قال صاحب «الكشاف» لم يقل مثلينا كما **قال: إنكم إذا مثلهم [**النساء: ١٤٠] ولم يقل أمثالهم وقال: كنتم خير أمة [آل عمران: ١١٠] ولم يقل أخيار أمة كل ذلك لأن الإيجاز أحب إلى العرب من الإكثار والشبهة مبنية على أمرين: أحدهما: كونهما من البشر وقد تقدم الجواب عنه والثاني: أن قوم موسى وهارون كانوا كالخدم والعبيد لهم قال أبو عبيدة العرب تسمي كل من دان لملك عابدا له ويحتمل أن يقال إنه كان يدعي الإلهية فادعى أن الناس عباده وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة ثم بين سبحانه أنه لما خطرت هذه الشبهة ببالهم صرحوا بالتكذيب وهو المراد من قوله: فكذبوهما.

ولما كان ذلك التكذيب كالعلة لكونهم من المهلكين لا جرم رتبه عليه بفاء التعقيب فقال وكانوا ممن حكم الله عليهم بالغرق فإن حصول الغرق لم يكن حاصلا عقيب التكذيب، إنما الحاصل عقيب التكذيب حكم الله تعالى بكونهم كذلك في الوقت اللائق به.

أما قوله: ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فقال القاضي معناه أنه سبحانه خص موسى عليه السلام بالكتاب الذي هو التوراة لا لذلك التكذيب لكن لكي يهتدوا به فلما أصروا على الكفر مع البيان العظيم استحقوا أن يهلكوا، واعترض صاحب «الكشاف» عليه فقال لا يجوز أن يرجع الضمير في لعلهم إلى فرعون وملائه لأن التوراة إنما أوتيها بنو إسرائيل بعد إغراق فرعون وملائه بدليل قوله تعالى: ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى [القصص: ٤٣] بل المعنى الصحيح: ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها فذكر موسى والمراد آل موسى كما يقال هاشم وثقيف والمراد قولهما.

[سورة المؤمنون (٢٣) : آية ٥٠]

وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين (٥٠)

القصة الخامسة- قصة عيسى وقصة مريم عليهما السلام

اعلم أن ابن مريم هو عيسى عليه السلام جعله الله تعالى آية بأن خلقه من غير ذكر وأنطقه في المهد في الصغر وأجرى على يديه إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وأما مريم فقد جعلها الله تعالى آية لأنها

حملته من غير ذكر. وقال الحسن تكلمت مريم في صغرها كما تكلم عيسى عليه السلام وهو قولها: هو من عند الله." (١)

"[سورة النساء (٤) : آية ١٣٦]

يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (١٣٦)

يا أيها الذين آمنوا خطاب للمسلمين، أو للمنافقين، أو لمؤمني أهل الكتاب إذ

روي: أن ابن سلام وأصحابه قالوا يا رسول الله: أنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه. فنزلت.

آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل اثبتوا على الإيمان بذلك وداوموا عليه، أو آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم، أو آمنوا إيمانا عاما يعم الكتب والرسل، فإن الإيمان بالبعض كلا إيمان والكتاب الأول القرآن والثاني الجنس. وقرأ نافع والكوفيون: الذي نزل والذي أنزل بفتح النون والهمزة والزاي، والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي. ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أي ومن يكفر بشيء من ذلك. فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه.

[سورة النساء (٤) : آية ١٣٧]

إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (١٣٧)

إن الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام. ثم كفروا حين عبدوا العجل.

ثم آمنوا بعد عوده إليهم. ثم كفروا بعيسى عليه الصلاة والسلام. ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم، أو قوما تكرر منهم الارتداد ثم أصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي. لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا إذ يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الإيمان، فإن قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا أنهم لو أخلصوا الإيمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم، وخبر كان في أمثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل: لم يكن الله مريدا ليغفر لهم.

[سورة النساء (٤) : الآيات ١٣٨ الى ١٣٩]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٣/٢٧٩

بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩)

بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما يدل على أن الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالإصرار على النفاق وإفساد الأمر على المؤمنين، ووضع بشر مكان أنذر تهكم بهم.

الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين في محل النصب، أو الرفع على الذم بمعنى أريد الذين أو هم الذين. أيبتغون عندهم العزة أيتعززون بموالاتهم. فإن العزة لله جميعا لا يتعزز إلا من أعزه الله، وقد كتب العزة لأوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة غيرهم بالإضافة إليهم.

[سورة النساء (٤) : آية ١٤٠]

وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠)

وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن. وقرأ عاصم نزل وقرأ الباقون نزل على البناء للمفعول والقائم مقام فاعله. أن إذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى أنه إذا سمعتم. يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله: فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما إذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو، ويؤيده." [1]

"الغاية. وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله: وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم الآية.

والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ **بها. إنكم إذا مثلهم في** الاثم لأنكم قادرون على الاعراض عنهم والإنكار عليهم، أو الكفر إن رضيتم بذلك، أو لأن الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار كانوا منافقين، ويدل عليه: إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم، وإذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر، ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وإفراد مثلهم، لأنه كالمصدر أو للاستغناء بالإضافة إلى الجمع. وقرئ بالفتح على البناء لإضافته إلى مبني كقوله تعالى: مثل ما أنكم تنطقون.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٠٣/٢

[سورة النساء (٤) : آية ١٤١]

الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (١٤١)

الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع أمر بكم، وهو بدل من الذين يتخذون، أو صفة للمنافقين والكافرين أو ذم مرفوع أو منصوب أو مبتدأ خبره. فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا مما غنمتم. وإن كان للكافرين نصيب من الحرب فإنها سجال قالوا ألم نستحوذ عليكم أي قالوا للكفرة: ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم، والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس أن يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الأصل. ونمنعكم من المؤمنين بأن خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فأشركونا فيما أصبتم، وإنما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم، فإنه مقصور على أمر دنيوي سريع الزوال. فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ أو في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة، واحتج به أصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم. والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لأنه لا ينفي أن يكون إذا عاد إلى الإيمان قبل مضي العدة.

[سورة النساء (٤) : الآيات ١٤٢ الى ١٤٣]

إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (١٤٢) مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (١٤٣)

إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم

سبق الكلام فيه أول سورة البقرة. وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى

متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان. يراؤن الناس

ليخالوهم مؤمنين المراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم أو للمقابلة فإن المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه. ولا يذكرون الله إلا قليلا

إذ المرائي لا يفعل إلا بحضرة من يرائيه، وهو أقل أحواله أو لأن ذكرهم باللسان قليل بالإضافة إلى الذكر بالقلب. وقيل: المراد بالذكر الصلاة. وقيل الذكر فيها فإنهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم.

مذبذبين بين ذلك حال من واو يراؤن

كقوله: ولا يذكرون

أي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين أو واو يذكرون أو منصوب على الذم، والمعنى: مرددين بين الإيمان والكفر من الذبذبة وهي جعل الشيء مضطربا، وأصله الذي بمعنى الطرد. وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو يتذبذبون كقولهم: صلصل بمعنى تصلصل. وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى أخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي." (١)

"وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠)

﴿وقد نزل عليكم﴾ بفتح النون عاصم وبضمها غيره ﴿في الكتاب﴾ القرآن ﴿أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ حتى يشرعوا في كلام غير الكفر والاستهزاء بالقرآن والخوض الشروع وأن مخففة من الثقيلة أي أنه إذا سمعتم أي نزل عليكم أن الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل أو فى موضع النصب بنزل والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن فى مجالسهم فيستهزءون به فنهى المسلمون عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه وكان المنافقون بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين بمكة فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ أي في الوزر إذا مكثتم معهم ولم يرد به التمثيل من كل وجه فإن خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ لاجتماعهم في الكفر والاستهزاء." (٢)

"إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا قال ابن عباس نزلت في اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم بعد ذلك كفروا بعيسى والإنجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل إنهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقيل نزلت في المنافقين وذلك أنهم آمنوا ثم كفروا بعد الإيمان ثم آمنوا يعني بألسنتهم وهو إظهارهم الإيمان لتجري عليهم أحكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم على الكفر. وقيل بذنوب

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٠٤/٢

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤٠٦/١

أحدثوها في الكفر وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا إلى الكفر ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم عليه. وذلك لأن من تكرر منه الإيمان بعد الكفر والكفر بعد الإيمان مرات كثيرة يدل على أنه لا وقع للإيمان في قلبه، ومن كان كذلك لا يكون مؤمنا بالله إيمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالإيمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته أم لا؟ حكي عن علي بن أبي طالب أنه قال لا تقبل توبته بل يقتل وذهب أكثر أهل العلم إلى أن توبته مقبولة. وقوله تعالى: لم يكن الله ليغفر لهم يعني ما أقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لأن الله تعالى أخبر أنه يغفر الكفر إذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يعني عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف يعني من كفرهم ولا ليهديهم سبيلا يعني طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين. قوله تعالى: بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما يعني أخبرهم يا محمد وإنما وضع بشر مكان أخبر تهكما بهم وقيل البشارة كل خبر تتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر أو غير سار وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لأن العرب يقول تحيتك الضرب أي هذا بدل من تحيتك قال الشاعر:

وخيل قد دلفت لها بخيل ... تحية بينهم ضرب وجيع

[سورة النساء (٤): الآيات ١٣٩ الى ١٤١]

الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩) وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠) الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (١٤١)

ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى: الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين يعني يتخذون اليهود أولياء وأنصارا وبطانة من دون المؤمنين وذلك أن المنافقين كانوا يقولون إن محمدا لا يتم أمره فيوالون اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين: أيبتغون عندهم العزة يعني يطلبون من اليهود العزة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإن العزة لله جميعا يعني فإن القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذي يعز أولياءه وأهل طاعته كما قال تعالى: ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم يا معشر المسلمين في الكتاب يعني القرآن أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها قال المفسرون الذي أنزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة الأنعام: وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض

عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا أنزله بمكة لأن المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستهزءون به في مجالسهم ثم إن أحبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون إليهم ويخوضون معهم في الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله: فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره يعني يأخذوا في حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في هذه الآية كل محدث في." (١)

"الدين وكل مبتدع إلى يوم **القيامة إنكم إذا مثلهم يعني** أنكم يا أيها الجالسون مع المستهزئين بآيات الله إذا رضيتم بذلك فأنتم وهم في الكفر سواء. قال العلماء وهذا يدل على أن من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر أو خالط أهله كان في الإثم بمنزلتهم إذا رضي به وإن لم يباشره فإن جلس إليهم، ولم يرض بفعلهم بل كان ساخط له وإنما جلس على سبيل التقية والخوف فالأمر فيه أهون من المجالسة مع الرضا وإن جلس مع صاحب بدعة أو منكر ولم يخض في بدعته أو منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال والأول أصح إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا أي إنهم اجتمعوا في الدنيا على الاستهزاء بآيات الله وكذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة قوله عز وجل: الذين يتربصون بكم نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير أو شر فإن كان لكم فتح من الله أي ظفر على عدوكم، وغنيمة تنالونها منهم قالوا يعني المنافقين لكم ألم نكن معكم يعني في الوقعة والفتح فأعطونا من الغنيمة وقيل معناه ألم نكن على دينكم وفي الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة وإن كان للكافرين نصيب أي دولة وظهور على المسلمين قالوا يعني المنافقين للكفار ألم نستحوذ عليكم الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال استحوذ فلان على فلان أي غلب عليه والمعنى أم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتالكم وأسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه ألم نغلبكم على رأيكم ونمنعكم من المؤمنين يعني في صلاتهم والدخول في دينهم وقيل معناه ألم ندفع المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا إياكم بأخبارهم وأسرارهم فهاتوا نصيبا مما أصبتم منهم ومراد المنافقين إظهار المنة على الكفار. فإن قلت لم سمي ظفر المؤمنين فتحا وسمي ظفر الكافرين نصيبا. قلت تعظيما لشأن المؤمنين وتخسيسا لحظ الكافرين لأن ظفر المؤمنين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل النصر على المسلمين وأما ظفر الكفار فما هو إلا حظ دنيء ونصيب خسيس لا يبقى منه إلا ما نالوه ولهم في الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين فالله يحكم بينكم يوم القيامة يعني الفريقين فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى إنما وضع السيف عن

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤٣٨/١

المنافقين في الدنيا لا لأجل كرامتهم بل أخر عذابهم إلى يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فيه قولان: أحدهما وهو قول علي بن أبي طالب وابن عباس أن المراد به يوم القيامة بدليل أنه عطف على قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة روي أن رجلا سأل علي بن أبي طالب عن هذه الآية: ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وهم يقتلوننا فقال ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلا. والقول الثاني إن هذا في الدنيا والمعنى أن حجة المؤمنين غالبة في الدنيا على

الكافرين وليس لأحد أن يغلبهم بالحجة وقيل معناه إن الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بأن يمحو دولة المؤمنين بالكلية حتى يستبيحوا بيضتهم فلا يبقى أحد من المؤمنين وقيل معناه إن الله لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فإن شريعة الإسلام ظاهرة إلى يوم القيامة ويتفرع على ذلك مسائل من أحكام الفقه منها أن الكافر لا يرث المسلم ومنها أن الكافر إذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها أن الكافر ليس له أن يشتري عبدا مسلما ومنها أن المسلم لا يقتل بالذمي بدليل هذه الآية.

قوله تعالى:

[سورة النساء (٤): الآيات ١٤٢ الى ١٤٤]

إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (١٤٢) مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (١٤٣) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا (١٤٤)

إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم

يعني يعاملون الله وهو يجازيهم على خداعهم وقيل معناه." [١]

"[سورة النساء (٤) : الآيات ١٢٧ الى ١٤١]

ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما (١٢٧) وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤٣٩/١

(١٢٨) ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما (١٢٩) وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما (١٣٠) ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا (١٣١)

ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا (١٣٢) إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا (١٣٣) من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا (١٣٤) يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا (١٣٥) يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (١٣٦)

إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (١٣٧) بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩) وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠) الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (١٤١)." (١)

"الذي دل عليه قوله: يكفر بها ويستهزأ أي: فلا تقعدوا مع الكافرين المستهزئين، وحتى غاية لترك القعود معهم. ومفهوم الغاية أنهم إذا خاضوا في غير الكفر والاستهزاء ارتفع النهي، فجاز لهم أن يقعدوا معهم. والضمير عائد على ما دل عليه المعنى أي: في حديث غير حديثهم الذي هو كفر واستهزاء. ويحتمل أن يفرد الضمير، وإن كان عائدا على الكفر وعلى الاستهزاء المفهومين من قوله: يكفر بها ويستهزأ بها، لأنهما راجعان إلى معنى واحد، ولأنه أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة في كونه لمفرد، وإن كان المراد به اثنين.

إنكم إذا مثلهم حكم تعالى بأنهم إذا قعدوا معهم وهم يكفرون بآيات الله ويستهزئون بها، وهم قادرون على

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/٧٩

الإنكار مثلهم في الكفر، لأنهم يكونون راضين بالكفر، والرضا بالكفر كفر. والخطاب في أنكم على الخلاف السابق أهو للمنافقين؟ أم للمؤمنين؟

ولم يحكم تعالى على المسلمين الذين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين بمكة بأنهم مثل المشركين، لعجز المسلمين إذ ذاك عن الإنكار بخلاف المدينة، فإن الإسلام كان الغالب فيها والأعلى، فهم قادرون على الإنكار، والسامع للذم شريك للقائل، وما أحسن ما قال الشاعر:

وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق به

قال ابن عطية: وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات، ولكنه إلزام شبه بحكم الظاهر من المقارنة كقوله الشاعر:

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه أخذ قوما يشربون الخمر فقيل له عن أحد الحاضرين: إنه صائم فحمل عليه الأدب، وقرأ: إنكم إذا مثلهم. ومن ذهب إلى أن معنى قوله: إنكم إذا مثلهم، إن خضتم كخوضهم ووافقتموهم على ذلك فأنتم كفار مثلهم، قوله تنبو عنه دلالة الكلام. وإنما المعنى ما قدمناه من أنكم إذا قعدتم معهم مثلهم.

وإذا هنا توسطت بين الاسم والخبر، وأفرد مثل، لأن المعنى إن عصيانكم مثل عصيانهم، فالمعنى على المصدر كقوله: أنؤمن لبشرين مثلنا «١» وقد جمع في قوله:

ثم لا يكونوا أمثالكم «٢» وفي قوله: حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون «٣» والإفراد

---

(١) سورة المؤمنون: ٣/ ٤٧.

(٢) سورة محمد: ٤٧/ ٣٨. [.....]

(٣) سورة الواقعة: ٥٦/ ٢٢- ٢٣.." [1]

"بوكيل بمسلط وقيل: لا أقدر على منعكم من التكذيب إجبارا إنما أنا منذر. قال ابن عطية: وهذا كان قبل نزول الجهاد والأمر بالقتال ثم نسخ. وقيل: لا نسخ في هذا إذ هو خبر والنسخ فيه متوجه لأن اللازم من اللفظ لست الآن وليس فيه أنه لا يكون في المستقبل.

لكل نبإ مستقر أي لكل أجل شيء ينبأ به يعني من إنبائه بأنهم يعذبون وإبعادهم به وقت استقرار وحصول

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٠٣/٤

لا بد منه. وقيل: لكل عمل جزاء وليس هذا بالظاهر. وقال السدي: استقر نبأ القرآن بما كان يعدهم من العذاب يوم بدر. وقال مقاتل: منه في الدنيا يوم بدر وفي الآخرة جهنم. وسوف تعلمون مبالغة في التهديد والوعيد فيجوز أن يكون تهديد بعذاب الآخرة، ويجوز أن يكون تهديدا بالحرب وأخذهم بالإيمان على سبيل القهر والاستيلاء.

وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه المؤمنون لأن علة النهي وهو سماع الخوض في آيات الله يشمله وإياهم. وقيل: هو خاص بتوحيده لأن قيامه عنهم كان يشق عليهم وفراقه على مغاضبه والمؤمنون عندهم ليسوا كهو. وقيل: خطاب للسامع والذين يخوضون المشركون أو اليهود أو أصحاب الأهواء ثلاثة أقوال، ورأيت هنا بصرية ولذلك تعدت إلى واحد ولا بد من تقدير حال محذوفة أي وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا وهم خائضون فيها أي وإذا رأيتهم ملتبسين بهذه الحالة. وقيل: رأيت علمية لأن الخوض في الآيات ليس مما يدرك بحاسة البصر وهذا فيه بعد لأنه يلزم من ذلك حذف المفعول الثاني من باب علمت فيكون التقدير وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا خائضين فيها وحذفه اقتصارا لا يجوز وحذفه اختصارا عزيز جدا حتى أن بعض النحويين منعه والخوض في الآيات كناية عن الاستهزاء بها والطعن فيها. وكانت قريش في أنديتها تفعل ذلك فأعرض عنهم أي لا تجالسهم وقم عنهم وليس إعراضا بالقلب وحده بينه وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم** «١» ، وقد تقدم من قول المفسرين في هذه الآية أن قوله: وقد نزل عليكم في الكتاب: أن الذي نزل في الكتاب هو قوله: وإذا رأيت الذين يخوضون الآية وحتى يخوضوا غاية الإعراض عنهم أي فلا بأس أن تجالسهم والضمير في غيره قال الحوفي عائد إلى الخوض كما قال الشاعر:

---

(١) النساء: ٤/ ١٤٠.." (١)

"في» غيره «يجوز أن يعود على الكفر والاستهزاء المفهومين من قوله» يكفر بها «و» يستهزأ بها «وإنما أفرد الضمير وإن كان المراد به شيئين لأحد أمرين: إما لأن الكفر والاستهزاء شيء واحد في المعنى، وإما لإجراء الضمير مجرى اسم الإشارة نحو:

﴿عوان بين ذلك﴾ [البقرة: ٦٨] و [قوله:]

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/٥٤٥

١٦٦ – ٤- كأنه في الجلد توليع البهق ... وقد تقدم تحقيقه في البقرة. و «حتى» غاية للنهي، والمعنى: أنه يجوز مجالستهم عند خوضهم في غير الكفر والاستهزاء.

وقوله: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ «إذن» هنا ملغاة لوقوعها بين مبتدأ وخبر. والجمهور على رفع اللام في «مثلهم» على خبر الابتداء. وقرئ شاذا بفتحها، وفيها تخريجان، أحدهما: – وهو قول البصريين- أنه خبر أيضا، وإنما فتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله تعالى: ﴿إنه لحق مثل مآ أنكم تنطقون﴾ [الذاريات: ٢٣] بفتح اللام، وقول الفرزدق:

١٦٦ – ٥-.......................... وإذما مثلهم بشر

في أحد الأوجه. والثاني: – وهو قول الكوفيين- أن «مثل» يجوز." (١)

"﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (١٣٦) ﴾

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل، بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه. كما يقول المؤمن في كل صلاة: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦] أي: بصرنا فيه، وزدنا هدى، وثبتنا عليه. فأمرهم بالإيمان به وبرسوله، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله﴾ [الحديد: ٢٨] .

وقوله: ﴿والكتاب الذي نزل على رسوله﴾ يعني: القرآن ﴿والكتاب الذي أنزل من قبل﴾ وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة، وقال في القرآن: ﴿نزل﴾ ؛ لأنه نزل مفرقا منجما على الوقائع، بحسب ما يحتاج إليه العباد إليه في معادهم ومعاشهم، وأما الكتب المتقدمة فكانت تنزل جملة واحدة؛ ولهذا قال: ﴿والكتاب الذي أنزل من قبل﴾ ثم قال ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ أي: فقد خرج عن طريق الهدى، وبعد عن القصد كل البعد.

﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (١٣٧) بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩) وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠) ﴾

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٢٢/٤

يخبر تعالى عمن دخل في الإيمان ثم رجع عنه، ثم عاد فيه ثم رجع، واستمر على ضلاله (١) وازداد حتى مات، فإنه لا توبة بعد موته، ولا يغفر الله له، ولا يجعل له مما هو فيه فرجا ولا مخرجا، ولا طريقا إلى الهدى؛ ولهذا قال: ﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبدة، حدثنا حفص بن جميع، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ثم ازدادوا كفرا﴾ قال: تمموا (٢) على كفرهم حتى ماتوا. وكذا قال مجاهد.

وروى ابن أبي حاتم من طريق جابر المعلى، عن عامر الشعبي، عن علي، رضي الله عنه، أنه قال: يستتاب المرتد، ثلاثا، ثم تلا هذه الآية: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾

---

(١) في أ: "ضلالته".

(٢) في ر، أ: "تموا".." (١)

"ثم قال: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما﴾ يعني: أن المنافقين من هذه الصفة فإنهم آمنوا ثم كفروا، فطبع على قلوبهم، ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، بمعنى أنهم معهم في الحقيقة، يوالونهم ويسرون إليهم بالمودة، ويقولون لهم إذا خلوا بهم: إنما نحن معكم، إنما نحن مستهزئون. أي بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة. قال الله تعالى منكرا عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين: ﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ ؟

ثم أخبر تعالى بأن العزة كلها لله وحده لا شريك له، ولمن جعلها له. كما قال في الآية الأخرى: ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعا﴾ [فاطر: ١٠] ، وقال تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ [المنافقون: ٨] .

والمقصود من هذا التهييج على طلب العزة من جناب الله، والالتجاء إلى عبوديته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد.

ويناسب أن يذكر (١) هاهنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد:

حدثنا حسين بن محمد، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن حميد الكندي، عن عبادة بن نسي، عن أبي ريحانة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من انتسب إلى تسعة آباء كفار، يريد بهم عزا وفخرا، فهو عاشرهم في

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٣٤/٢

النار".

تفرد به أحمد (٢) وأبو ريحانة هذا هو أزدي، ويقال: أنصاري. اسمه (٣) شمعون بالمعجمة، فيما قاله البخاري، وقال غيره: بالمهملة، والله (٤) أعلم.

وقوله [تعالى] (٥) ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ أي: إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم، ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها، وأقررتموهم على ذلك، فقد شاركتموهم في الذي هم فيه. فلهذا قال تعالى: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ [أي] (٦) في المأثم، كما جاء في الحديث: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر" (٧) .

والذي أحيل عليه في هذه الآية من النهي في (٨) ذلك، هو قوله تعالى في سورة الأنعام، وهي مكية: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم [حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين] (٩) ﴾ [الأنعام: ٦٨] قال مقاتل بن حيان: نسخت هذه الآية التي في الأنعام. يعني نسخ قوله: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ لقوله ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ [الأنعام: ٦٩] .

---

(١) في ر: "ومناسب أن ذكر".

(٢) المسند (١٣٣/٤) قال الهيثمي في المجمع (٨٥/٨) : "رجال أحمد ثقات".

(٣) في ر، أ: "واسمه".

(٤) في ر، أ: "فالله".

(٥) زيادة من ر، أ.

(٦) زيادة من ر، أ.

(٧) رواه الترمذي في سننه برقم (٢٨٠١) من حديث جابر، وفي إسناده ليث بن أبي سليم ضعيف، ورواه أحمد في المسند (٢٠/١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي إسناده مجهول، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩١/١١) من حديث عبد الله ابن عباس، وفي إسناده يحيى بن أبي سليمان وهو ضعيف.

(٨) في ر: "عن".

(٩) زيادة من: ر، أ، وفي هـ: "الآية".." [1]

"﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ [ص: ٨٨] ، وقال ﴿لكل أجل كتاب﴾ [الرعد: ٣٧] .

وهذا تهديد ووعيد أكيد؛ ولهذا قال بعده: ﴿وسوف تعلمون﴾

ثم قال: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ أي: بالتكذيب والاستهزاء ﴿فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ أي: حتى يأخذوا في كلام آخر غير ما كانوا فيه (١) من التكذيب، ﴿وإما ينسينك الشيطان﴾ والمراد بهذا كل فرد، فرد من آحاد الأمة، ألا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها، فإن جلس أحد معهم ناسيا ﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾ بعد التذكر ﴿مع القوم الظالمين﴾

ولهذا ورد في الحديث: "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" (٢)

وقال السدي، عن أبي مالك وسعيد بن جبير في قوله: ﴿وإما ينسينك الشيطان﴾ قال: إن نسيت فذكرت، فلا تجلس معهم. وكذا قال مقاتل بن حيان.

وهذه الآية هي المشار إليها في قوله: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ الآية [النساء: ١٤٠] أي: إنكم إذا جلستم معهم وأقررتموهم على ذلك، فقد ساويتموهم في الذي هم فيه.

وقوله: ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ أي: إذا تجنبوهم فلم يجلسوا معهم في ذلك، فقد برئوا من عهدتهم، وتخلصوا من إثمهم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السدي، عن أبي مالك وسعيد بن جبير، قوله: ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ قال: ما عليك أن يخوضوا في آيات الله إذا فعلت ذلك، أي: إذا تجنبتهم وأعرضت عنهم.

وقال آخرون: بل معناه: وإن جلسوا معهم، فليس عليهم من حسابهم من شيء. وزعموا أن هذا منسوخ بآية النساء المدنية، وهي قوله: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠] . قاله مجاهد، والسدي، وابن جريج، وغيرهم. وعلى قولهم، يكون قوله: ﴿ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ أي: ولكن أمرناكم (٣) بالإعراض عنهم حينئذ تذكيرا لهم عما هم فيه؛ لعلهم يتقون ذلك، ولا يعودون إليه.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢/٤٣٥

(١) في أ: "قبله".

(٢) رواه ابن ماجه في السنن برقم (٢٠٤٣) من حديث أيوب بن سويد عن أبي بكر الهذلي عن شهر عن أبي ذر الغفاري، رضي الله عنه. وقال البوصيري في الزوائد (١٣٠/٢) : "إسناده ضعيف".

(٣) في أ: "أمرناهم".." [١]

"إما لأن الكفر والاستهزاء شيء واحد في المعنى:

وإما لإجراء الضمير مجرى اسم الإشارة، نحو: ﴿عوان بين ذلك﴾ [البقرة: ٦٨] . وقوله: [الرجز]

١٨٩٠ - كأنه في الجلد توليع البهق ... وقد تقدم تحقيقه في البقرة، و «حتى» : غاية للنهي، والمعنى: أنه يجوز مجالستهم عند خوضهم في غير الكفر والاستهزاء.

قال الضحاك: عن ابن عباس: دخل في هذه الآية كل محدث في الدين، وكل مبتدع إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ «إذا» هنا: ملغاة؛ لوقوعها بين مبتدأ وخبر، والجمهور على رفع اللام في «مثلهم» على خبر الابتداء، وقرئ شاذا بفتحها، وفيها تخريجان:

أحدهما: - وهو قول البصريين - أنه خبر أيضا، وإنما فتح لإضافته إلى غير متمكن؛ كقوله - تعالى -: ﴿إنه لحق مثل مآ أنكم تنطقون﴾ [الذاريات: ٢٣] بفتح اللام، وقول الفرزدق: [البسيط]

١٨٩١ - ... ... وإذ ما مثلهم بشر

في أحد الأوجه.

والثاني: - وهو قول الكوفيين - إن «مثل» يجوز نصبها على المحل، أي: الظرف، ويجيزون: «زيد مثلك» بالنصب على المحل أي: زيد في مثل حالك، وأفرد «مثل» هنا، وإن أخبر به عن جمع ولم يطابق به كما طابق ما قبله في قوله: ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد: ٣٨] ، وقوله: ﴿وحور عين كأمثال﴾ [الواقعة: ٢٢، ٢٣] .

قال أبو البقاء وغيره: لأنه قصد به هنا المصدر، فوحد كما وحد في قوله: ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ [المؤمنون: ٤٧] . وتحرير المعنى: أن التقدير: إن عصيانكم مثل عصيانهم، إلا أن تقدير المصدرية في قوله: «لبشرين مثلنا» قلق.." [٢]

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٧٨/٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧٩/٧

"قال ع «١» : وهذا هو التأويل الراجح، وتأمل قوله تعالى: لم يكن الله ليغفر لهم فإنها عبارة تقتضي أن هؤلاء محتوم عليهم من أول أمرهم ولذلك ترددوا، وليست هذه العبارة مثل أن يقول: لا يغفر الله لهم، بل هي أشد، فتأمل الفرق بين العبارتين فإنه من دقيق غرائب الفصاحة التي في كتاب الله سبحانه.

[سورة النساء (٤) : الآيات ١٣٨ الى ١٣٩]

بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩)

وقوله تعالى: بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ... الآية: في هذه الآية دليل ما على أن التي قبلها إنما هي في المنافقين، ثم نص سبحانه من صفات المنافقين على أشدها ضررا، وهي موالاتهم الكافرين، واطراحهم المؤمنين، ونبه على فساد ذلك ليدعه من عسى أن يقع في نوع منه من المؤمنين غفلة، أو جهالة، أو مسامحة ثم وقفهم سبحانه على جهة التوبيخ، فقال: أيبتغون عندهم العزة والإستكثار، أي: ليس الأمر كذلك فإن العزة لله جميعا يؤتيها من يشاء، وقد وعد بها المؤمنين، وجعل العاقبة للمتقين، والعزة أصلها الشدة والقوة ومنه: وعزني في الخطاب [ص: ٢٣] أي: غلبني بشدته.

[سورة النساء (٤) : آية ١٤٠]

وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠)

وقوله سبحانه: وقد نزل عليكم في الكتاب ... الآية: مخاطبة لجميع من أظهر الإيمان من محقق ومنافق لأنه إذا أظهر الإيمان، فقد لزمه امتثال أوامر كتاب الله تعالى، والإشارة بهذه الآية إلى قوله تعالى: وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره [الأنعام: ٦٨] إلى نحو/ هذا من الآيات، والكتاب في هذا الموضع القرآن، وفي الآية دليل قوي على وجوب تجنب أهل البدع والمعاصي، وألا يجالسوا، وقد قيل: [الطويل]

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن مقتد «٢»

وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات، ثم توعد سبحانه المنافقين والكافرين بجمعهم في جهنم، فتأكد بذلك النهي عن مجالستهم وخلطتهم.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ١٢٤) .

(٢) ينظر البيت في «العزلة» للخطابي ص (٦٩) وينظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ١٢٦) .." [1]

"الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فلا يقتصرن قاصر الهمة على السعي للدنيا فقط، أو معناه فيعطيه ما يريد وليس له في الآخرة من نصيب (وكان الله سميعا بصيرا) فلا يخفى عليه خافية ويجازى بحسب قصده.

* * *

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا (١٣٥) يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (١٣٦) إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (١٣٧) بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩) وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠) الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (١٤١)

* * *." [2]

"(وقد نزل عليكم في الكتاب) في القرآن (أن) أي: أنه (إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) حالان من الآيات (فلا تقعدوا معهم) مع من يكفر ويستهزئ (حتى يخوضوا في حديث غيره) الاستهزاء، وهذا تذكار ما نزل عليهم بمكة من قوله " وإذا رأيت الذين يخوضون في ءاياتنا " الآية [الأنعام: ٦٨]، (إنكم إذا مثلهم) في الكفر إن رضيتم بذلك، أو في الإثم فإنكم قادرون على الإعراض والإنكار، وقيل: هي منسوخة بقوله: (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) إلخ (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) كما اجتمعوا على الاستهزاء بالآيات (الذين يتربصون بكم) ينتظرون وقوع أمر بكم، بدل من

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢/٣١٧

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤١٧/١

الذين أو مبتدأ وخبره (فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم) ففي الدين والنصرة فأسهموا لنا من الغنيمة (وإن كان للكافرين نصيب) من الظفر فإن الحرب سجال (قالوا) للكافرين (ألم نستحوذ عليكم) ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فما فعلنا شيئا من ذلك (ونمنعكم من المؤمنين) بأن ثبطناهم عنكم بتخييلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم، أو معناه نصرفكم عن الدخول في جملتهم، فإن." (١)

"باعتبار القرآن، (وإما ينسينك الشيطان): النهي عن مجالستهم بوساوسه، (فلا تقعد بعد الذكرى بعد أن تذكر، (مع القوم الظالمين)، معهم فإنهم ظلمة لوضع التكذيب، والسخرية موضع التصديق والتعظيم، (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء): ما عليهم شيء مما يحاسبون عليه أي: من آثام الخائضين إن قعدوا معهم، (ولكن ذكرى) أي: لكن عليهم أن يذكروهم، ويمنعوهم، ويعظوهم، (لعلهم يتقون): يجتنبون الخوض كراهة لمساءتهم نقل أنه لما نزل النهي عن مجالستهم قال المسلمون: إذا لم نستطع أن نجلس في الحرم ونطوف فإنهم يخوضون أبدا، فنزلت رخصة لهم في القعود بشرط التذكير، قال كثير من السلف: هذا منسوخ بآية النساء المدنية، وهي قوله " **إنكم إذا مثلهم** " [النساء: ١٤٠]، وفي رواية قال المسلمون: نخاف الإثم حين نتركهم ولا ننهاهم وحينئذ معنى قوله: " ولكن ذكرى " أي: ولكن عليكم التجنب وتذكر النهي لعلهم يتقون حين يروا إعراضكم عنهم، وصح عن سعيد ابن جبير: إن معناه ما عليكم أن يخوضوا في آيات الله شيء من حسابهم إذا تجنبتم، وأعرضتم عنهم أي: عليكم الإعراض، (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) أي: استهزءوا بالدين الحق الذي يجب أن يعظم غاية التعظيم، أو معناه جعلوا اللعب كعبادة الأصنام وتحريم البحائر وغيرها دينا واجبا أي: أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم، (وغرتهم الحياة الدنيا) حتى اطمأنوا بها، (وذكر به): بالقرآن، (أن." (٢)

"١٤١ - ١٤٢ النساء وأخرى بالسماع وأن المراد بالإعراض إظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الإعراض بالقلب أو بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها

﴿إنكم إذا مثلهم﴾ جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت التنزيل وإذن ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر أي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت إنكم إن فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر

---

(١) الإخطا

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٥٤٦/١

واستتباع العذاب وإفراد المثل لأنه كالمصدر أو للاستغناء بالإضافة إلى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كما في قوله تعالى مثل ماانكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية أي في مثل حالهم

وقوله تعالى ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا﴾ تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب والمراد بالمنافقين إما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بمأخذ الاشتقاق وإما الجنس وهم داخلون تحته دخولا أوليا وتقديم المنافقين على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعا مثل ما قبله." (١)

"ثم نهى عن صحبة أهل الخوض، فقال:

[سورة النساء (٤) : الآيات ١٤٠ الى ١٤١]

وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠) الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (١٤١)

قلت: (أن) مخفف: نافية، فاعل نزل، و (يكفر) و (يستهزأ) ، حالان من الآيات، وضمير (معهم) : يعود على الكفار المفهوم من (يكفر) ، وضمير (غيره) يعود على الكفر والاستهزاء، وهما شيء واحد.

يقول الحق جل جلاله في التحذير من مجالسة أهل الكفر والمعاصي: وقد نزل عليكم يا معشر المسلمين في القرآن في سورة الأنعام، أنه إذا سمعتم آيات الله حال كونها يكفر بها، ويستهزأ بها، فلا تقعدوا معهم بل قوموا عنهم، إن لم تقدروا أن تنكروا عليهم، والآية التي في سورة الإنعام قوله تعالى:

وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره الآية. فما داموا في الخوض فاعرضوا عنهم حتى يخوضوا في حديث غير الخوض، فإن جلستم معهم في حال الخوض فإنكم إذا مثلهم في الإثم، إن لم ترضوا، أو في الكفر، إن رضيتم بخوضهم.

نزلت في قوم من المنافقين كانوا يجلسون إلى أحبار اليهود، فيسخرون من القرآن، ويكذبون به ويحرفونه، فنهى المسلمين عن مجالستهم، قال ابن عباس: ودخل في هذه الآية كل محدث في الدين ومبتدع إلى يوم

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢/٢٤٥

القيامة. هـ.

الإشارة: أولياء الله آيات من آيات الله: فمن استهزأ بهم فقد استوجب المقت من الله، وكل موطن يقع فيه الإنكار عليهم أو الغض من مرتبتهم، يجب الفرار منه، لأنه موطن الغضب ومحل الهلاك والعطب، فإن لحوم الأولياء سموم قاتلة، واللعنة على من يقع فيهم حاصلة، فمن جلس مع أهل الخوض من غير عذر، كان من الخائضين، ومن فر منهم كان من الناجين، ومن أنكر على من يقع فيهم كان من المجاهدين. والله تعالى أعلم.

ثم ذكر وعيد الخائضين ومن رضي بخوضهم، فقال:

إن الله جامع المنافقين." (١)

"وبين في موضع آخر أن العزة التي هي له وحده أعز بها رسوله، والمؤمنين، وهو قوله تعالى: ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين [٦٣ \ ٨] ، أي: وذلك بإعزاز الله لهم والعزة الغلبة، ومنه قوله تعالى: وعزني في الخطاب [٣٨ \ ٢٣] ، أي: غلبني في الخصام، ومن كلام العرب من عز بز يعنون من غلب استلب، ومنه قول الخنساء: [المتقارب]

كأن لم يكونوا حمى يختشى ... إذ الناس إذ ذاك من عز بزا

قوله تعالى: وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم، هذا المنزل الذي أحال عليه هنا هو المذكور في سورة «الأنعام» ، في قوله تعالى: وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره [٦ \ ٦٨] ، وقوله هنا: فلا تقعدوا معهم، لم يبين فيه حكم ما إذا نسوا النهي حتى قعدوا معهم، ولكنه بينه في «الأنعام» بقوله: وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين [٦ \ ٦٨] .

قوله تعالى: ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا، في معنى هذه الآية أوجه للعلماء:

منها: أن المعنى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين يوم القيامة سبيلا، وهذا مروي عن علي بن أبي طالب، وابن عباس رضي الله عنهم ويشهد له قوله في أول الآية: فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٧٧/١

الله للكافرين الآية [٤ \ ١٤١] ، وهو ظاهر. قال ابن عطية: وبه قال جميع أهل التأويل، كما نقله عنه القرطبي، وضعفه ابن العربي زاعما أن آخر الآية غير مردود إلى أولها.

ومنها: أن المراد بأنه لا يجعل لهم على المؤمنين سبيلا، يمحو به دولة المسلمين ويستأصلهم ويستبيح بيضتهم، كما ثبت في «صحيح مسلم» وغيره عنه - صلى الله عليه وسلم - من حديث ثوبان، أنه قال: «وإني سألت ربي ألا يهلك أمتي بسنة بعامة وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن الله قد أعطاني لأمتي ذلك حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا» ، ويدل لهذا الوجه آيات كثيرة كقوله: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا الآية [٤٠ \ ٥١] ، وقوله: وكان حقا علينا نصر المؤمنين [٣٠ \ ٤٧] ،." [١]

"حلوان كاهن وأجرة الغنا ... ونائح ورشوة مهر الزنا

هكذا قيل، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار الآية، ذكر في هذه الآية الكريمة أن النوم وفاة، وأشار في موضع آخر إلى أنه وفاة صغرى، وأن صاحبها لم يمت حقيقة، وأنه تعالى يرسل روحه إلى بدنه حتى ينقضي أجله، وأن وفاة الموت التي هي الكبرى قد مات صاحبها، ولذا يمسك روحه عنده، وذلك في قوله تعالى: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون [٣٩ \ ٤٢] .

قوله تعالى: ويرسل عليكم حفظة الآية، لم يبين هنا ماذا يحفظون، وبينه في مواضع أخر، فذكر أن مما يحفظونه بدن الإنسان، بقوله: له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله [١٣ \ ١١] ، وذكر أن مما يحفظونه جميع أعماله من خير وشر، بقوله: وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون [٨٢ \ ١٠، ١١، ١٢] ، وقوله: إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [٥٠ \ ١٧، ١٨] ، وقوله: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون.

قوله تعالى: وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، نهى الله

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣١٩/١

تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - في هذه الآية الكريمة عن مجالسة الخائضين في آياته، ولم يبين كيفية خوضهم فيها، التي هي سبب منع مجالستهم، ولم يذكر حكم مجالستهم هنا، وبين ذلك كله في موضع آخر، فبين أن خوضهم فيها بالكفر والاستهزاء بقوله: وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم الآية [٤ \ ١٤٠] .

وبين أن من جالسهم في وقت خوضهم فيها مثلهم في الإثم، بقوله: إنكم إذا مثلهم، وبين حكم من جالسهم ناسيا، ثم تذكر بقوله هنا: وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين [٦ \ ٦٨] ، كما تقدم في سورة النساء.

قوله تعالى: فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي، الآيات، قوله: هذا ربي [٦ \ ٧٦] ، في المواضع الثلاثة محتمل لأنه كان يظن ذلك، كما روي عن ابن عباس وغيره." [1]

"(٢٠٦٨٦) - قال مقاتل بن سليمان: (أيبتغون عندهم العزة) يقول: أيبتغي المنافقون عند اليهود المنعة، (فإن العزة لله جميعا) يقول: جميع من يتعزز فإنما هو بإذن الله تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٤١٥) - .

آثار متعلقة بالآية

(٢٠٦٨٧) - عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن الله يقول كل يوم: أنا ربكم العزيز، فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز» أخرجه الخطيب في تاريخه (٦) / (٥٦٩) ((١٩٣٦))، (٩) / (٤١) ((٢٦٨٨))، وابن عساكر في تاريخه (١٢) / (٧) - قال ابن الجوزي في الموضوعات (١) / (١١٩): «هذا حديث لا يصح» - وقال السيوطي في اللآلئ المصنوعة (١) / (٢٧): «لا يصح» - وقال الكناني في تنزيه الشريعة (١) / (١٣٨): «ولا يصح» - وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة ص (٤٤٤) ((٨)): «وفي إسناده: داود بن عفان بن حبيب النيسابوري، كان يضع الحديث على أنس» - وقال الألباني في الضعيفة (١٢) / (٥٦١) ((٥٧٥٢)): «موضوع» - .

(٢٠٦٨٨) - عن عبد الله بن مسعود - من طريق أبي وائل - قال: يجتمع الناس في صعيد واحد، في أرض بيضاء، كأنها سبيكة فضية، ثم أول ما يقضى فيه من خصومات الناس الدماء، فيؤتى بالقاتل والمقتول، فيوقفان بين يدي الرحمن، فيقال له: لم قتلته؟ فإن قتله لله قال: قتلته لتكون العزة لله - قال: فيقال: فإنها

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١/٤٨٥

لله - وإن كان قتله لخلق من خلق الله يقول: قتلته لتكون العزة لفلان - فيقال: فإنها ليست له، فيقتله يومئذ كل خلق لله قتلته ظالما، غير أنه يذاق الموت عدة الأيام التي أذاقها الآخر في الدنيا أخرجه ابن أبي حاتم (٤) / (١٠٩٥) تحت تفسير قوله تعالى: (ونمنعكم من المؤمنين) بعد الآية التالية - .

(وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠))

قراءات

(٢٠٦٨٩) - عن الأعمش: أن عبد الله بن مسعود قرأ: (وقد أنزل عليكم في

".[1]

"الكتاب) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١) / (٣١٣) - وهي قراءة شاذة، تروى أيضا عن النخعي - ينظر: البحر المحيط (٣) / (٣٨٩) - .

تفسير الآية

(وقد نزل عليكم في الكتاب)

(٢٠٦٩٠) - عن مجاهد بن جبر، قال: أنزل في سورة الأنعام: (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) [الأنعام: (٦٨)] عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٢٠٦٩١) - قال مقاتل بن سليمان: وكان المنافقون يستهزءون بالقرآن، فأنزل الله بالمدينة: (وقد نزل عليكم في الكتاب)، يعني: في سورة الأنعام بمكة تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٤١٥) - .

(٢٠٦٩٢) - عن مقاتل بن حيان - من طريق بكير بن معروف، قوله: (وقد نزل عليكم في الكتاب)، قال: في سورة الأنعام بمكة أخرجه ابن أبي حاتم (٤) / (١٠٩٢) - .

(أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره)

(٢٠٦٩٣) - قال الحسن البصري: لا يجوز القعود معهم وإن خاضوا في حديث غيره؛ لقوله تعالى: (وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) [الأنعام: (٦٨)] تفسير البغوي (٢) / (٣٠١) - .

(٢٠٦٩٤) - عن إسماعيل السدي، في الآية، قال: كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في رسول الله والقرآن، فشتموه، واستهزؤوا به؛ فأمر الله ألا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره عزاه السيوطي

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٧٧/١١

إلى ابن المنذر - .

(٢٠٦٩٥) - قال مقاتل بن سليمان: {أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره}، يقول: حتى يكون حديثهم - يعني: المنافقين - في غير ذكر الله ، فنهى الله عن مجالسة كفار مكة ومنافقي المدينة عند الاستهزاء بالقرآن تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٤١٥) - .

{إنكم إذا مثلهم}

". [1]

"(٢٠٦٩٦) - عن مجاهد بن جبر، قال: أنزل في سورة الأنعام: {حتى يخوضوا في حديث غيره} [الأنعام: (٦٨)]، ثم نزل التشديد في سورة النساء: {إنكم إذا مثلهم} عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٢٠٦٩٧) - قال مقاتل بن سليمان: ثم خوفهم: إن جالستموهم، ورضيتم باستهزائهم؛ {إنكم إذا مثلهم} في الكفر تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٤١٥) - .

النسخ في الآية

(٢٠٦٩٨) - عن مقاتل بن حيان - من طريق بكير بن معروف - قوله: {أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها}، قال: فنسخت هذه الآية التي في الأنعام، فكان هذا الذي أنزل بالمدينة - وخوفهم، فقال: إن قعدتم، ورضيتم بخوضهم واستهزائهم بالقرآن؛ فإنكم إذا مثلهم أخرجه ابن أبي حاتم (٤) / (١٠٩٣) - .

من أحكام الآية

(٢٠٦٩٩) - عن عبد الله بن عباس - من طريق علي ابن أبي طلحة - قوله: {أن إذا سمعتم آيات الله، يكفر بها ويستهزأ بها}، وقوله: {ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله} [الأنعام: (١٥٣)]، وقوله: {أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه} [الشورى: (١٣)]، ونحو هذا من القرآن؛ قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم: إنما هلك من كان قبلكم بالمراء والخصومات في دين الله أخرجه ابن جرير (٧) / (٦٠٤)، وابن أبي حاتم (٤) / (١٠٩٣) مختصرا - .

(٢٠٧٠٠) - عن عبد الله بن عباس - من طريق الضحاك - قال: دخل في هذه الآية كل محدث في الدين، وكل مبتدع إلى يوم القيامة تفسير الثعلبي (٣) / (٤٠٣)، وتفسير البغوي (٢) / (٣٠١) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٧٨/١١

(٢٠٧٠١) - عن أبي وائل شقيق بن سلمة - من طريق إبراهيم التيمي - قال: إن الرجل ليتكلم في المجلس بالكلمة الكذب يضحك بها جلساءه فيسخط الله عليهم جميعا - فذكر ذلك لإبراهيم النخعي، فقال: صدق أبو وائل، أوليس ذلك في كتاب الله:

". [(١)]

"(فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) أخرجه ابن جرير (٧) / (٦٠٣)، وابن أبي حاتم (٤) / (١٠٩٣) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - ذكر ابن جرير ((٧) / (٦٠٣)) هذا القول، ووجهه بأن قائليه تأولوا الآية أنه مراد بها النهي عن مشاهدة كل باطل عند خوض أهله فيه - .

(٢٠٧٠٢) - عن هشام بن عروة: أن عمر بن عبد العزيز أخذ قوما يشربون، فضربهم، وفيهم رجل صالح، فقيل: إنه صائم - فتلا: (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) أخرجه ابن أبي شيبة (٧) / (٤٦٩)، وابن أبي حاتم (٤) / (١٠٩٣) - علق ابن تيمية ((٢) / (٣٥٢)) على استدلال عمر بالآية، فقال: «استدل عمر بالآية؛ لأن الله تعالى جعل حاضر المنكر مثل فاعله، بل إذا كان من دعا إلى دعوة العرس لا تجاب دعوته إذا اشتملت على منكر حتى يدعه مع أن إجابة الدعوة حق؛ فكيف بشهود المنكر من غير حق يقتضي ذلك؟!» - .

(٢٠٧٠٣) - قال محمد بن أبي تميلة: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ليس لأحد أن يفعل مع من شاء؛ لأن الله يقول: (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) [الأنعام: (٦٨)]، (إنكم إذا مثلهم) [النساء: (١٤٠)] - وليس له أن ينظر إلى من يشاء؛ لأن الله يقول: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) [النور: (٣٠)] - وليس له أن يقول ما لا يعلم، أو يسمع إلى ما شاء، أو يهوى ما شاء؛ لأن الله يقول: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) [الإسراء: (٣٦)] - ولا تفعل، يقول: ولا تقل أخرجه البيهقي في الزهد الكبير ص (٣٤١) ((٩٣٢)) - .

(إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠))

(٢٠٧٠٤) - عن سعيد بن جبير، قال: (إن الله جامع المنافقين) من أهل المدينة، والمشركين من أهل مكة، الذين خاضوا واستهزؤوا بالقرآن (في جهنم جميعا) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٢٠٧٠٥) - قال مقاتل بن سليمان: (إن الله جامع المنافقين) يعني: عبد الله بن أبي، ومالك بن دخشم،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٧٩/١١

وجد بن قيس من أهل المدينة، (والكافرين) من أهل مكة (في

". (١)

"فحذروا، وقالوا: لا تستهزئوا فيقوم - فذلك قوله: (لعلهم يتقون) أن يخوضوا فيقوم - ونزل: (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) إن تقعد معهم، ولكن لا تقعد أخرجه ابن جرير (٩) / (٣١٧) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ - .

النسخ في الآية

(٢٥٢٠٢) - عن عبد الله بن عباس - من طريق الضحاك - في قوله: (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء)، قال: هذه مكية، نسخت بالمدينة بقوله: (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها) الآية [النساء: (١٤٠)] أخرجه النحاس في ناسخه ص (٤١٧) - .

(٢٥٢٠٣) - عن سعيد بن جبير - من طريق مقاتل بن حيان - قال: لما هاجر المسلمون إلى المدينة جعل المنافقون يجالسونهم، فإذا سمعوا القرآن خاضوا واستهزءوا كفعل المشركين بمكة، فقال المسلمون: لا حرج علينا، قد رخص الله لنا في مجالستهم، وما علينا من خوضهم - فنزلت بالمدينة قوله: (وقد نزل عليكم في الكتاب) [النساء: (١٤٠)] أخرجه ابن أبي حاتم (٤) / (١٣١٧) - وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ دون ذكر الآية - .

(٢٥٢٠٤) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط -: - ثم نسخها الله بعد، فنهاهم أن يجلسوا معهم أبدا، قال: (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها) الآية [النساء: (١٤٠)] أخرجه ابن جرير (٩) / (٣١٧) - .

(٢٥٢٠٥) - قال مقاتل بن سليمان: - ثم نسختها الآية التي في النساء [(١٤٠)]: (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٥٦٧) - .

(٢٥٢٠٦) - عن عبد الملك ابن جريج - من طريق حجاج - قال: - - ثم نسخ ذلك قوله بالمدينة: (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم) إلى قوله: (إنكم إذا مثلهم) [النساء: (١٤٠)]، نسخ قوله: (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) الآية أخرجه ابن جرير (٩) / (٣١٧) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١١/١٨٠

(وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا)

". [(١)]

"(١٣٩) - ﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا﴾.

﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ في محل النصب على الذم لا نعت؛ لوجود الفاصل، فلا يرتكب حيث لا ضرورة، أو في محل الرفع على الذم.

﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ الهمزة للإنكار؛ أي: كيف يطلبون العزة عند من ضربت عليهم الذلة؟ ثم بين امتناع حصول مطلبهم بحصر العزة في أولياء الله تعالى مع التأكيد بـ ﴿فإن﴾ و ﴿جميعا﴾ بقوله:

﴿فإن العزة لله جميعا﴾؛ أي: ما العزة إلا لأولياء الله تعالى، الذين أعزهم بنصره، وكتب لهم العزة؛ كما قال: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ [المنافقون: ٨] لا يؤبه بعزة غيرهم بالإضافة إلى عزتهم.

* * *

(١٤٠) - ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾.

﴿وقد نزل عليكم في الكتاب﴾ يعني: القرآن، والخطاب للمؤمنين، والمنزل عليهم ما أنزل بمكة من قوله: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ [الأنعام: ٦٨].

الجزء: ٣ - الصفحة: ١٩٥

وقرئ: ﴿نزل﴾ على البناء للمفعول (١)، والقائم مقام فاعله: ﴿أن إذا سمعتم آيات الله﴾ وهي المخففة

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٠٥/١٣

من الثقيلة، والمعنى: أنه إذا سمعتم آيات الله، وهذا على طريقة قولهم: سمعت فلانا يقول، فالمسموع هاهنا استهزاؤهم بآيات الله تعالى لا الآيات.." [1]

"﴿يكفر بها ويستهزأ بها﴾ حالان من الآيات، والأولى تمهيد للثانية تعظيما لأمر الاستهزاء بالقرآن، وإنما جيء به لتقييد النهي عن المجالسة في قوله: ﴿فلا تقعدوا معهم﴾ الضمير لما دل عليه قوله: ﴿يكفر بها﴾ من الكفرة.

﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾، أي: غير ما خاضوا فيه، والخوض: الشروع، و ﴿حتى﴾ غاية للنهي، وإنما جعل غايته الخوض في حديث غيره دون السكوت عنه؛ لأنه لا يدل على الفراغة عنه بخلاف الخوض بحديث آخر.

﴿إنكم إذا مثلهم﴾؛ أي: إذا مكثتم معهم فأنتم مثلهم في الوزر؛ لأنكم قادرون على الإعراض عنهم، والإنكار عليهم، ولم يرد به التمثيل من كل وجه؛ لأن خوض المنافقين فيه كفر، ومكث هؤلاء معهم معصية، إذ (٢) عدم إنكارهم عليهم لا يدل على الرضا، وعلى تقدير تسليم الدلالة عليه فالرضا بكفر الغير ليس بكفر إذا لم يكن مع استحسان له، وتخصيص الخطاب بالمنافقين لا يساعده السباق (٣)، ولا يقتضيه الل‍حاق، على ما ستقف عليه بإذن الله تعالى.

* * *

(١) هي قراءة السبعة عدا عاصما فإنه قرأ بالمبني للمعلوم. انظر: "التيسير" (ص: ٩٨). وقوله: "على البناء للمفعول": من (ف)، وليس في باقي النسخ. (٢) في (ح) و (ف): "أو". (٣) في (ح): "السياق"، وفي (ك): "السابق".

الجزء: ٣ - الصفحة: ١٩٦

و ﴿إذا﴾ ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر، ولذلك لم يذكر بعدها الفعل، وأفرد ﴿مثلهم﴾ لأنه كالمصدر،

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٦١/٣

أو للاستغناء بالإضافة إلى الجمع، وقرئ بالفتح على البناء لإضافته إلى مبني (١).

قيل: لما نزلت هذه الآية وكانوا إذا خاضوا في ذلك قام المخلصون فعلم المنافقون بذلك، فكانوا يكثرون الخوض فيه قصدا إلى تفريقهم، ومن هنا ظهر وجه انتظام قوله:

﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين﴾؛ أي: جامع لذينك الفريقين ﴿في جهنم﴾ وقوله:." [١]

"﴿فاستكبروا﴾ عن تصديقهما في الرسالة المذكورة، وعن الائتمار بأمرهما، لا عن المتابعة؛ لأنهما لم يدعوهم إليها، دل على ذلك قولهما: خلهم يذهبوا معنا إلى الشام.

﴿وكانوا قوما عالين﴾: متكبرين.

* * *

(٤٧) - ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾.

﴿فقالوا أنؤمن﴾: أنذعن وننقاد ﴿لبشرين مثلنا﴾ البشر اسم الجنس، كما يطلق على الجمع كقوله: ﴿فإما ترين من البشر أحدا﴾ [مريم: ٢٦]، يطلق على الواحد كقوله: ﴿بشرا سويا﴾ [مريم: ١٧]، وبهذا الاعتبار يثنى.

و (مثل) كغير: يوصف به الاثنان والجمع، والمذكر والمؤنث، كقوله: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠]، ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ [الطلاق: ١٢]، ويقال أيضا: هما مثلاه، وهم أمثالهم.

﴿وقومهما﴾ يعني: بني إسرائيل.

﴿لنا عابدون﴾ على الحقيقة، كأنه كان يدعي الإلهية فادعى للناس العبادة.

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٦٢/٣

* * *

(٤٨) - ﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾.

﴿فكذبوهما فك١نوا من المهلكين﴾ بالغرق.

* * *

(٤٩) - ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون﴾.

الجزء: ٧ - الصفحة: ١٩٤

﴿ولقد آتينا﴾ بعد إهلاكهم ﴿موسى الكتاب﴾: التوراة.

لما كان إيتاؤه موسى في حكم إيتائه قومه قال:

﴿لعلهم يهتدون﴾ أي: يعملون بشرائعها ومواعظها؛ فإن الاهتداء بالكتب الإلهية إنما يحصل بالعمل بما فيها، لا بعلمها.

* * *

(٥٠) - ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾.." [١]

"ص -٢٠٣- وسئل رحمه الله عمن يجب أو يجوز بغضه أو هجره، أو كلاهما لله تعإلى ؟ وماذا يشترط على الذي يبغضه أو يهجره لله تعإلى من الشروط ؟ وهل يدخل ترك السلام في الهجران أم لا ؟ وإذا بدأ المهجور الهاجر بالسلام هل يجب الرد عليه أم لا ؟ وهل يستمر البغض والهجران لله عز وجل حتى يتحقق زوال الصفة المذكورة التي أبغضه وهجره عليها أم يكون لذلك مدة معلومة ؟ فإن كان لها مدة

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٦/٢٢٠

معلومة، فما حدها ؟ أفتونا مأجورين .

فأجاب :

الهجر الشرعي نوعان : أحدهما : بمعني الترك للمنكرات . والثاني : بمعني العقوبة عليها .

فالأول : هو المذكور في قوله تعالي : ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكري مع القوم الظالمين ﴾ [الأنعام : ٦٨] . وقوله تعالي : ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم** ﴾ [النساء : ١٤٠] .." (١)

"ص -٢٣٨- عبد العزيز رضي الله عنه قوم يشربون الخمر فأمر بضربهم، فقيل له : إن فيهم صائما . فقال : ابدؤوا به ! ثم قال : أما سمعت قوله تعالى : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم** ﴾ [النساء : ١٤٠] ، فاستدل عمر بالآية؛ لأن الله تعالى جعل حاضر المنكر مثل فاعله بل إذا كان من دعا إلى دعوة العرس لا تجاب دعوته إذا اشتملت على منكر حتى يدعه مع أن إجابة الدعوة حق، فكيف بشهود المنكر من غير حق يقتضي ذلك .

فإن قيل : إذا كان هذا من الميسر، فكيف استجازه طائفة من السلف ؟ قيل له : المستجيز للشطرنج من السلف بلا عوض كالمستجيز للنرد بلا عوض من السلف، وكلاهما مأثور عن بعض السلف، بل في الشطرنج قد تبين عذر بعضهم، كما كان الشعبي يلعب به لما طلبه الحجاج لتولية القضاء . رأى أن يلعب به ليفسق نفسه، ولا يتولي القضاء للحجاج، ورأي أن يحتمل مثل هذا ليدفع عن نفسه إعانة مثل الحجاج على مظالم المسلمين . وكان هذا أعظم محذورا عنده، ولم يمكنه الاعتذار إلا بمثل ذلك .

ثم يقال : من المعلوم أن الذين استحلوا النبيذ المتنازع فيه من السلف والذين استحلوا الدرهم بالدرهمين من السلف أكثر وأجل قدرا من هؤلاء، فإن ابن عباس ومعاوية وغيرهما رخصوا في الدرهم بالدرهمين، وكانوا متأولين أن الربا لا يحرم إلا في النساء، لا في اليد باليد . وكذلك من ظن أن الخمر." (٢)

"ص -٢١٣- بطريق، فسمع ذلك لم يأثم بذلك، باتفاق المسلمين . ولو جلس واستمع إلى ذلك، ولم ينكره لا بقلبه، ولا بلسانه، ولا يده، كان آثما باتفاق المسلمين، كما قال تعالي ﴿وإذا رأيت الذين

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢/

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٤/

يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون ﴾ [الأنعام : ٦٨، ٦٩] ، وقال تعالي : ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم** ﴾ [النساء : ١٤٠] ، فجعل القاعد المستمع من غير إنكار بمنزلة الفاعل .

ولهذا يقال : المستمع شريك المغتاب . وفي الأثر : من شهد المعصية وكرهها كان كمن غاب عنها، ومن غاب عنها ورضيها كان كمن شهدها . فإذا شهدها لحاجة أو لإكراه أنكرها بقلبه؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " من رأي منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان " .

فلو كان الرجل مارا فسمع القرآن من غير أن يستمع إليه لم يؤجر على ذلك؛ وإنما يؤجر على الاستماع الذي يقصد، كما قال تعالي : ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] ، وقال لموسي : ﴿وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ﴾ [طه : ١٣] .." [(١)]

"ص -٢٨٧- هجره نوع تعزير له،فإذا أعلن السئات أعلن هجره،وإذا أسر أسر هجره، إذ الهجرة هي الهجرة على السيئات،وهجرة السيئات هجرة ما نهى الله عنه،كما قال تعالى: ﴿ والرجز فاهجر ﴾ [المدثر : ٥] ، وقال تعالى: ﴿ واهجرهم هجرا جميلا ﴾ [المزمل : ١٠] ، وقال : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم** ﴾ [النساء : ١٤٠]

وقد روى عن عمر بن الخطاب : أن ابنه عبد الرحمن لما شرب الخمر بمصر، وذهب به أخوه إلى أمير مصر عمرو بن العاص ليجلده الحد، جلده الحد سرا، وكان الناس يجلدون علانية، فبعث عمر بن الخطاب إلى عمرو ينكر عليه ذلك، ولم يعتد عمر بذلك الجلد حتى أرسل إلى ابنه فأقدمه المدينة فجلده الحد علانية، ولم ير الوجوب سقط بالحد الأول، وعاش ابنه بعد ذلك مدة ثم مرض ومات، ولم يمت من ذلك الجلد، ولا ضربه بعد الموت، كما يزعمه الكذابون

قوله تعالى: ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الآية﴾ [النور : ٢] ،نهى تعالى عما يأمر به الشيطان فى العقوبات عموما، وفى أمر الفواحش خصوصا، فإن هذا الباب مبناه على المحبة والشهوة والرأفة، التى

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٦٤/

يزينها الشيطان بانعطاف القلوب على أهل الفواحش والرأفة بهم، حتى يدخل كثير من الناس بسبب هذه الآفة في الدياثة وقلة الغيرة إذا." [1]

"ص -٣١٥- عن أبي سفيان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " قال : فقلت : يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا ؟ قال : " نعم، القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء "

وقوله تعالى: ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ [النور : ٣] ، لما أمر الله تعالى بعقوبة الزانيين حرم مناكحتهما على المؤمنين هجرا لهما، ولما معهما من الذنوب والسيئات كما قال تعالى: ﴿ والرجز فاهجر ﴾ [المدثر : ٥] ، وجعل مجالس فاعل ذلك المنكر مثله بقوله تعالى: ﴿ **إنكم إذا مثلهم** ﴾ [النساء : ١٤٠] ، وهو زوج له، وقد قال تعالى: ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ [الصافات : ٢٢] أي : عشراءهم وقرناءهم وأشباههم ونظراءهم؛ ولهذا يقال : المستمع شريك المغتاب

ورفع إلى عمر بن عبد العزيز قوم يشربون الخمر، وكان فيهم جليس لهم صائم فقال : ابدؤوا به في الجلد، ألم تسمع الله يقول : ﴿ فلا تقعدوا معهم ﴾ [النساء : ١٤٠] ، فإذا كان هذا في المجالسة والعشرة العارضة حين فعلهم للمنكر يكون مجالسهم مثلا لهم، فكيف بالعشرة الدائمة ؟

والزوج يقال له : العشير، كما في الحديث من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " رأيت النار فإذا أكثر أهلها النساء." [2]

"فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) ٣٥٦ – حدثنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار قال : ثنا العباس بن محمد الدوري ، قال : ثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد النبيل ، قال : ثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (يخوضون في آياتنا) يستهزئون ، نهى محمد صلى الله عليه وسلم أن يقعد معهم إلا أن ينسى ، فإذا ذكر فليقم ، وذلك قوله : (فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) ٣٥٧ – حدثني أبو محمد عبد الله بن جعفر الكفي ، قال : حدثنا@." [3]

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٩/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٣٧/٢٥٤

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة، ٤٣٠/٢

"تصحيحا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

مسكنا الله وإياكم بعروته الوثقى ، وأعاذنا وإياكم من مضلات الهوى ، ولا جعلنا وإياكم ممن باع آخرته بالدنيا ، إنه سميع قريب ٥١٣ - حدثنا أبو القاسم حفص بن عمر قال : حدثنا أبو حاتم ، قال : حدثنا ابن الطباع ، وأحمد بن الدورقي ، قالا : حدثنا ابن إدريس ، عن العلاء بن المنهال ، عن هشام بن عروة ، أن عمر بن عبد العزيز ، « أخذ قوما على شراب ، ومعهم رجل صائم ، فضربه معهم ، فقيل له : إن هذا صائم ، فقال : (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم**) » ٥١٤ - حدثنا أبو القاسم حفص بن عمر قال : حدثنا أبو حاتم ، قال : حدثنا عمران بن موسى الطرسوسي ، قال : حدثنا أبو يزيد الفيض ، قال : قال الفضيل : « ليس للمؤمن أن يقعد مع كل من شاء ، لأن الله عز وجل يقول : (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) » ٥١٥ - حدثنا جعفر القافلائي ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني ، قال : حدثني أبو عمير الرملي ، قال أيوب بن سويد : سمعته يقول ، عن ابن شوذب : « من نعمة الله على الشاب والأعجمي إذا نسكا أن يوفقا لصاحب سنة يحملهما عليها ، لأن الأعجمي يأخذ فيه ما يسبق إليه » ٥١٦ - حدثنا القافلائي ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو همام ، قال : حدثنا أبي قال : سمعت عمرو بن قيس الملائي ،@." (١)

"فأول ما نبدأ بذكره من ذلك ما أمر الله / - عز وجل - به وذكره في كتابه من لزوم الجماعة والنهي عن الفرقة فال - عز وجل - ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ (١) ثم تهدد (٢) بالوعيد من فارق جماعة المسلمين فقال. ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ (٣) فأمر الله تبارك وتعالى بالاجتماع على دينه وطاعته وقال - عز وجل - ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ (٥) وما أمر به المؤمنين من مباينة من خالف عقدهم ونكث عهدهم وطعن في دينهم من مجانبتهم وترك مجالستهم والاستماع لخطائهم (٦) وخطهم فقال تبارك وتعالى: ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة، ٤٨١/٢

جهنم جميعا ﴾ (٧) .

(٨) [١] – وأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الثلاثة الذين تخلفوا عنه بهجرانهم ومباينتهم وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم حتى أنزل الله – عز وجل – توبتهم –

---

(١) – من هنا يبدأ النقص في النسخة "ر".

(٢) – في "ل" أتيت.

(٣) – في "ل" أتيت.

(٤) – في "ل" أتيت.

(٥) – في "ل" أتيت.

(٦) – في "ل" هدد.

(٧) – في "ل" هدد.

(٨) – كذا في الأصل والصواب لخطأهم.." [١]

" وقد قال تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ ولكن ذكرى لعلهم يتقون سورة الأنعام ٦٨ ٦٩

فقد أمر سبحانه بالإعراض عن كلام الخائضين في آياته ونهى عن القعود معهم فكيف يكون استماع كل قول محمودا

وقال تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيا ت الله يكفر بها ويستهزئ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم سورة** النساء ١٤٠

فجعل الله المستمع لهذا الحديث مثل قائله فكيف يمدح كل مستمع كل قول

وقال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون سورة المؤمنون ١ ٣

وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما إلى قوله وإذا مروا باللغو مروا كراما سورة الفرقان ٦٣ ٧٢

---

(١) متن كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة، ص/١٠٢

وروى أن ابن مسعود سمع صوت لهو فأعرض عنه فقال النبي ص إن كان ابن مسعود لكريما ." [1]

"٩٠- وروي عن أبي يوسف رحمه الله أنه كان يقول: دعوا الخصومات في الدين، والمراء فيه، وارضوا لأنفسكم ما رضي السلف الصالح لأنفسهم، فإنهم [٥٦أ] بعلم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وإنهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل لو كان فيه أحرى، لأنهم السابقون(١)

(١) أخرج ابن أبي العوام في فضائل أبي حنيفة وأصحابه (كما في عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي لأبي الخير ٢٣٦.٢٣٧) عن أبي يوسف أنه قال: "ذروا الخصومة في الدين، والمراء فيه والجدال، فإن الدين واضح بين، قد فرض الله عز وجل فرائضه، وشرع سنته، وحد حدوده، وأحل حلاله، وحرم حرامه، فقال ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (المائدة، ٣)، فأحلوا حلال القرآن، وحرموا حرامه، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال فيه. فلو كانت الخصومة في الدين تقوى عند الله لسبق عليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه بعده. فهل اختصموا في الدين، أو تنازعوا فيه؟ وقد اختصموا في الفقه، وتكلموا فيه، واختلفوا في الفرائض والصلاة والحج والطلاق والحلال والحرام، ولم يختصموا في الدين، ولم يتنازعوا فيه. فاقتصروا على تقوى الله وطاعته. والزموا ما جرت به السنة، وكفيتم فيه المؤنة. ودعوا ما أحدث المحدثون من التنازع في الدين والجدال فيه والمراء، فإن لزوم السنة عصمة بإذن الله تعالى لمن لزمها، والذي سنها كان أعلم بما في خلافها من الخطأ والزلل. وقد أنزل الله عز وجل في كتابه ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ (الأنعام، ٦٨)، ولو شاء أنزل في ذلك جدالا وحجاجا، ولكنه أبى ذلك ونهاهم فقال ﴿ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم** ﴾ (النساء، ١٤٠)، وقال ﴿ فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ﴾ (آل عمران، ٢٠)، ولم يقل: وحاجهم".

قال الأوزاعي: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فانه يسعك ما وسعهم (تلبيس إبليس ١٦).." [2]

"الأدلة القرآنية على التلازم بين عمل القلب وعمل الجوارح

فأما من الكتاب: فقول الله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [البقرة:٨٢].

(١) الاستقامة، ١/٢١٧

(٢) الاعتقاد – صاعد النيسابوري، ص/١٧٣

فما ذكر الله الإيمان في موضع من كتابه إلا وذكر قرينه العمل الصالح، إشارة إلى أن الإيمان الذي وقر في القلب لا بد أن يصدقه شيء في الظاهر، وهو العمل؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الأنفال:٢]، هذا في الداخل لا نعرفه ولا نراه، ثم قال الله: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [الأنفال:٢]، والتوكل هذا عمل باطني، ثم قال تعالى: ﴿الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الأنفال:٣]، فذكر الصلاة والإنفاق، وهذا عمل ظاهري؛ وذلك لأن هناك ترابط وثيق بين عمل القلب وعمل الجوارح.

ومن الأدلة من كتاب الله قوله تعالى: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ [التوبة:١١] فرأن التوبة عمل قلبي لم يكتف الله بذلك، ولم يرض بها فقط حتى يدخل المرء الإسلام، بل ربط التوبة بما يظهرها وهو العمل الصالح: كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ولذلك قال العلماء: إن الفاسق لا تقبل شهادته إلا أن يتوب، وكيف تعرف توبته؟ يقول الجمهور من أهل العلم: إن التوبة تكون بالظاهر، فإذا استقام مع الناس في الصلوات، وكان يخرج الزكاة، وعلم باستقامة حاله وحسن خلقه، فهذه هي التوبة، أي: الأمر الظاهري، مع أن التوبة عمل قلبي، لكن لا بد من الأمر الظاهري؛ ليتبين ما في القلب.

ومن الأدلة من كتاب الله قوله تعالى عن جزاء المحاربين وعن توبتهم: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم * إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾ [المائدة:٣٣ - ٣٤].

اختلف العلماء في توبة المحارب الذي تقطع يده ويصلب وينفى من الأرض، أي: كيف تعرف؟ ف ابن القاسم المالكي قال: لابد أن يذهب إلى الأمير ويشهر توبته، وهذا قول المالكية.

وقال جمهور الفقهاء -وهو الراجح- إنه يقطن بيته، ويذهب إلى الصلاة في أوقاتها، ويحسن خلقه مع جيرانه ومع الناس فتعرف بذلك توبته.

فهذه التوبة التي هي عمل قلبي، ظهرت على الجوارح في الخارج، كما قال الله تعالى في الآية التي ذكرناها سابقا ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ [التوبة:١١].

وأيضا قال الله تعالى -مبينا أن تشابه الظاهر مرتبط بتشابه الباطن- قال عن اليهود لعنة الله عليهم: ﴿كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم﴾ [البقرة:١١٨]، فربط الظاهر بالباطن، فلما تشابه الظاهر بالظاهر، تشابه الباطن بالباطن، وهذه دلالة على أن الترابط وثيق بينهما، وسنة الله لا يمكن أن تتبدل.

أيض، قال الله تعالى عن النفاق والمنافقين؛ لأن النفاق عمل قلبي، فمن أجل أن نعرفه قال الله تعالى لنبيه: ﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول﴾ [محمد:٣٠].

فأنت تعرفه أولا من خلال وجهه؛ لأن ما في القلب يظهر على الوجه، تراه فتقول: وجهك وجه منافق، أذكر شيخا من مشايخنا أفنى عمره في الدعوة، جلس مرة فقال: رأيت من الناس مفتي من المفتيين، ورأيت النفاق ينضح على وجهه نضحا.

وثانيا: تعرفهم من خلال كلامهم، فبعضهم تسمعه يقول: هل نأخذ علمنا من رجل يقول: من قال: إن الأرض كروية يكفر؟ نأخذ العلم من هذا!، والله هذا نفاق بين، أو آخر يقوم علنا أمام الناس فيقول: أتريدون تحكيم الشريعة؟ تريدون قطع يد السارق، ما هذا التخلف، مع أن هذا حكم الله من فوق سبع سماوات، وحكم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قال: (والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)، فهذا نفاق ينضح، وآخر يقول: أتريدون جلد الزاني مائة جلدة؟ والله هذه وحشية.

فهؤلاء أصبح النفاق ظاهرا على وجوههم وفي كلامهم.

أيضا: قال الله تعالى -منكرا على بني إسرائيل، ومبينا أن الإيمان، أو الكفر الذي في القلب، لا بد أن ينضح في الخارج- ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾ [البقرة:٩٣]، أي: إذا كنتم مؤمنين حقا فلم عبدتم العجل؟ ولم أطعتم غير الله تعالى؟ بل هذا كفر في قلوبكم.

أيضا: من الأمور التي تبين ارتباط الظاهر بالباطن: أن الله سمى أعمال الظاهر إيمانا، قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة:١٤٣]، فبإجماع المفسرين أنها الصلاة، وكما في حديث البخاري عن البراء -الطويل- وفيه أنه قال: (هي الصلاة)، وذلك حين حولت القبلة إلى الكعبة، فقال القوم: ما بال إخواننا الذين ماتوا، وما بال صلاتنا التي صليناها من قبل فقال الله جل وعلا تطمينا لقلوبهم: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة:١٤٣]، فسمى الصلاة إيمانا.

أيضا: بين الله جل وعلا الارتباط الوثيق في كتابه بين الظاهر والباطن، وأنه إذا انتفى اللازم انتفى الملزوم، قال الله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء:١٤٠] فبين الله جل وعلا أن هؤلاء الذين يجلسون في المجالس التي يكفر فيها بالله، أو يستهزأ فيها بآياته، أو بأوليائه الصالحين، دون إنكار، فإن هؤلاء من يجلسون معهم فيهم نفس الكفر؛ لأن القلب نضح وظهر ما فيه، فهو ساكت راض بهذا الكفر،

فصاحبه كافر مثلهم.

لذلك استنبط العلماء قاعدة مهمة جدا من قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي قولهم: إن لم تزل المنكر فـزل.

أي: اخرج فلو جلست فأنت مثلهم؛ لأنك راض بفعلهم، فإن جلست مع شراب الخمر، ولم تنههم وتنكر عليهم، فأنت مثلهم، إن جلست مع الزناة ولم تنكر عليهم، بل ولم يتحرك قلبك غضبا لله جل وعلا فأنت منهم.

فهذه أدلة من كتاب الله جل وعلا على أن الظاهر يرتبط ارتباطا وثيقا بالباطن.." (١)

"وجوب لزوم الكتاب والسنة

في هذا المقام تقعيد وتأصيل مهم لأهل العلم وهو أن نقول: شيخ الإسلام حبيب إلينا، والحق أحب إلينا منه، فلو أفتى أحد من المشاهير اللوامع، الذين تضرب لهم الطبول، ويعرفهم القاصي والداني، والذين بلغوا في العلم مداه، بفتوى خالفت الكتاب والسنة، لرد هذا القول على من قال به كائنا من كان، وقد قال ذلك أجل الناس، وأشرف الناس، وأعلى الناس، وأعلم الأمة الشافعي حيث قال: إن خالف قولي قول رسول الله فاضربوا بقولي عرض الحائط وخذوا بقول رسول الله، ودخل عليه امرؤ يسأله: يا شافعي ! ما تقول في مسألة كذا؟ وكان بجانبه المزني والبويطي وتلاميذ الشافعي، فأجابه رجل فقال: هذه المسألة قال فيها رسول الله، وأنهى المسألة.

والواجب علينا إذا قيل في مسألة: قال رسول الله أن نقول: سمعنا وأطعنا.

وبعض السائلين يكون جاهلا لا يفقه شيئا، فعندما تقول له: قال رسول الله، يقول لك: الشيخ الفلاني أفتى بحلها، وتقول: قال رسول الله، وقال الله، وهو يقول: الشيخ الفلاني وجدته يفعلها، أو السلف كانوا يفعلونها، ولقد قال بعض الصحابة: أوشكت السماء أن تمطر عليكم حجارة، أقول: قال رسول الله وتقولون: قال فلان، وقال فلان! فلذلك لما قيل للشافعي: أتقول بهذه المسألة؟ أو أتقول بهذا القول؟ قال: أرأيتني خرجت من كنيسة؟! وهذه دلالة على كفر أهل الكنائس على كفر أهل الصليب وعباد الصليب، فلا يجوز لامرئ مسلم قط أن يهنئهم بهذا العيد، قال بعض علمائنا: من أهداهم بيضة في عيدهم فقد كفر، تقعيدا وتخريجا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: (فإذا وجدتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه) وقال: (لا تبدءوا أهل الكتاب بالسلام)، فكيف بتهنئة العيد والرضا بكفرهم، والقاعدة المشهورة: الرضا

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٤٠/٥

بالكفر كفر.

والضابط في هذه القاعدة أن نقول: إذا كان الكفر الذي كفر به المرء كفرا متفقا عليه، لا خلاف فيه ولا نزاع، وهو كفر لنا فيه من الله برهان، فمن رضي به فقد كفر.

والدليل على هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه﴾ [محمد:٢٨] وفي الآية الأخرى يقول تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم * والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم * ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله﴾ [محمد:٧ – ٩]، وقوله تعالى: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء:١٤٠].

وهنا أقول: العالم الذي يعلم عقيدتهم، ويعلم كفرهم البين، ثم يجلس في مجلسهم الكفري، ويرضى بكفرهم، بل يذهب ويهنئهم ويقبلهم ويحتضنهم، فهذا رجل لا نقول فيه إلا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ونقول له: قد بين الله لك بالاتفاق أن هؤلاء كفار فبين لهم كفرهم، أما الذين لا يعرفون إذا استفتوا أقول لهم: اتقوا الله في أنفسكم ولا تهنئونهم بالعيد؛ لأنكم بتهنئتكم لهم في هذا العيد تقرونهم على كفرهم، وأنتم مأمورون شرعا أن تبينوا لهم كفرهم، حتى يعلموا يقينا أنهم على باطل، وأنهم إن لم يرجعوا إلى دين الله فهم على كفر وضلال.

ولقد اتصل بي أخ وقال لي بالتصريح: السلام عليكم، أنا كل مدرائي نصارى، وكل عيد يهنئونني ويأتوني بالهدايا، ويجاملونني، فماذا أفعل؟ قلت له: لا تهنئهم، بل ادعهم إلى الإسلام، فهذا هو الفعل الصحيح، قال: أريد أن أسلم عليهم فقط، وأجاملهم بعيدهم كما يفعلون، قلت له: لا تفعل، قال: إن أخذت بقولك فسأفقد وظيفتي، قلت له: أيهما أفضل، أن تفقد وظيفتك أم تفقد دينك؟ فهذا الرجل لا يعتمد على ربه في الرزق، بل يحسب أنه إن لم يسلم عليهم في عيدهم، ويهنئهم بكفرهم، فسيضيع عمله؛ لظنه أن الرزق بأيديهم، وهذه عقيدة فاسدة، فالعطب في عقيدته الأولى جره إلى عطب في عقيدته الثانية.

فمن سلم عليهم في يوم عيدهم فقد رضي بكفرهم، فهو ينزل هذه المنزلة إن كان من العالمين المتقنين الفاهمين لعقيدتهم الخربة.

والمقصود أنه لما قال الشافعي: أخرجت من كنيسة؟ يبين له أن هؤلاء أهل كفر، فإني إن رددت قول النبي لكنت مثلهم، فانظر: على حديث واحد يرده بعد أن اقتنع به يرى الشافعي أنه يمكن أن يكون مثلهم، قال: أرأيتني قد خرجت من كنيسة؟ أرأيت في وسطي زنارا؟ يعني: يهوديا، يقول: قال رسول الله فماذا أقول أنا؟ أقول: قال رسول الله، وأقول به، ولذلك نقول: المرء إذا جاءه حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سمعت وأطعت، ويقدم قول النبي على قول أي أحد كائنا من كان.

فنقول: أولا: جاءتنا الأدلة التي قعدت لنا وأصلت الخلود للجنة والخلود للنار، منها قوله تعالى: ﴿خالدين فيها أبدا﴾ [المائدة:١١٩] أي: على التأبيد، فهذه الآية تثبت عدم فنائها.

ونرد على أدلة شيخ الإسلام من وجهين: الوجه الأول: أن هذه الآثار لم تثبت، وأهل الحديث عللوا هذه الآثار بالانقطاع وبغيره.

فإن تنزلنا مع الخصم وقلنا: ثبت عن ابن مسعود وأبي هريرة أنهما قالا: (ليأتين زمان على النار ليس فيها أحد) فنئوله على أن المقصود ليس فيها أحد من الموحدين.

ونحن نقول: إن نار الموحدين تفنى، لما ثبت في الصحيحين من حديث الشفاعة أن الله تعالى قال لنبيه محمد صلى الله علية وآله وسلم: (اذهب فمن كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان فأخرجه) وبعد ذلك دينار، ثم نصف دينار، ثم مثقال ذرة، ثم حبة من خردل، ثم قال: (أذن لي ربي أن أشفع فيمن قال: لا إله إلا الله، فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال: لا إله إلا الله) وهذا بيان بأن من قال: لا إله إلا الله وكان يصلي فهو يخرج من النار ولا يخلد فيها، وتفنى هذه النار، ويكون تأويل شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم على أن التي تفنى هي نار الموحدين، ويلتئم الشمل وتجتمع الأدلة، ولا نزاع بإذن الله. أسأل الله جل وعلا أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنات، وأن يبعدنا جمعيا عن النيران.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.." [(١)]

"أن المستهزئ بالله يكفر، لقوله: لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم.

استعمال الغلظة في محلها، وإلا فالأصل أن من جاء يعتذر يرحم، لكنه هنا ليس أهلا للرحمة.

قبول توبة المستهزئ بالله؛ لقوله: إن نعف عن طائفة، وهذا أمر قد وقع، فإن من هؤلاء من عفي عنه وهدي للإسلام وتاب الله عليه، وهذا دليل للقول الراجح أن المستهزئ بالله تقبل توبته، لكن لابد من دليل بين على صدق توبته، لأن كفره من أشد الكفر أو هو أشد الكفر، فليس مثل كفر الإعراض أو الجحود.

وهؤلاء الذين حضروا السب مثل الذين سبوا، قال تعالى: وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم** [النساء:١٤٠] وهم يستطيعون المفارقة، والنبي صلى الله عليه وسلم امتثل أمر الله بتبليغهم، حتى إن الرجل الذي جاء يعتذر صار يقول له: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم [التوبة:٦٥ - ٦٦]، ولا يزيد على هذا أبدا مع إمكان أن يزيده توبيخا وتقريعا.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ١١/٥٤

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة، دخل حديث بعضهم في بعض: أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عن اللقاء (يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء). فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون [التوبة:٦٧]، ما يلتفت إليه وما يزيده عليه (١).

قوله: (ما رأينا) تحتمل أن تكون بصرية، وتحتمل أن تكون علمية قلبية.

قوله: (مثل قرائنا) .. والمراد بهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

قوله: (أرغب بطونا) .. أي: أوسع، وإنما كانت الرغبة هنا بمعنى: السعة، لأنه كلما اتسع البطن رغب الإنسان في الأكل.

قوله: (ولا أكذب ألسنا) الكذب: هو الإخبار بخلاف الواقع، والألسن: جمع لسان، والمراد: ولا أكذب قولا، واللسان يطلق على القول كثيرا في اللغة العربية، كما في قوله تعالى: وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه [إبراهيم:٤] أي: بلغتهم.

---

(١) رواه الطبري في ((تفسيره)) (١٤/ ٣٣٣)، وابن أبي حاتم في ((تفسيره)) (٧/ ٣١٣).." [1]

"المطلب الثاني: حقيقة الإنكار بالقلب (١)

يغلط البعض فيظن أنه ما دام كارها للمنكر فلا بأس عليه بمخالطة فاعله والجلوس معه حال مواقعته المنكر .. أو البقاء في مكان فيه منكر في الشرع وهذا مخالف لما دل عليه القرآن والسنة. قال تعالى: وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم [النساء: ١٤٠] وهذا نهي صريح عن مجالستهم حال مواقعتهم لهذا المنكر .. فما دام لا يقدر على الإنكار باليد أو اللسان فلا بد إذا من مفارقته للمنكر .. هذا هو الصحيح (٢).

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦/٤٦٠

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي –رحمه الله– عند هذه الآية: (وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتقتحم حدوده التي حدها لعباده. ومنتهى هذا النهي عن القعود معهم حتى يخوضوا في حديث غيره أي: غير الكفر بآيات الله ولا الاستهزاء بها. إنكم إذا أي إن قعدتم معهم في الحال المذكور (مثلهم) لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها، والحاصل أن من حضر مجلسا يعصى الله به فإنه يتعين عليه الإنكار عليهم مع القدرة، أو القيام مع عدمها) (٣). ا. هـ.

وقال القرطبي –رحمه الله– عند هذه الآية: (.. فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر، لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم والرضا بالكفر كفر، قال الله عز **وجل: إنكم إذا مثلهم فكل** من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية .. وإذا ثبت تجنب أهل المعاصي فتجنب أهل البدع والأهواء أولى ..) (٤) ا. هـ.

وقال البخاري –رحمه الله–: (باب: هل يرجع إذا رأى منكرا في الدعوة؟).

ثم قال: ورأى ابن مسعود صورة في البيت فرجع (٥).

---

(١) ((الآداب الشرعية)) (١/ ٣٠٨)، ((تنبيه الغافلين)) (ص: ١٠٦ – ١٠٩)، ((التشريع الجنائي)) (١/ ٤٩٧).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) (٢٨/ ٢٠٤، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٩).

(٣) ((تفسير السعدي)) (٢/ ٩٣ – ٩٤).

(٤) ((القرطبي)) (٥/ ٤١٨)، وانظر ((القاسمي)) (٥/ ٥٢٤ – ٥٢٧)، ((الظلال)) (٥/ ٢٦١ – ٢٦٢)، ((الحلال والحرام)) (ص: ٧٣).

(٥) رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم قبل حديث رقم (٥١٨١). قال ابن حجر في ((فتح الباري)) (٩/ ٢٤٩): كذا في رواية المستملي والأصيلي والقابسي وعبدوس، وفي رواية الباقين أبو مسعود والأول تصحيف فيما أظن فأنني لم أر الأثر المعلق إلا عن أبي مسعود عقبة بن عمرو وأخرجه البيهقي – (٧/ ٢٦٨) (١٤٩٥٩) – من طريق عدي بن ثابت عن خالد بن سعد عن أبي مسعود: (أن رجلا صنع طعاما فدعاه فقال: أفي البيت صورة؟ قال: نعم؛ فأبى أن يدخل حتى تكسر الصورة). وسنده صحيح. وخالد بن سعد

هو مولى أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري ولا أعرف له عن عبد الله بن مسعود رواية ويحتمل أن يكون ذلك وقع لعبد الله بن مسعود أيضا لكن لم أقف عليه. اهـ. وانظر: ((تغليق التعليق)) (٤/ ٤٢٣ - ٤٢٤).."

(١)

"المطلب الأول: تعريف الهجر لغة وشرعا

قال الجوهري: الهجر: ضد الوصل. والمهاجرة من أرض إلى أرض ترك الأولى للثانية.

والتهاجر: التقاطع. والهجرتان: هجرة إلى الحبشة وهجرة إلى المدينة (١).

والهجر الشرعي نوعان:

الأول: بمعنى الترك للمنكرات. ومنه قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم** [النساء: ١٤٠].

قال ابن كثير: أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ بها وأقررتموهم على ذلك فقد شاركتموهم في الذي هم فيه (٢).

ومنه قوله تعالى: وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين [الأنعام: ٦٨].

قال القرطبي -رحمه الله-: والخطاب مجرد للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل إن المؤمنين داخلون في الخطاب معه وهو الصحيح. فإن العلة سماع الخوض في آيات الله وذلك يشملهم وإياه ..

ودل بهذا على أن الرجل إذا علم من الآخر منكرا علم أنه لا يقبل منه فعليه أن يعرض عنه إعراض منكر ولا يقبل عليه (٣).

وورد في حديث جابر بن عبد الله -الطويل- وفيه ((.. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يشرب عليها الخمر)) (٤) الحديث.

ومن هذا الباب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام.

ومنه قوله تعالى حكاية عن إبراهيم -عليه السلام- فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم [العنكبوت: ٢٦].

قال القرطبي: وهو أول من هاجر من أرض الكفر (٥).

وقال القرطبي أيضا حول قوله تعالى: واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خآصة [الأنفال: ٢٥].

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٣٨/٨

قال علماؤنا: فالفتنة إذا عمت هلك الكل، وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير، وإذا لم تغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها. وهكذا كان الحكم فيمن كان قبلنا من الأمم .. وبهذا قال السلف رضي الله عنهم (٦).

الثاني: الهجر على وجه التأديب والعقوبة، وهو هجر أهل المعاصي والمنكرات والمخالفات وهو بمنزلة التعزير، ويفعله إذا رآه أقوى في نفسية الفاعل من التغيير باليد واللسان أو إذا عجز عن التغيير باليد واللسان. فإذا أظهر الإنسان المكلف معصيته أو عرف بها وأصر عليها سواء أكانت هذه المعصية فعلية أم قولية أم اعتقادية فمن السنة هجره، فالهاجر يثاب عليه؛ لأنه من أجل الله تعالى.

---

(١) ((الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية)) الجوهري (٢/ ٨٥١).

(٢) ((تفسير القرآن العظيم)) (١/ ٥٦٦، ٥٦٧).

(٣) ((الجامع لأحكام القرآن)) م٤ (٧/ ١٢).

(٤) رواه الترمذي (٢٨٠١) بلفظ: ((يدار عليهم الخمر)) بدلا من ((يشرب عليها الخمر))، وأحمد (3/ ٣٣٩) (١٤٦٩٢)، والدارمي (٢/ ١٥٣) (٢٠٩٢)، والحاكم (٤/ ٣٢٠)، وأبو يعلى في ((المسند)) (٣/ ٤٣٥) (١٩٢٥)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٣/ ٦٩) (٢٥١٠). قال الترمذي: حسن غريب [فيه] ليث بن أبي سليم كان يرفع أشياء لا يرفعها غيره فلذلك ضعفوه، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)).

(٥) ((الجامع لأحكام القرآن)) م٧ (١٣/ ٣٣٩).

(٦) ((الجامع لأحكام القرآن)) القرطبي م٤ (٧/ ٣٩٢) باختصار.." [1]

"لأهل السوء يندم، قال – سبحانه وتعالى –: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾ (١)، وقال – عز وجل –: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ (٢)، وقال – سبحانه وتعالى –: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٨/٢٤٣

جميعا﴾ (٣)، وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة)) (٤).

سابعا: سكوت العلماء وكتم العلم، من أسباب انتشار البدع والفساد بين الناس، قال الله – عز وجل –: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم

---

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٢٧ – ٢٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٤) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه –: البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، ٦/ ٢٨٧، برقم ٥٥٣٤، ومسلم، في كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، ٤/ ٢٠٢٦، برقم ٢٦٢٨.." [١]

"بيان معنى حديث: (وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة من خردل)

Q ما قولكم في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة من خردل)، في حديث من لم ينكر المنكر بقلبه؟

A ليس المراد أنه يكون كافرا؛ لأن من لم ينكر المنكر بقلبه يكون عاصيا.

فإذا جلس الإنسان مع قوم يشربون الخمر يجب عليه أن ينكر باللسان إن عجز عن الإنكار باليد، فإن عجز فإنه ينكر بالقلب.

والإنكار بالقلب معناه: أن يقوم ويتركهم، فإن جلس معهم فليس عنده من الإيمان حبة خردل يتعلق بإنكار المنكر، ويكون حكمه نفس حكم من شرب الخمر في الإثم، ومن جلس مع قوم يكفرون بالله واستطاع أن ينكر ولم ينكر وجلس وسكت، فحكمه في الإثم يكون نفس حكمهم؛ لأنه رضي بالكفر وأقر به، ومن جلس مع قوم يتعاملون بالربا ولم ينكر عليهم فيكون حكمه حكم المرابي، قال تعالى: ﴿وقد نزل عليكم

---

(١) نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٣٤

في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ [النساء:١٤٠].." [١]

"حكم من سب الصحابة برميهم بالكفر

القسم الأول: السب في الدين كمن كفر الصحابة جميعا إلا بضعة عشر، أي: ثلاثة عشر أو أربعة عشر نفرا هم الذين بقوا على الإسلام، وارتد الباقي، فمن قال بذلك أو لعنهم أو كفر أبا بكر أو عمر أو لعنهما، فهذا كافر كفرا أكبر يخرج من الملة، ومن لم يكفره فهو كافر؛ لأنه رضي بالكفر ومن رضي بالكفر كمرتكبه ومن شك في كفره فهو كافر، وهذه هي المراحل الثلاث، والدلالة على ذلك من الكتاب والسنة فيما يلي:

أولا: من سب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دينهم ولعنهم، أو كفرهم عن بكرة أبيهم آحادا وأفرادا فهذا كفره من وجهين: الوجه الأول: تكذيب لله ورسوله، ومن كذب الله ورسوله فقد كفر، فقد عدل الله الصحابة من فوق سبع سموات، قال تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [الفتح:١٨].

وقال أيضا: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة) وقال أيضا: (لا يا عمر! لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم).

فهذه كلها أدلة على عدالة صحابة رسول الله من كلام الله وكلام النبي صلى الله عليه وسلم.

أما الوجه الثاني: أنه يدخل تحت عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما) وهذا له تأويل عند الجماهير أي: فقد باء بوزره، أو باء بهذه الكبيرة، لكن في سب الصحابة ينطبق هذا الحديث على ظاهره، فمن قال لـ أبي بكر: يا كافر، فقد كفر، ومن قال لـ عمر: يا كافر، فقد كفر، ومن قال لـ عائشة: يا كافرة، فقد كفر، ومن قال لـ عثمان أو لـ علي: يا كافر، فقد كفر (ومن قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما)، وفي الرواية الأخرى قال: (إن كان كذلك وإلا حارت) أي: رجعت عليه.

أما الأقوى من ذلك: فمن لم يكفر من كفر الصحابة فهو كافر؛ لأن الراضي بالمنكر كمرتكبه، وهذا الرضا الذي يظهر لنا عنده؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أنه لا بد من الإنكار بالقلب، والإنكار بالقلب:

---

(١) شرح كتاب السنة للبربهاري – الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٣/٥

ألا تبقى بالمكان الذي يسب فيه صحابة رسول الله، أما أن تضحك، وتقر بذلك، ولا ترد عليهم، وتجالسهم فأنت ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء:١٤٠]، والمثلية هنا على حالاتها التي فندها العلماء.

وأيضا: من شك في كفره فقد كفر؛ لأنه يشك في كفر من كذب الله، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، فمن شك في كفر من يكذب الله جل في علاه فقد كفر؛ لأن هذا من باب المعلوم من الدين بالضرورة.." (١)

"بعض مظاهر وصور الموالاة لأعداء الله

أما صور الموالاة المحرمة ومظاهرها، فمنها: الرضا بكفر الكافرين، وعدم تكفيرهم، أي: الشك في كفرهم، فمن أقبح صور الموالاة التي تهدد عقيدة المسلم، أن يشك في كفر الكافر، أي: لا يعتقد أنه كافر بهذا الشرك الذي ارتكبه، أو يشك في كفره، أو تصحيح المسلم لأي مظهر من مظاهرهم الكفرية.

أيضا من مظاهر ذلك: التولي العام، واتخاذهم أعوانا وأنصارا وأولياء، أو الدخول في دينهم، يقول الله عز وجل: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾ [آل عمران:٢٨].

يقول ابن جرير رحمه الله: من اتخذ الكفار أعوانا وأنصارا وظهورا يواليهم على دينهم، ويظاهرهم على المسلمين، فليس من الله في شيء، أو قد برئ من الله، وبرئ الله منه، لارتداده عن دينه، ودخوله في الكفر، (إلا أن تتقوا منهم تقاة) أي: إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تجاروهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل.

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ [المائدة:٥١].

يقول ابن حزم رحمه الله: قول الله تعالى: ((ومن يتولهم منكم فإنه منهم)) إنما هو على ظاهره؛ لأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين، يقول الله عز وجل: ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء﴾ [المائدة:٨١].

ومن صور الموالاة المحرمة: الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله، قال

---

(١) شرح مختصر الصارم المسلول - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٨/٥

الله عز وجل: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا﴾ [النساء:٥١]، ونظير هذه الآية قوله تعالى عن بعض أهل الكتاب: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون * واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾ [البقرة:١٠١ - ١٠٢]، لما اتبعوا السحر، وتركوا كتاب الله، كما يفعله اليهود وكثير من المنتسبين إلى الإسلام، فمن كان من هذه الأمة مواليا للكفار من المشركين أو أهل الكتاب ببعض أنواع الموالاة، كإسناده أهل الباطل، واتباعهم في شيء من فعالهم ومقالهم الباطل؛ كان له من العقاب والذم بحسب ذلك.

ومن مظاهر الموالاة المحرمة مودتهم ومحبتهم، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ [الممتحنة:١].

ومن ذلك أيضا: الركون إليهم، يقول الله عز وجل: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ [هود:١١٣]، يقول قتادة: يعني لا تودوهم ولا تطيعوهم.

وقد خاطب الله عز وجل الرسول عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا * إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ [الإسراء:٧٤ - ٧٥]، فإذا كان هنا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف بمن هو دونه؟! ومن الموالاة المحرمة: مداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين، يقول الله عز وجل: ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ [القلم:٩]، ومن أعظم ما يقع فيه المسلمون المداهنة والمجاملة على حساب إسلامهم، فأخذوا ينسلخون من دينهم شيئا فشيئا حتى لا يتهموا بالتعصب ولا بالتطرف، وحتى يرضى عنهم هؤلاء الكفار، الذين أخبر الله أنهم لن يرضوا حتى يترك المسلم دينه ويتنجس بكفرهم.

وقال صلى الله عليه وسلم: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم) الحديث.

ومن ذلك: اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، وأقرب شيء إلى الإنسان هو بطانة الملابس، فهي قريبة جدا من جسده، فكذلك الإنسان عندما يوالي هؤلاء الكفار، يقول عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾ [آل عمران:١١٨]، كان بعض المؤمنين يصافون المنافقين أي: يصير بينهم صفاء، ويواصلون رجلا من اليهود، فنزلت هذه الآية تحذيرا من ذلك، وبطانة الرجل خاصته، تشبيها

لها ببطانة الثوب التي تلي بطنه؛ لأنهم يستبطنون أمره، ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم، وقد بين الله العلة في النهي عن اتخاذهم بطانة فقال: ((لا يألونكم خبالا)) أي: لا يفترون ولا يتركون جهدهم فيما يوردكم الشر والفساد، ثم إنهم ليرجون ما يشق عليك من الذل والهلاك.

ومن الموالاة المحرمة: طاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به، يقول عز وجل: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ [الكهف:٢٨]، وقال عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ [آل عمران:١٤٩]، وقال عز وجل: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ [الأنعام:١٢١].

ومن ذلك: مجالستهم والركون إليهم وقت استهزائهم بآيات الله، ولذلك نهى الله عن مجالستهم فقال: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء:١٤٠]، فإذا جالستموهم وهم يشتمون دين الله، أو يطعنون في فرائضه؛ فإنكم إذا مثلهم، يعني: إن لم تقوموا عنهم في هذه الحال.

ومن ذلك: توليتهم أمرا من أمور المسلمين، كالإمارة والكتابة وغيرها، بحيث يكونون رؤساء على المسلمين، ويكون لهم سلطان على ديار المسلمين، فإنهم لن يألوا المسلمين خبالا وتآمرا عليهم، فالتولية شقيقة الولاية، لابد أن تؤدي إلى تمكين ونصرة، وتوليتهم فيه نوع من مناصرتهم ومحبتهم، وقد حسم الله الأمر أن من تولاهم فإنه منهم، فلا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم.

وهناك حادثة مشهورة وقعت أيام الملك الصالح إسماعيل، فقد كان في دولته رجل نصراني يسمى محاضر الدولة أبا الفضل بن دخان، ولم يكن في المباشرين أمكن منه، وكان قذاة في عين الإسلام، وبثرة في وجه الدين، وبلغ من أمره أنه وقع على رجل نصراني أسلم، فرده إلى دين النصرانية، وأخرجه من الملة الإسلامية، ولم يزل يكاتب الفرنجة بأخبار المسلمين وأعمالهم، وأمر الدولة وتفاصيل أحوالها، فكان مجلسه معمورا برسل الفرنج والنصارى وكانوا هم المقربين لديه، وحوائجهم مقضية عنده، ويحمل لهم الأدرار والضيافات، وأكابر المسلمين محجوبون عند الباب لا يؤذن لهم! وإذا دخلوا لم ينصفوا في التحية ولا في الكلام، وحدث أن اجتمع في مجلس الملك الصالح أكابر الناس من الكتاب والقضاة والعلماء، فسأل السلطان بعض الجماعة عن أمر أفضى به إلى ذكر مفاسد النصارى، فبسط لسانه في ذلك، وذكر بعض ما هم عليه من الأفعال والأخلاق، يعني: يقول الجاحد عليهم: الخيانة عشرة أجزاء، تسعة أجزاء منها في أهل الذمة، ويقول بعض العلماء حينما رأى في بعض مراحل التاريخ الإسلامي تمكنهم من المسلمين: بأبي وأمي

ضاعت الأحلام أم ضاعت الأذهان والأفهام من حاد عن دين النبي محمد أله بأمر المسلمين قيام إلا تكن أسيافهم مشهورة فينا فتلك سيوفهم أقلام ومن جملة كلامه أنه قال: إن النصارى لا يعرفون الحساب، ولا يدرونه على الحقيقة؛ لأنهم يجعلون الواحد ثلاثة، والثلاثة واحدا، والله تعالى يقول: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾.

فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء وقال في قصيدة له: كيف يدري الحساب من جعل الوا حد رب الورى تعالى ثلاثة ثم قال: كيف تأمن أن يفعل في معاملة السلطان كما فعل في أصل اعتقاده؟! ويكون مع هذا أكثر النصارى أمانة وكلما استخرج ثلاثة دنانير دفع إلى السلطان دينارا وأخذ لنفسه اثنين، ولاسيما وهو يعتقد ذلك قربة وديانة؟! والمقصود أن من الموالاة، توليتهم والإعجاب بهم واستئمانهم، وقد خونهم الله، يقول عز وجل: ﴿من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ [آل عمران:٧٠." (١)

"رأى السوء. (١)

- عن هشام بن عروة أن عمر بن عبد العزيز أخذ قوما على شراب ومعهم رجل صائم فضربه معهم فقيل له: إن هذا صائم، فقال: ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ (٢). (٣)

موقفه من المشركين:

- جاء في الصارم: وكان عمر بن عبد العزيز يقول: يقتل، وذلك أنه من شتم النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو مرتد عن الإسلام ولا يشتم مسلم النبي - صلى الله عليه وسلم -. (٤)

- وفيه عن خليد أن رجلا سب عمر بن عبد العزيز فكتب عمر: إنه لا يقتل إلا من سب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولكن اجلده على رأسه أسواطا، ولولا أني أعلم أن ذلك خير له لم أفعل. رواه حرب، وذكره الإمام أحمد، وهذا مشهور عن عمر بن عبد العزيز، وهو خليفة راشد، عالم بالسنة متبع لها. (٥)

موقفه من الرافضة:

- جاء في أصول الاعتقاد: عن الحارث بن عتبة أن عمر بن عبد العزيز أتي برجل سب عثمان فقال ما

---

(١) عقيدة الولاء والبراء - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٢/٥

حملك على أن سببته قال: أبغضته قال: أبغضت رجلا وسببته قال: فأمر به فجلد ثلاثين سوطا. (٦)

---

(١) أصول السنة (ص.٣٠٨).

(٢) النساء الآية (١٤٠).

(٣) الإبانة (٢/ ٣/٤٨١/ ٥١٥).

(٤) الصارم (١٠).

(٥) الصارم (٢١٣).

(٦) أصول الاعتقاد (٧/ ١٣٤٠/٢٣٨٣) وهو في الصارم المسلول (٥٧١).." [١]

"وأعاد له ذكر ما أنذره فقال تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠)﴾ (١).اهـ (٢)

- وقال ابن بطة -عقب إيراده لحديث النبي - صلى الله عليه وسلم -: «من سمع منكم بخروج الدجال فلينأ عنه ما استطاع فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فما يزال به حتى يتبعه لما يرى من الشبهات» (٣) -: هذا قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق. فالله الله معشر المسلمين، لا يحملن أحدا منكم حسن ظنه بنفسه وما عهده من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء، فيقول أداخله لأناظره أو لأستخرج منه مذهبه، فإنهم أشد فتنة من الدجال، وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من اللهب، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعن،ونهم ويسبونهم فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم، فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر ودقيق الكفر حتى صبوا إليهم. (٤)

ثم أورد رحمه الله آثارا على ذلك تجدها مبثوثة بحمد الله في هذه

---

(١) النساء الآية (١٤٠).

(٢) الإبانة (٢/ ٣/٤٢٩ - ٤٣٠)

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٨/٢

(٣) تقدم تخريجه. انظر مواقف أحمد بن سنان (٢٥٩هـ).

(٤) الإبانة (٢/ ٣/ ٤٧٠).." [١]

"- وقال: وأما قوله في حديث العرباض (١): «فإن كل بدعة ضلالة» بعد قوله: «وإياكم ومحدثات الأمور» فإنه يدل على: أن المحدث يسمى بدعة. وقوله: «كل بدعة ضلالة»: قاعدة شرعية كلية بمنطوقها ومفهومها، أما منطوقها فكأن يقال: "حكم كذا بدعة وكل بدعة ضلالة" فلا تكون من الشرع لأن الشرع كله هدى، فإن ثبت أن الحكم المذكور بدعة صحت المقدمتان، وأنتجتا المطلوب، والمراد بقوله «كل بدعة ضلالة» ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام. (٢)

موقفه من المشركين:

- قال في قوله تعالى: ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ (٣) ويستفاد من هذا مشروعية الهرب من الكفار ومن الظلمة لأن الإقامة معهم من إلقاء النفس إلى التهلكة، هذا إذا لم يعنهم ولم يرض بأفعالهم، فإن أعان أو رضي فهو منهم، ويؤيده أمره - صلى الله عليه وسلم - بالإسراع في الخروج من ديار ثمود (٤).اهـ (٥)

موقفه من الرافضة:

جاء في الفتح:

---

(١) انظر تخريجه في مواقف اللالكائي سنة (٤١٨هـ).

(٢) الفتح (١٣/ ٢٥٤).

(٣) النساء الآية (١٤٠).

(٤) أحمد (٢/ ٩ و٥٨ و٧٢) والبخاري (٦/ ٤٦٧/ ٣٣٨١) ومسلم (٤/ ٢٢٨٦/ ٢٩٨٠ (٣٩)) من حديث ابن عمر.

(٥) الفتح (١٣/ ٦١).." [٢]

---

[١] موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٥/٣٩٦

[٢] موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٨/٥١٠

"حكم حضور المهرجانات التي ترتكب فيها أمور شركية

Q يقام في أيام الإجازات عدد من المهرجانات، ويقام فيها ألعاب السيف، ويقام فيها أمور وأفعال خارقة للعادة، فما حكمها وما حكم حضورها؟

A ينظر في هذه الألعاب، فإن كانت من ألعاب السحرة فلا تجوز، ولا يجوز حضورها إلا مع الإنكار إن كان يجد منكرا.

وإذا كانت عندنا في البلاد فيكتب إلى المسئولين، وترفع إلى ولاة الأمور حتى تزال، وإذا كانت خارج البلاد فينكر الإنسان بالاستطاعة وإلا فلا يحضرها؛ لأن الواجب على الإنسان أن ينكر المنكر، فإن زال وإلا فليترك هذا المكان، فإذا كان يفعل الشرك في هذا المكان وسكت صار حكمه حكم شركي، وإذا كان أمرا منكرا صار حكمه حكم هذا المنكر، قال الله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء:١٤٠]، فبين الله أن من سكت وحضر المنكر فحكمه كحكمهم، فإذا كانوا يشركون بالله وسكت ولم ينكر فإنه يكون حكمه كحكم المشركين، وإذا كانوا يشربون الخمر وسكت فحكمه كحكم من يشرب الخمر، وإذا كانوا يغتابون الناس فحكمه كحكم من يغتاب الناس، فهو مثلهم عليه إثمه إذا سكت، والواجب أن تنكر، فإن امتثلوا وتركوا وإلا فقم عن المكان، ولا تكون شريكا لهم في الإثم.." [(١)]

"واجب طلبة العلم تجاه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

Q لوحظ في هذه الأيام كثرة طلاب العلم ولله الحمد والمنة، ولكن يلاحظ مع ذلك قلة الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهل من تعليق لكم وفقكم الله؟

A يجب على طلبة العلم أن يكونوا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، والله تعالى بين أن الخيرية لهذه الأمة إنما حصلت بذلك، فقال سبحانه: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران:١١٠]، فالخيرية إنما صحت بهذه الأمور الثلاثة: الإيمان بالله، وبالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فمن عمل بهذه الصفات وانطبقت عليه حصلت له الخيرية، ومن فاتته هذه الصفات فاتته الخيرية، قال سبحانه: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران:١٠٤] الأمر من الله أن تكون أمة منتصبة بهذا الأمر بالقيام بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال سبحانه في وصف المؤمنين: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء

---

(١) شرح تطهير الاعتقاد للصنعاني - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٦/٧

بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله﴾ [التوبة:٧١] يرحمهم الله بهذه الصفات، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، فينبغي لطلبة العلم أن يكونوا في المقدمة، وأن يمتثلوا أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، فما قيمة العلم الذي لا يعمل به الإنسان، من العمل بالعلم أن يكون طالب العلم آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، لكن بالحكمة والموعظة الحسنة، باللين والرفق.

وإنكار المنكر له ثلاث مراتب: أولا: الإنكار باليد إذا كان الإنسان يستطيع أن يغير بإن كان له سلطة كالأمير، وإن كان في بيته إذا كان يستطيع غير بيده، وثانيا: إذا عجز باللسان والبيان، وثالثا: الإنكار بالقلب؛ كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه الذي رواه الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)، والإنكار بالقلب لابد فيه من البعد عن المنكر، فإذا كنت لا تستطيع أن تنكر باللسان لا تجلس معهم، بل تقوم وتظهر علامة الإنكار على وجهك، أما إذا كنت تجلس معهم وتدعي أنك تنكر المنكر بقلبك فأنت شريك لهم في الإثم، فإن كانوا يشربون الخمر فحكمك حكم من يشرب الخمر، وإن كانوا يغتابون الناس وأنت ساكت وتستطيع أن تقوم فحكمك حكمهم، وإن كانوا يسبون الإسلام أو يسبون الله، فحكمك حكمهم، قال الله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ [النساء:١٤٠]، فمن جلس مع قوم يكفرون بالله ولم ينكر عليهم ولم يقم فحكمه حكمهم، ومن جلس مع قوم يشربون الدخان ولم ينكر عليهم فحكمه حكمهم في الإثم، نسأل الله السلامة والعافية، ونسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع العمل الصالح، ونسأله سبحانه وتعالى أن يتوفانا على الإسلام، إنه ولي ذلك والقادر عليه.." [(١)]

"قول ابن المسيب في النشرة

قال المصنف رحمه الله: [وفي البخاري عن قتادة: قلت لـ ابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه].

سعيد بن المسيب رحمه الله من الذين يقولون بجواز حل النشرة، وعلته ما ذكر، وهو قوله: إذا كانوا يريدون به الإصلاح –يعني: إصلاح ما أفسده السحرة– فلا بأس به، أما إذا كان خلاف ذلك فهو محرم، ولكن

(١) شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث – الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٢/٢٠

هذا يفتقر إلى دليل، والأدلة على خلافه، ومنها ما ذكرنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها)، ومن المعلوم الذي لا يشك فيه من يعرف الشرع أو بعض أحكامه أن السحر من المحرمات، ومنها أن الذهاب إلى الساحر والرضا بفعله يعتبر تقريرا له، وتقرير الفاعل على الفعل يجعل المقرر له مشاركا له في الفعل فيكون مثله، ولهذا أخبرنا ربنا جل وعلا أن الذين يجلسون مع من يستهزئ بآيات الله أنهم مثل المستهزئ، والمستهزئ كافر، وكان يجب عليه إذا جلس مع المستهزئ أن ينكر عليه، وكذلك الموالاة، كون المسلم يكون مع الكافر غير مظهر له العداوة والبغضاء، وإن كان يكره ذلك في نفسه فإنه يكون مثله؛ لهذا يقول جل وعلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ [المائدة:٥١] أي: فهو منهم.

ويقول جل وعلا: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ [المجادلة:٢٢].

ويقول جل وعلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ [الممتحنة:١].

وهناك آيات كثيرة تدل على أن الإنسان يجب عليه أن ينكر فعل المخالف ويبغضه، أما إذا جلس معه وأقره أو ذهب إليه وتركه على ما هو عليه فإنه يكون مثله كما قال جل وعلا: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء:١٤٠] يعني: إذا جلس الإنسان مع من يسعى إلى الكفر ويسعى إلى المعاصي ولم ينكر عليه -وإن كان يبغض ذلك ويكرهه في قلبه- فإنه يكون مثله؛ لأن الله ميز المؤمنين من الكافرين، فكيف يجوز أن يذهب إلى الساحر حتى يحل السحر عنه؟! هذا إقرار له، ودين الله لا يقبل التجزئة ولا المداهنة فيه، فالصواب المنع من هذا.

[قوله: عن قتادة هو ابن دعامة بكسر الدال السدوسي ثقة فقيه من أحفظ التابعين قالوا: إنه ولد أكمه، مات سنة بضع عشرة ومائة].

قوله: (ويؤخذ عن امرأته) يعني: أنه يعمل له سحر يمنع به أن يصل إليها، كما يفعله كثير من الناس، يعملون السحر لأجل ذلك، وهذا يعمله من لا خلاق له في الآخرة من الفسقة والظلمة الذين لا يخافون الله ولا

يراقبونه، وإنما يريدون أن يوقعوا الضرر بمن يحسدونه على شيء من أمور الدنيا؛ لذلك يرتكب هذا الجرم الذي يذهب بحسناته، وقد يجعله من أهل النار نسأل الله العافية.

أما المؤمن المتقي فإنه يخاف الله ولا يفعل شيئا من ذلك، إنما يفعله فسقة المسلمين؛ لأنه في الواقع جاهل لا يعرف العاقبة، ولا يعرف ما يئول إليه الأمر، فلو كشف عن سوء فعله لهانه ذلك أشد الهون.

فمن (يؤخذ عن زوجته) ويمنع من قربانها بواسطة السحر؛ فعلاجه يكون بالرقى الشرعية والأدوية المباحة، أما السحر فلا يجوز تعاطيه.

قال الشارح رحمه الله: [قوله: رجل به طب، بكسر الطاء أي: سحر، يقال: طب الرجل بالضم إذا سحر، ويقال: كنوا عن السحر بالطب؛ تفاؤلا كما يقال للديغ: سليم.

وقال ابن الأنباري: الطب من الأضداد، يقال: لعلاج الداء: طب، والسحر من الداء ويقال له: طب.

قوله: (يؤخذ) بفتح الواو مهموزة، وتشديد الخاء المعجمة وبعدها ذال معجمة، أي: يحبس عن امرأته ولا يصل إلى جماعها، والأخذة -بضم الهمزة- الكلام الذي يقوله الساحر.

قوله: (أيحل) بضم الياء وفتح الحاء مبني للمفعول.

قوله: (أو ينشر) بتشديد المعجمة.

قوله: (لا بأس به) يعني: أن النشرة لا بأس بها؛ لأنهم يريدون بها الإصلاح أي: إزالة السحر، ولم ينه عما يراد به الإصلاح، وهذا من ابن المسيب يحمل على نوع من النشرة لا يعلم أنه سحر].

يعني: أن كلام سعيد بن المسيب يحمل على نوع لا يكون من السحر، وهذا تأويل، ولكن الظاهر أنه يقصد به السحر؛ لأنه قال: (أما ما ينفع فلا) يعني: فلا يمنع منه (إنما يريدون به الإصلاح)، فهو ظاهر في أنه يريد السحر، ولكن قال هذا: (إنه يحمل على نوع ليس من السحر) حتى يتفق مع الأدلة ومع قول جمهور العلماء، هذا مقصوده، وعند العلماء قاعدة يسيرون عليها، إذا جاء عن أحد العلماء كلام يخالف الدليل فإنه يحمل على أحسن المحامل، ولا يظن بالعلماء أنهم يخالفون الدليل فهذا منه، فلهذا قال: إنه يحمل على نوع ليس من السحر.." [١]

"آثار السلف في التحذير من مجالسة أهل الأهواء وسماع كلامهم

قال المصنف رحمه الله تعالى: [قد أعملتك يا أخي عصمني الله وإياك من الفتن، ووقاني وإياك جميع المحن؛ أن الذي أورد القلوب حمامها، وأورثها الشك بعد اتقائها، هو البحث والتنقير، وكثرة السؤال عما

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٧/٧٨

لا تؤمن فتنته، وقد كفى العقلاء مؤنته، وأن الذي أمرضها بعد صحتها، وسلبها أثواب عافيتها، إنما هو من صحبة من تغر إلفته، وتورد النار في القيامة صحبته، أما البحث والسؤال فقد شرحت لك ما إن أصغيت إليه –مع توفيق الله– عصمك، ولك فيه مقنع وكفاية.

وأما الصحبة فسيرجع عليك بالنفع طالما إن تمسكت به نفعك، وإن أردت الله الكريم به وفقك، قال الله عز وجل فيما خص به نبيه صلى الله عليه وسلم وحذره منه: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ [الأنعام:٦8].

ثم أذكره ما حذره، وأعاد له ذكر ما أنذره فقال تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ [النساء:١٤٠].

عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿يخوضون في آياتنا﴾ [الأنعام:٦٨]، قال: يستهزئون، نهى الله عز وجل محمدا أن يقعد معهم إلا أن ينسى، فإذا تذكر فليقم، وذلك قوله: ﴿فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ [الأنعام:٦٨].

وعن قتادة بن دعامة البصري في قول الله تعالى: ﴿فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ [الأنعام:٦٨] قال: نهاه الله أن يجلس مع الذين يخوضون في آيات الله يكذبون بها، وإن نسي وقعد فلا يقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين.

وعن ابن عون قال: كان محمد بن سيرين يرى أن أسرع الناس ردة هم أهل الأهواء، وكان يرى أن هذه الآية أنزلت فيهم: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم﴾ [الأنعام:٦٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)]، والخليل: هو الصديق والصاحب.

قال: [وعن عطاء قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: لا تجالس أهل الأهواء؛ فإنهم يحدثون في قلبك ما لم يكن فيه].

أي: أن لهم تأثيرا شديدا كالسحر في الخلق، فإذا دخل شيء من كلامهم وأهوائهم في قلب المرء أفسده، فنسأل الله عز وجل أن يحفظك منه.

[وعن طلحة قال: سمعت خصيفا الجزري يقول: أشهد أن في التوراة مكتوبا: يا موسى! لا تجادل أصحاب

الأهواء؛ فيمرضوا عليك قلبك بما يرديك فيدخلك النار.

وعن محمد بن النضر الحارثي قال: بلغنا أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام: أن كن يقظانا -أي كن حذرا متيقظا- مرتادا بنفسك أخدانا، فكل خدن لا يواتيك على مسرتي فاحذره].

أي: كل صاحب لك لا يصحبك على ما يحبه الله عز وجل، فلا تصاحبه؛ فإنه لك عدو، وهو يقسي قلبك.

وعن عطاء قال: بلغني أن فيما أنزل الله على موسى: لا تجالس أهل الأهواء فيحدثوا في قلبك ما لم يكن فيه.

وقال أبو قلابة -وهو عبد الله بن زيد الجرمي الإمام البصري الكبير-: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما تعرفون].

أي: أن مجرد المجالسة له ولو مرة واحدة أنت منهي عن ذلك؛ فضلا عن مناظرته ومجادلته وخصومته وغير ذلك، فمن باب أولى ألا تفعل ذلك؛ س لأن السلف لم يأمنوا علينا إذا فعلنا ذلك أن ننغمس في البدعة، وأن نتقرب من هواهم، أو يلبسوا علينا، أو يضعونا في دائرة الشك في الثوابت التي لدينا ومنها: شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام، وشفاعة الشافعين جميعا، فهذه عقيدة استقرت في قلوب العامة والخاصة، حتى إن عامة الناس إذا تحدثوا قال بعضهم لبعض: صلوا على النبي، فهذه عقيدة مستقرة لدى العامة أن النبي عليه الصلاة والسلام شفيع لأمته، ووجد في الأمة من ينكر الشفاعة؛ لأن ثقافتهم إنما هي بالصحف والمجلات، ولم يتلقوا علمهم ودينهم من أهل العلم.

[وعن عمرو بن قيس الملائي قال: كان يقال: لا تجالس صاحب زيغ فيزيغ قلبك.

وعن أبي قلابة قال: قال أبو الدرداء: من فقه المرء ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه].

أي: من العلامات الدالة على فقه الرجل، وعلى عقله واستقامته: النظر إلى ممشاه، أي: مع من يمشي، ومع." (١)

"تابع آثار السلف في التحذير من مجالسة أهل البدع

قال: [وعن هشام بن عروة: أن عمر بن عبد العزيز أخذ قوما على شراب -أي: جلسوا يشربون خمرا- ومعهم رجل صائم -والصائم لا يشرب شيئا- فضربه معهم، فقيل له: إن هذا صائم.

فقال: قال الله تعالى: ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء:١٤٠].

---

(١) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ٤/١٤

قال: [وقال الفضيل: ليس للمؤمن أن يقعد مع كل من شاء؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ [الأنعام:٦٨]].." (١)

"قول ابن حزم رحمه الله تعالى

قال الإمام ابن حزم في كتاب الفصل: وأما قولهم -أي: المرجئة-: إن شتم الله تعالى ليس كفرا، وكذلك شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فهذا مجرد دعوى، يعني: لا دليل عليها؛ لأن الله تعالى قال: ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ [التوبة:٧٤]، فنص تعالى على أن من الكلام ما هو كفر، فيخرج الإنسان من الإيمان بمجرد الكلمة وإن لم يستحل، باستثناء المكلف؛ لأن الأصل أنه يعرف ماذا يقول.

أما الغضب فله مراتب كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

فمنه الإغلاق، أي: الذي لا يدري معه المرء ماذا يقول، ولا ماذا يفعل، حتى مثل بعض أهل العلم على ذلك: بأنه إذا ألقى ولده من مكان شاهق، أو نزل إلى الوادي فقتله، فلما أفاق من غضبه قيل له: لم قتلت ولدك؟ قال: والله ما قتلته، فكذلك لو أن واحدا بلغ به الغضب هذا المبلغ بحيث لا يدري ما يقول؟ فإنه لو قال كلمة كفر فلا يكفر بها؛ لأنه غير مكلف؛ ولأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق)، وهذا الذي بلغ به الغضب هذا المبلغ هو كالمجنون سواء بسواء، ولذلك لو نكح لا ينعقد نكاحه، ولو طلق لا يقع طلاقه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا طلاق في إغلاق)، أي: شدة الغضب.

وهناك غضب بسيط يستطيع الإنسان فيه أن يكبح جماح نفسه، وهذا الغضب يسميه ابن تيمية: الغضب البسيط، وهذا النوع من الغضب تترتب عليه الأحكام، فإذا طلق رجل امرأته في هذا الغضب فإنه يقع.

وهناك غضب بين هاتين المرحلتين، أو بين هذين الغضبين: الإغلاق والبسيط، وهو غضب شديد يدرك معه المرء ما يقوله، ويستطيع أن يكبح جماح نفسه، فالجمهور على أن هذا الرجل إذا نطق بكلمة الكفر كفر، وإذا طلق وقع طلاقه، والأحناف بخلاف ذلك، ولذلك عندما تذهب إلى الأزهر وتقول: طلقت امرأتي وأنا غاضب؟ فيقولون لك: لم يقع الطلاق؛ لأنهم يأخذون بالأنفع لحياة الناس، والأزهر عندهم مذهب الأحناف، وهذا الذي تتبناه لجنة الفتوى بالأزهر، بينما بعض أهل العلم في الأزهر يقولون بمذهب الجمهور، وبهذا التقسيم الذي قسمه ابن تيمية في الغضب، لكن تجد العوام الذين عرفوا توجه الأزهر من

---

(١) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ١٥/١٤

أمكر خلق الله! فتجد أحدهم يدخل على العالم فيقول: يا شيخ أنا كنت غضبان.

من غير أن يقول له: أنا طلقت، أو لم يطلق، أو أي شيء آخر، ثم يقول له العالم: أنت كنت غضبانا إلى درجة أنك ممكن تقتل ابنك؟ فيقول له: لا، أنا كنت غضبانا وغير مرتاح، وكنت أصيح وغير ذلك، فيقول له: ومن الذي أغضبك؟ فيقول له: فلان وفلان، يعني: أنت كنت في أتم عقلك وإدراكك أن فلانا وفلانا كانوا موجودين؟ فيقول: نعم، إذا طلاقك قد وقع، فيقول له: يا شيخ هم يقولون لي: إن الأزهر يقول: إن الغضبان لا يقع طلاقه، يعني: هو أتى ومعه فتواه، فيفاجأ بأن الأزهري يقول له: إن طلاقه قد وقع، ويقول له: اذهب وتزوج واحدة أخرى، ويذهب فيتزوج واحدة أخرى وهكذا، والشيخ إذا قلت لهم أي شيء يقول لك: ما دام هكذا خيرنا في مذهب الأحناف.

وقال تعالى: ﴿إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء:١٤٠]، فنص تعالى على أن الكلام في آيات الله تعالى منه ما هو كفر بعينه، يعني: بمجرده هو كفر، وأمرنا بترك مجالستهم.

وقال الله تعالى: ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة﴾ [التوبة:٦٥ - ٦٦]، فنص الله تعالى على أن الاستهزاء بالله تعالى، أو بآياته، أو برسول من رسله كفر مخرج عن الإيمان، ولم يقل تعالى في ذلك: إني علمت أن في قلوبكم كفرا، يعني: لم يعلق الكفر على معرفته بما في قلوبهم، وإنما على مجرد الاستهزاء، بل جعلهم كفارا بنفس الاستهزاء، ومن ادعى غير هذا فقد قول الله تعالى ما لم يقل، وكذب على الله تعالى.

ثم قال: الجحد لشيء مما صح البرهان أنه لا إيمان إلا بتصديقه كفر، وهذا باتفاق، فالصلاة من الإيمان وجحودها كفر، والنطق بشيء مما قام البرهان بأن النطق به كفر كفر، إذا ترك العمل المتفق على أنه من الإيمان جحودا كفر، فالصلاة من الإيمان، والزكاة من الإيمان، والصيام من الإيمان، والحج من الإيمان، فمن جحد شيئا من ذلك فقد كفر.

وبالتالي فيكون هذا كفر بالعمل والاعتقاد أننا نقول: جحد، لكن هل يمكن أن يقع الكفر بالقول؟ نعم، وهذا القول جاء بالنص أو انعقد الإجماع على أن قائله كافر، قوله: والعمل بشيء مما قام البرهان بأنه كفر كفر كذلك، يعني: يريد أن يقول لك: عندي الآن ثلاثة إجماعات: إجماع أن من اعتقد شيئا هو كفر." (١)

---

(١) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ١٣/٤٠

"واجب المؤمن تجاه من يكفر بآيات الله ويستهزئ بها

قال سبحانه: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ [النساء: ١٤٠].

هذه الآية فيها بيان أنه لا يجوز للإنسان أن يجلس في مجلس يعصى الله فيه، ويكفر فيه بآيات الله ويستهزأ بها، وأن من جلس في مثل هذه المجالس فإن عليه أن ينكر، فإن سكت ولم ينكر فحكمه حكمهم، فإذا جلس في مجلس يكفر فيه بالله ويستهزأ به وبكتابه وسكت ولم ينكر، فإن حكمه حكم الكافرين، والراضي بالكفر كافر، وإذا جلس في مجلس غيبة ولم ينكر عليهم، فحكمه حكم المغتابين في الإثم، وإذا جلس في مجلس يشرب فيه الخمر أو الدخان ولم ينكر فحكمه حكم من شرب الخمر أو شرب الدخان.

إذا: الواجب على الإنسان أحد أمرين: الإنكار، فإن زال المنكر وإلا قام عن المجلس، أما إذا لم ينكر وسكت فحكمه حكمهم.." (١)

"حكم ترك إنكار المنكر مع القدرة

Q نرى انتشار طلاب العلم -ولله الحمد- وكذلك أهل الخير، فما رأيكم في ضعفهم في إنكار المنكر، وعدم القيام به على الوجه المطلوب؟

A الواجب على المسلم أن ينكر المنكر بقدر استطاعته، فيزيله باليد إذا كان مستطيعا كأن يكون المنكر في بيته، أو كالأمير أو كرجال الهيئة في حدود صلاحياتهم فيغيرون المنكر باليد.

فإن كان لا يستطيع تغيير المنكر باليد فينكر باللسان، فإن عجز عن ذلك كما إذا كان يترتب على إنكاره باللسان ضرر محقق في بدنه أو ماله أو أهله فإن ينكر بقلبه، بمعنى أنه يكره المنكر بقلبه ولا يجالس أهله، بل يقوم عنهم، ولتكن علامات الإنكار على وجهه، فيقطب وجهه وتظهر عليه علامات الكراهة، فقد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).

إذا: فدرجات التغيير ثلاث: باليد ثم باللسان ثم بالقلب، فالإنكار بالقلب معناه كراهة المنكر والبعد عن

---

(١) شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٩/٥

أهله، فإذا كان يكره بقلبه فإنه لا يجلس وهو يستطيع البعد، فإذا كان يستطيع القيام فإنه يجب عليه أن يقوم، فإن لم يقم فليس صادقا في إنكار المنكر، ولابد أن تظهر علامات المنكر على وجهه، ولينصرف عنهم، فإن جلس فحكمه كحكمهم، ودعواه أنه أنكر المنكر كذب وليست صحيحة، كما قال تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠].

فمن جلس في مجلس يكفر فيه بالله وهو يستطيع القيام ولم ينكر ولم يقم فحكمه حكمهم، ومن جلس في مجلس يشرب فيه الخمر ولم ينكر عليهم وهو يستطيع الإنكار فحكمه كحكم شارب الخمر في الإثم، ومن جلس في مجلس يغتاب فيه الناس وهو يستطيع القيام ولم ينكر عليهم ولم يقم فحكمه كحكم المغتابين.." (١)

"وقال: ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾.

وإن كان المقصود باعتزال الوالدين هجرهما، فإن هجرهما لا يجوز بحال، وما وقع من إبراهيم عليه السلام هو أنه أولا ترك ما عليه قومه من الباطل والتزم الحق، ولذلك قال فيما حكى الله عنه: ﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا﴾.

قال ابن كثير في تفسيره وهو يبين معنى هذه الآية: أي: أجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله،﴿ وأدعو ربي ﴾أي: وأعبد ربي وحده لا شريك له. اهـ.

ثم إن إبراهيم عليه السلام بعد أن رأى أباه يتوعده بقوله فيما ذكر الله عنه في كتابه:﴿ قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا﴾.

فأجابه إبراهيم عليه السلام بقوله:﴿ قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا﴾.

وقرر بعد ذلك أن يهاجر بدينه لا أن يهجر والديه، كما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتركوا الآباء والأمهات، قال ابن كثير في تفسيره عند كلامه عن قول الله تعالى من سورة العنكبوت:﴿ وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم﴾.

قال: يحتمل عود الضمير في قوله: وقال . على لوط، لأنه أقرب المذكورين، ويحتمل عوده إلى إبراهيم – قال ابن عباس، والضحاك: وهو المكنى عنه بقوله:﴿ فآمن له لوط﴾. أي: من قومه.

---

(١) شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية – الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٦/١٠

ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم، ابتغاء إظهار الدين والتمكن من ذلك. اهـ. والله أعلم.

الإشكال الرابع: عن سمرة بن جندب – رضي الله عنه –: قال: «أما بعد، فإن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله».وفي رواية قال: «لا تساكنوا المشركين، ولا تجامعوهم، فمن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم». هل المساكنة الواردة في الحديث تشمل مساكنة الأهل كالزوجة الكتابية وكمن يسكن مع والديه الكافرين؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فمعنى هذا الحديث يظهر بمعرفة سببه، فعن جرير بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية إلى خثعم، فاعتصم ناس بالسجود، فأسرع فيهم القتل، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر لهم بنصف العقل الدية وقال: أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين.

وفي رواية "لا تساكنوا المشركين، ولا تجامعوهم، فمن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم." رواه الترمذي وأبو داود والنسائي، وصححه الألباني.

فظهر بذلك أن المراد هو الإقامة في ديار المشركين، ولذلك بوب عليه الترمذي باب: (ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين) وأما مساكنة الوالدين الكافرين." [١]

"س: ما معنى قاعدة: الرضا بالكفر كفر؟

ج: والمعنى أن من أقر الكافر على كفره وصحح ما هو عليه من الكفر أو زعم بأن جميع الناس من يهود أو نصارى أو غيرهم من ملل الكفر سيدخلون الجنة كأهل التوحيد والإسلام؛ أو أحب الكافر لكفره فهو كافر قولا واحدا؛ والدليل على هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ (النساء: ١٤٠).

وقال القرطبي في تفسيره "الجامع": ﴿إنكم إذا مثلهم﴾، من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضى بالكفر كفر، فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية ا– هـ.

*****

---

(١) الولاء والبراء والعداء في الإسلام، أبو فيصل البدراني ص/١١٥

س: ما حكم بناء كنائس النصارى أو معابد اليهود أو ما شابه في ديار الإسلام؟

ج: جاء في فتوى اللجنة الدائمة فتوى رقم (٢١٤١٣) وتاريخ ١/ ٤ / ١٤٢١ هـ: صار من ضروريات الدين: تحريم الكفر الذي يقتضي تحريم التعبد لله على خلاف ما جاء في شريعة الإسلام، ومنه تحريم بناء معابد وفق شرائع

منسوخة يهودية أو نصرانية أو غيرهما؛ لأن تلك المعابد سواء كانت كنيسة أو غيرها تعتبر معابد كفرية؛ لأن العبادات التي تؤدى فيها على خلاف شريعة الإسلام الناسخة لجميع الشرائع قبلها والمبطلة لها، والله تعالى يقول عن الكفار وأعمالهم: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ (الفرقان: ٢٣).." [١]

"ذلك أن التسامح هنا ليس تسامحا. إنما هو تميع. والإسلام عقيدة التسامح. ولكنه ليس عقيدة «التميع».إنه تصور جاد. ونظام جاد. والجد لا ينافي التسامح. ولكنه ينافي التميع. وفي هذه اللفتات واللمسات من المنهج القرآني للجماعة المسلمة الأولى، بيان، وبلاغ .. (١)

وقال تعالى: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩) وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جم◌يعا (١٤٠)﴾ [النساء:١٣٨ - ١٤٠]

عد الله تعالى المنافقين من هذا الصنف المتردد من الناس، آمنوا ثم كفروا، فطبع الله على قلوبهم، وقد بشرهم الله بأن لهم عذابا أليما في الآخرة.

ثم وصف الله تعالى هؤلاء المنافقين بأنهم يتخذون الكافرين المعادين للإيمان والمؤمنين، أولياء لهم يلقون إليهم بالمودة. وينكر الله تعالى عليهم هذا المسلك في موالاة الكافرين. ويسأل الله مستنكرا: هل يبتغي هؤلاء المنافقون العزة والغلبة والمنعة عند الكافرين؟ ثم ينبههم إلى أن العزة كلها لله وحده، ولا شريك له فيها، ثم تكون العزة لمن جعلها الله له. ثم يحثهم الله على الإقبال على إعلان عبوديتهم لله وحده، والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم النصر في الحياة الدنيا، ولهم الفوز برضوان الله وجنته يوم القيامة.

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام - البركاتي، أبو عاصم البركاتي ص/٥٥

كان بعض المسلمين يجلسون مع المشركين، وهم يخوضون في الكفر وذم الإسلام، والاستهزاء بالقرآن، ولا يستطيعون الإنكار عليهم لضعفهم، ولقوة المشركين، فأمرهم الله تعالى بالإعراض عنهم.

---

(١) - في ظلال القرآن للسيد قطب-ط١ - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ١٠٨٦)." (١)

"يعني بقوله: ﴿يخوضوا﴾ [النساء:١٤٠] يتحدثوا حديثا غيره بأن لهم عذابا أليما. وقوله: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء:١٤٠] يعني: وقد نزل عليكم أنكم إن جالستم من يكفر بآيات الله ، ويستهزئ بها وأنتم تسمعون فأنتم مثله ، يعني: فأنتم إن لم تقوموا عنهم في تلك الحال مثلهم في فعلهم ، لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم ، وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، كما عصوه باستهزائهم بآيات الله ، فقد أتيتم من معصية الله نحو الذي أتوه منها ، فأنتم إذا مثلهم في ركوبكم معصية الله ، وإتيانكم ما نهاكم الله عنه.

وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم. وبنحو ذلك كان جماعة من الأمة الماضية يقولون تأولا منهم هذه الآية ، إنه مراد بها النهي عن مشاهدة كل باطل عند خوض أهله فيه" (١)

البشارة تستعمل في الخير، وتستعمل في الشر بقيد كما في هذه الآية. يقول تعالى: ﴿بشر المنافقين﴾ أي: الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بأقبح بشارة وأسوئها، وهو العذاب الأليم، وذلك بسبب محبتهم الكفار وموالاتهم ونصرتهم، وتركهم لموالاة المؤمنين، فأي شيء حملهم على ذلك؟ أيبتغون عندهم العزة؟ وهذا هو الواقع من أحوال المنافقين، ساء ظنهم بالله وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عما وراء ذلك، فاتخذوا الكافرين أولياء يتعززون بهم ويستنصرون.

والحال أن العزة لله جميعا، فإن نواصي العباد بيده، ومشيئته نافذة فيهم. وقد تكفل بنصر دينه وعباده المؤمنين، ولو تخلل ذلك بعض الامتحان لعباده المؤمنين، وإدالة العدو عليهم إدالة غير مستمرة، فإن العاقبة والاستقرار للمؤمنين، وفي هذه الآية الترهيب العظيم من موالاة الكافرين، وترك موالاة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم.

---

(١) مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود ص/٢٧٦

(١) - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٧/ ٦٠١)." [١]

"وهي هي الهزيمة الداخلية تدب في أوصاله وهو يموه على نفسه في أول الطريق، حياء منه أن تأخذه نفسه متلبسا بالضعف والهوان! إن الحمية لله، ولدين الله، ولآيات الله. هي آية الإيمان. وما تفتر هذه الحمية إلا وينهار بعدها كل سد وينزاح بعدها كل حاجز، وينجرف الحطام الواهي عند دفعة التيار. وإن الحمية لتكبت في أول الأمر عمدا. ثم تهمد. ثم تخمد. ثم تموت!

فمن سمع الاستهزاء بدينه في مجلس، فإما أن يدفع، وإما أن يقاطع المجلس وأهله. فأما التغاضي والسكوت فهو أول مراحل الهزيمة. وهو المعبر بين الإيمان والكفر على قنطرة النفاق!

وقد كان بعض المسلمين في المدينة يجلسون في مجالس كبار المنافقين - ذوي النفوذ - وكان ما يزال لهم ذلك النفوذ. وجاء المنهج القرآني ينبه في النفوس تلك الحقيقة .. حقيقة أن غشيان هذه المجالس والسكوت على ما يجري فيها، هو أولى مراحل الهزيمة. وأراد أن يجنبهم إياها .. ولكن الملابسات في ذلك الحين لم تكن تسمح بأن يأمرهم أمرا بمقاطعة مجالس القوم إطلاقا. فبدأ يأمرهم بمقاطعتها حين يسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها .. وإلا فهو النفاق .. وهو المصير المفزع، مصير المنافقين والكافرين: «وقد نزل عليكم في الكتاب: أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، فلا تقعدوا معهم، حتى يخوضوا في حديث غيره. إنكم إذا مثلهم. إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا» ... والذي تحيل إليه الآية هنا مما سبق تنزيله في الكتاب، هو قوله تعالى في سورة الأنعام - وهي مكية - «وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره» ..

والتهديد الذي يرتجف له كيان المؤمن: «إنكم إذا مثلهم» .. والوعيد الذي لا تبقى بعده بقية من تردد: «إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا» .. ولكن قصر النهي على المجالس التي يكفر فيها بآيات الله ويستهزأ بها، وعدم شموله لكل علاقات المسلمين بهؤلاء المنافقين، يشي - كما أسلفنا - بطبيعة الفترة التي كانت تجتازها الجماعة المسلمة - إذ ذاك - والتي يمكن أن تتكرر في أجيال أخرى وبيئات أخرى - كما تشي بطبيعة." [٢]

---

(١) مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود ص/٢٧٨

(٢) مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود ص/٢٨٣

"(وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا).

وهذا الوعيد نسوقه لأولئك الذي اعتادوا زمالة ومرافقة من لا خلاق له في الآخرة ولا نصيب، ممن احترفوا السخرية بشريعة الله، أو المتمسكين بها والداعين إليها من علماء الأمة ودعاتها.

ومن مظاهر موالاة الكفار أخيرا: تعظيمهم، وخلع الألقاب عليهم، وفي الحديث:"لا تقولوا للمنافق يا سيد".

أما مبادأتهم بالسلام فحرام، لقوله عليه الصلاة والسلام:"لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام". [وأنظره في صحيح مسلم].

يقول صاحب تحفة الأخوان، رحمه الله:"ومما يجب النهي عنه: ما يفعله كثير من الجهال في زماننا إذا لقي احدهم عدوا لله سلم عليه، ووضع يده على صدره، إشارة إلى انه يحبه محبة ثابتة في قلبه، أو يشير بيده إلى رأسه، إشارة إن منزلته عنده على الرأس، وهذا الفعل المحرم يخشى على فاعله أن يكون مرتدا عن الإسلام، لأن هذا مبلغ الموالاة والتعظيم لأعداء الله".انتهى كلامه رحمه الله.

كل تلك المظاهر من موالاة الكفار تدل على إفلاس العقيدة، وانحراف الإيمان لدى أولئك الباذلين ولاءهم لمن يستحق لعنة الله وعذابه.

أين هؤلاء جميعا من تلك القمم السامقة والأمثلة الرفيعة التي عرضها القرآن الكريم نماذج يحتذى بها؟!

ألم يعلموا كيف كانت تلك القمم تستعلي على الباطل، وتستهين به وتحتقره؟! وكيف كانت تكفر بكل الروابط الأرضية، وكل الأواصر الدنيوية مستبدلة بها رابطة الدين والعقيدة؟!.

ها هو موسى عليه السلام يدعو قومه إلى الجهاد ودخول أرض الميعاد:." (١)

"سادسا: مخالطة أهل الشر ومجالستهم، من الأسباب المؤدية إلى الوقوع في البدع وانتشارها بين الناس، وقد بين الله – عز وجل – أن المجالس لأهل السوء يندم، قال – سبحانه وتعالى –: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾ (١)، وقال – عز وجل –: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ (٢)، وقال – سبحانه وتعالى –: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع

---

(١) مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود ص/٤٩٦

المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ (٣)، وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة)) (٤).

سابعا: سكوت العلماء وكتم العلم، من أسباب انتشار البدع والفساد بين الناس، قال الله – عز وجل –: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات

---

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٢٧ – ٢٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٤) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه –: البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، ٦/ ٢٨٧، برقم ٥٥٣٤، ومسلم، في كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، ٤/ ٢٠٢٦، برقم ٢٦٢٨.." [1]

"عارية عن العلم غيرمنتفع بها. هـ

(٧) ومنها: أن الملحد، والمجوسي، واليهودي، والنصراني ينبغي أن يدعوا إلى المناظرة ويتعلم الكلام لجدالهم و ... ١ الله سبحانه قد منع من الجلوس مع الخائضين في آياته٢ واتفق أهل الحل والعقد من العلماء على أن الملحد، والمجوسي، وأهل سائر النحل لا يلزمنا جدالهم، وأجمع أكثرهم على أن الجدال منسوخ بالأمر بالقتال، وفي مناظرتهم أكبر فساد (لانتشار) ٣ شبههم بها في الناس، وجواز عدم من يصل إلى حلها في الحال.

(٨) ومنها: أن المخالف من أصحاب الحديث، وأهل الأثر، لا يبلغ عقل كثير منهم معرفة العقليات ولا يفهمونها، فإن كل واحد منهم ينبغي أن يخاطب على قدر عقله. وفي ضمن هذا إخفاء المذهب عن قوم وإظهاره لآخرين، وهذا شبيه بالزندقة.

وبهذا الفعل منهم دخل كثير من العوام والمبتدئين في مذهبهم لأنهم يظهرون له الموافقة في الأول ويكذبون بما ينسب إليهم حتى يصطادوه، فإذا وقع جروه قليلا قليلا حتى ينسلخ من السنة.

وكان أبو بكر بن الباقلاني من أكثرهم استعمالا لهذه الطريقة وقد

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ٧١٧/٢

١ في الأصل كلمة (وقد) ولا معنى لها هنا، والكلام مستقيم بدونها.

٢ يشير إلى نحو قوله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ . النساء آية ١٤٠.

٣ في الأصل (لانتشاره) وهو تحريف.." [(١)]

"هو أنا حققنا أن الله تعالى قادر على أن يخلق لذلك اللفظ معنى يوجده وهذا جواب صحيح معقول وهذا قولنا وليس إلا هذا القول وقول على الأسواري الذي يقول أن الله تعالى لا يقدر على غير ما علم أنه يفعله جمله وأما من خالفنا وخالف الأسواري فلا بد له من الرجوع إلى قولنا أو الوقوع في قول الأسواري وإن زعم لأنه متى ما وصف الله تعالى بالقدرة على شيء لم يفعله من إبراء مريض أو خلق شيء أو تحريك شيء ساكن فإنه قدر وصفه بالقدرة على إحالة علمه وتكذيب حكمه وهذا هو المحال فقد قال بقولنا ولا بد أو يقول الأسواري ولا بد وأمل كل سؤال أدى إلى القول في ذاته عز وجل فإننا نقول ن كل ما سأل عنه سائل لا نحاشي شيئا فإن الله تعالى قادر عليه غير عاجز عنه إلا أن من السؤالات سؤالات لا يستحل سماعها ولا يستحل النطق بها ولا يحل الجلوس حيث يلفظ بها وهي كل ما فيها كفر بالباري تعالى واستخفاف به أو بنبي من أنبيائه أو بملك من ملائكته أو بآية من آياته عز وجل قال عز وجل ﴿إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ وقال عز وجل ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾

قال أبو محمد ولو أن سائلا سالنا هل الله قادر على أن يمسخ هذا الكافر قردا وكلبا لقلنا نعم ولو أنه أراد أن يسألنا هذا السؤال فيمن يلزمنا تعظيه من ملك أو نبي أو صاحب نبي أو مسلم فاضل لم يحل لنا الاستماع إليه ولكنا قد أجبناه جوابا كافيا لأن الله تعالى قادر على كل ما يسأل عنه لا نحاشي شيئا فمن تمادى بعد هذا الجواب الكافي فإنما غرضه التشنيع فقط والتمويه وهذان من دلائل العجز عن المناظرة والانقطاع والحمد لله رب العالمين

قال أبو محمد والناس في هذا الباب على أقسام فمبدؤها قول من قال لا يوصف الله تعالى بالقدرة على غير ما يفعل وهو قول على الأسواري أحد شيوخ المعتزلة واعلموا أنه لا بد لكل من منع من أن يقدر الله

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت عبيد الله السجزي ص/٣٠٥

تعالى على محال أو على شيء بما يسال عنه السائل فلا بد ضرورة من المصير إلى هذا القول أو ظهور تناقضه وتفاسد قوله وخروجه إلى المحال البحت الذي فر عنه بزعمه على ما نبينه بعد هذا إن شاء الله تعالى

قال أبو محمد وقد قالت طائفة بمعنى هذا القول إلا أنها استشنعت عبارة الأسواري فقالت إن الله تعالى قادر على كل شيء ولكن إن سألنا سائل فقال أيقدر الله تعاى على أمر كذا مع تقدم علمه بأنه لا يكون قالوا فالجواب أنه تعالى لا يوصف بالقدرة على ذلك

قال أبو محمد وهذا لإخفاء لأنهم أوجبوا قدرته وأعدموها على شيء واحد وهو الباطل بلا خفاء وقالت طائفة إن الله تعالى قادر على غير ما فعل إلا أنه لا يوصف بالقدرة على أصلح مما فعل بعباده وهو قول جمهور المعتزلة وقالت طائفة إن الله تعالى قادر على غير ما فعل إلا أنه لا يقدر على الظلم ولا على الجور ولا على اتخاذ الولد ولا على إظهار معجزة على يد كذاب ولا على شيء من المحال ولا على نسخ التوحيد وهذا قول النظام وأصحابه والأشعرية وإن كانوا مختلفين في مائية الظلم وقالت طائفة أن الله تعالى قادر على غير ما فعل وعلى الجور والظلم والكذب إلا أنه لا يقدر على المحال مثل أن يجعل الشيء." (١)

"بالله تعالى وبنبوة موسى عليه السلام وأن الله تعالى حرم على اليهود العمل في السبت والتحوم فمن الباطل أن يتواطؤا كلهم في شرق الأرض وغربها على إعلان ما يعتقدون خلافه بلا سبب داع إلى ذلك وبرهان آخر وهو أنا قد شاهدنا من النصارى واليهود طوائف لا يحصي عددهم أسلموا وحسن إسلامهم وكلهم أولهم عن آخرهم يخبر من استخبره متى بقوا أنهم في إسلامهم يعرفون أن الله تعالى حق وأن نبوة موسى وهارون حق كما كانوا يعرفون ذلك في أيام كفرهم ولا فرق ومن أنكر هذا فقد كابر عقله وحسه ولحق بمن لا يستحق أن يكلم وبرهان آخر وهو انهم لا يختلفون في أن نقل التواتر يوجب العلم الضروري فوجب من هذين الحكمين أن اليهود والنصارى الذين نقل إليهم ما أتى به عليه السلام من المعجزات نقل التواتر قد وقع لهم به العلم الضروري بصحة نبوته من أجلها وهذا لا محيد لهم عنه وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم إن شئتم الله تعالى كفرا وكذلك شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دعوى لأن الله تعالى قال ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ فنص تعالى على أن من الكلام ما هو كفر وقال تعالى ﴿إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ فنص تعالى أن من الكلام في آيات الله تعالى ما هو كفر بعينه مسموع وقال تعالى

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ١٣٩/٢

﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم أن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة﴾ فنص تعالى على أن الاستهزاء بالله تعالى أو بآياته أو برسول من رسله كفر فخرج عن الإيمان ولم يقل تعالى في ذلك أني علمت أن في قلوبكم كفرا بل جعلهم كفارا بنفس الاستهزاء ومن ادعى غير هذا فقد قول الله تعالى ما لم يقل وكذب على الله تعالى وقال عز وجل ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله﴾

قال أبو محمد وبحكم اللغة التي بها نزل القرآن أن الزيادة في الشيء لا تكون البتة إلا منه لا من غيره فصح أن النسيء كفر وهو عمل من الأعمال وهو تحليل ما حرم الله تعالى فمن أحل ما حرم الله تعالى وهو عالم بأن الله تعالى حرمه فهو كافر بذلك الفعل نفسه وكل من حرم ما أحل الله تعالى فقد أحل ما حرم الله عز وجل لأن الله تعالى حرم على الناس أن يحرموا ما أحل الله وأما خلاف الإجماع فإن جميع أهل الإسلام لا يختلفون فيمن أعلن جحد الله تعالى أو جحد رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه محكوم له بحكم الكفر قطعا أما القتل واما أخذ الجزية وسائر أحكام الكفر وما شك قط أحد في هل هم في باطن أمرهم منؤمنين أم لا ولا فكروا في هذا ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه ولا أحد ممن بعدهم وأما قولهم أن الكفار إذا كانوا مصدقين بالله تعالى ونبيه بقلوبهم بقلوبهم والتصديق في اللغة التي بها نزل القرآن هو الإيمان ففيهم بلا شك إيمان فالواجب أن يكونوا بإيمانهم ذلك مؤمنين أو أن يكون فيهم إيمان ليسوا بكونه فيهم مؤمنين ولابد من أحد الأمرين قال أبو محمد وهذا تمويه فاسد لأن التسمية كما قد منا الله تعالى لا لأحد دونه وقد أوضحنا البراهين على أن الله تعالى نقل اسم الإيمان في الشريعة عن موضوعه في اللغة إلى معنى آخر وحرم في الديانة إيقاع اسم الإيمان على التصديق المطلق ولولا نقل الله تعالى للفظة الإيمان كما ذكرنا." (١)

"النار عدلا منه كل ذلك كل يعمل بما قد فرغ منه وهو صائر إلى ما خلق له فقلت صدق الله ورسوله ثم ذكر الفقيه طرق هذا الحديث وشرحه فالتمسه في كتاب الاملاء له تجده إن شاء الله

ومن ذلك قال الفقيه ما رواه أبو هريرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم قال الفقيه فهذا الخبر في ذم القدرية إذ هو صلى الله عليه وسلم لا ينهى عن مجالسة أهل الدين إقتداء لما علمه الله تعالى إذ يقول في سورة مكية ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ١١٤/٣

مع القوم الظالمين﴾

وقد بين الله سبحانه عقوبة من فعل ذلك وخالف ما أمره الله إذ يقول في سورة مدنية ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾

فبين سبحانه بقوله ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب﴾ ما كان أمرهم به من قوله في السورة المكية ﴿فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ ثم بين في هذه السورة المدنية أن مجالسة من هذه صفته لحوق به في إعتقاده وقد ذهب قوم من أئمة هذه الأمة إلى هذا المذهب وحكم بموجب هذه الآيات في مجالس أهل البدع على المعاشرة والمخالطة منهم أحمد بن حنبل والأوزاعي وابن." [1]

"يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد﴾ [الشورى: ١٥ - ١٦].

وما أوضح قوله: ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ في ذلك، فإن (١) كان المجادل معاندا مماريا أعرض عنه، فقد مدح الله المعرضين عن الجاهلين، وأمر بذلك، وذكر في غير آية أعظم الزجر عن الطمع في هدايتهم.

فمن ذلك قوله سبحانه: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وقال: ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ [الأنعام: ١٠٩].

وأمثالها، وقال: ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون﴾ [الأنبياء: ٦].

وقال تعالى في ذلك: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره (٢) وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ [الأنعام: ٦٨].

وقال: ﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن

---

(١) حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر ابن الحاج القناوي ص/١١٠

(١) في (ب): فإذا.

(٢) من قوله: " **غيره إنكم إذا مثلهم** " إلى هنا ساقط من (ش).." [(١)]

"باب في ١ وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين

وقول الله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ ٢. وقوله تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ ٣. وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ ٤ إلى قوله: ﴿كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ ٥. وقوله تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ ٦.

وقال الإمام الحافظ محمد بن وضاح: أخبرني غير واحد أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات: اعلم يا أخي أن ما حملني على الكتاب إليك ما ذكر أهل بلادك ٧ من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة وعيبك لأهل البدع وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم، فقمعهم الله بك وشد بك ظهر أهل السنة وقواك عليهم بإظهار عيبهم والطعن عليهم

---

١ لفظ (في) في نسخة سماحة المفتي بخط سالم بن علي وليس في بقية النسخ.

٢ سورة النساء آية: ١٤٠.

٣ سورة المائدة آية: ٥١.

٤ سورة الممتحنة آية: ١.

٥ سورة الممتحنة آية: ٤.

٦ سورة المجادلة آية: ٢٢.

٧ ورد في بعض النسخ (إلا ما ذكر لي أهل بلدك) وفي روضة الأفكار والأفهام لابن غنام وبقية النسخ الخطية (ما ذكر اهل بلادك) بدون (إلا) وهو الموافق لما في كتاب البدع والنهي عنها لابن وضاح طبعة دار الأصفهاني.." [(٢)]

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ١٠٦/٤

(٢) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول) محمد بن عبد الوهاب ص/٣١٢

"الدليل السابع: قوله تعالى: (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم ءايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم) (١) . (٢) فذكر تبارك وتعالى، أنه نزل على المؤمنين (٣) في الكتاب: أنهم (٤) إذا سمعوا آيات الله يكفر بها، ويستهزأ بها فلا يقعدوا معهم، حتى يخوضوا في حديث غيره. وأن من جلس مع الكافرين بآيات الله، المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم: فهو (٥) مثلهم. ولم يفرق بين الخائف وغيره. إلا المكره.

هذا وهم في بلد واحد، في أول الإسلام (٦) . فكيف بمن كان في سعة الإسلام وعزه وبلاده، فدعا الكافرين بآيات الله المستهزئين بها إلى بلاده، واتخذهم أولياء وأصحابا وجلساء، وسمع (٧) كفرهم واستهزاءهم واقرهم، وطرد أهل التوحيد وأبعدهم؟ !!.

---

(١) سورة النساء آية ١٤٠

(٢) ما بينهما ساقطة من (ع)

(٣) الذي أحيل عليه في هذه الآية، من النهي في ذلك: هو قوله تعالى، في سورة الأنعام: (وإذا رأيت الذين يخوضون في ءاياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) انتهى من تفسير ابن كثير ٥٦٧/١.

(٤) (م) ساقطة.

(٥) الأصل (ع) فهم.

(٦) ولا يخفى ما يكتنف البدايات من افتقار إلى المساندة والدعم، لاسيما في البلاد التي انبثقت منها الدعوة. ومع كل هذا، كان موقف الإسلام صريحا منذ الوهلة الأولى.

(٧) (ط) مع." [1]

"حتى التوحيد وضده وفروض وضوئه وصلاته وما يبطلهما لا يعلمه بل هو منهمك في القول والقيل بلا فائدة ولا عائدة، وعلى ترك ضدها المنافي لها وهو الشرك الذي قال الله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وإزالة صائر ما هو تابع لها من زنا وربا وشرب خمر ولواط وسائر المحرمات ومع ذلك نحن لا نكفر بالمعاصي كما توهمه مطيعو العدو وإنما نكفر المشركين الذين كفرهم الله في كتابه المبين أو الراضين أعمالهم المظاهرين لهم علينا والمكفرينا بأمرنا ونهينا لقوله تعالى: ﴿إنكم

---

(١) الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٣٧

إذا مثلهم﴾ ونقاتلهم عليه وعلى سائر أفعال المعروف المتروكة.

الثاني: النصيحة لهذا الوزير الذي هو عندنا في محل، حرصا عليه وشفقة منا إليه لودنا له ما ودنا لأنفسنا من أنواع الخير، فيتأمل ويعمل ورجاء أن الله يهدي به خلقا كثيرا كما قال صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "والله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم" وليتأمل أيضا ببصيرة قلبه خير القرون الماضية وأهلها الذين قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" والقول بأنا لا نقدر على ذلك ليس بعذر سديد لأن الله قال: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ وقال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ وقال صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار" وليس له صلى الله عليه وسلم طريق ولأصحابه آخر، ولا لأصحابه طريق ولنا آخر، بل الطريق الذي فطر الله عليه الأمة وأمرها إتباعه واحد، فالنبي صلى الله عليه وسلم يتقدمنا فيه ونحن نقتفي أثره وأثر أصحابه كما كان عليه السلف الصالح، والدنيا فانية مفروغ منها والأمر أسرع من ذلك والعز بأنواعه لم يوجده الله إلا في الإسلام والإقامة عليه، والذل والصغار والمحق في ضده ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى﴾ (صدر منه الأمر الواجب القبول والإتباع وأشار إلى وإشارته حكم وطاعته غنم فامتثالا لأمره نظرنا فيه) صدر أي مضى من هذا الوزير الأمر لعلماء مملكته لينظروا في هذا الكتاب، والله أعلم بنيته، الواجب القبول والإتباع صفتان للأمر ولا شك أن طاعة الأمير واجبة لكن في غير المعصية.." (١)

"ومنه جحد ما جاءت به الرسل أو عناده أو إنكاره أو معاداته أو الاستهزاء به ظاهرا أو باطنا أو موالاة المشركين ومظاهرتهم على الموحدين، قال سبحانه وتعالى: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما* الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا﴾ ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم** .. إلى قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا﴾ وتسميتهم مؤمنين باعتبار عدم وجود الموالاة، والمعنى أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا على كونكم منافقين، **وقوله انكم إذا مثلهم ان** قعدتم عندهم وهم يخوضون

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٣٠

ويستهزؤن بآيات الله ودينه راضين باستهزائهم فأنتم كفار مثلهم، قال أهل العلم: هذا يدل على أن من رضي بالكفر فهو كافر، ومن رضي بمنكر رآه وخالط أهله راضيا به كان في الإثم بمنزلة المباشر، وان لم يباشر هو بدليل أنه تعالى ذكر لفظ المثلية، وإذا خاضوا في حديث غيره فهل للمؤمن القعود عندهم أم لا؟ قال الحسن لا يجوز القعود معهم وان خاضوا في حديث غيره لقوله تعالى: ﴿وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ وقال غيره يجوز والحالة هذه لمفهوم هذه الآية، وآيات الأنعام مكية وهذه الآية مدنية، والمتأخر من الآيتين نزولا أولى بالعمل، وأجاب بان تلك صريحة في النهي، وهذه مفهومة في عدمه، والصريح مقدم على المفهوم إذا تعارض الاستدلال بهما، ثم إذا قعد المؤمن باختيار منه عند من هو عدو للدين عداوة متيقنة، وهو في حال قعوده يسب الدين ويستهزىء بالآيات، فذلك علامة صريحة على أنه مثله في المسابة شريك له فيها، فإن لم يسب ولم يستهزئ وقعد عنده فقد عرض نفسه لسوء الظن به والطعن والقدح في دينه، كما قال بعض السلف، من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء الظن به، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه " وفي رواية للترمذي من تركها استبرأ لدينه وعرضه، وفي الصحيحين ما يناسب لهذا الحديث، ومن اجترأ على ما يشك فيه من الاسم أو شك أن يوقع ما استبان، ومع ذلك فينهى عن مواضع التهم والشبهات ولا يظن فيه الردى في دينه وعرضه بمجرد ذلك إلا مع الاصرار على فعل المنهي عنه لقوله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيرا." [١]

"تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ ١ والرضا بالكفر كفر، وأجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم كافر، ومن شك في كفره كفر٢ ويقتل٣ وممن قال بذلك مالك والليث٤ وأحمد وإسحاق٥ وهو مذهب الشافعي٦ قال الله تعالى: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ ٧ والقرآن معجزة وحجة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمن الناس من جحد وأنكر ما جاء به كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وقالوا أساطير الأولين﴾ ٨ قال الله تعالى تكذيبا لهم وتصديقا لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما﴾ ٩

---

١ سورة النساء، الآية: ١٤٠.

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/١٩٧

٢ هذا في"الأصل"، وفي بقية النسخ: (كافر) .

٣ يعني الشاتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤ هو: الليث بن سعد الفهمي الأصبهاني, قال عنه الشافعي: إنه أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به، سمع عطاء بن أبي رباح وابن شهاب، ولد سنة ٩٤ هـ، وتوفي سنة ١٧٥ هـ. انظر ترجمته في:"تذكرة الحفاظ": (١/ ٢٢٤) ،"تاريخ بغداد": (١٣/ ٣- ١٤) ،"وفيات الأعيان": (٤/ ١٢٧- ١٣٢) .

٥ هو ابن راهويه، وقد تقدمت ترجمته: (ص ٣١٥) .

٦ انظر:"الصارم المسلول"لابن تيمية: (ص ٣) .

٧ سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

٨ سورة الفرقان، الآية: ٥.

٩ سورة الفرقان، الآية: ٦.." [1]

"قد قامت عليه الحجة وبعد ذلك كابر وعاند، ومن والاهم وجادل عنهم بعدما تبين له الحق، واتضح له كلام العلماء في تكفيرهم، وتحققوا أنه قد بلغتهم الحجة، وقامت عليهم بإنكار أهل الإسلام عليهم، وإن لم يفهموا الحجة، ثم كابر وعاند فإن كان عن تأويل فلا أدري ما حاله، وأمره شديد، ووعيده أشد وعيد إن كان غير ذلك، فنعوذ بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلالة بعد الهدى، من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: ولنذكر من كلام الله تعالى، وكلام رسوله، وكلام أئمة العلم جملا في جهاد القلب واللسان، ومعاداة أعداء الله، وموالاة أوليائه، وأن الدين لا يصح ولا يدخل الإنسان فيه إلا بذلك.

فنقول: باب وجوب عداوة أعداء الله من الكفار المرتدين والمنافقين، وقول الله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: من الآية١٤٠] وقوله تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ [المائدة: من الآية٥١] إلى قوله: ﴿كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله." [2]

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد عبد الهادي البكري ٤٤٨/٢

(٢) كشف الشبهتين سليمان بن سحمان ص/٣٤

"وقدر عليه سبحانه غريزة حفظ النوع، وهي كذلك جامحة شرود طاغية، فلو أرخى لها العنان لأصاب الرجل كل امرأة تروقه، واستسلمت المرأة لكل رجل يحظى بإعجابها ...

وكذلك لم يكلف الله الإنسان أن يجتث هذه الغريزة من عروقها، لأن ذلك قدر غالب لا قبل للإنسان بمقاومته والخروج على أحكامه، ولكنه تعالى كلفه المستطاع وهو الحد من طغيان هذه الغريزة، وكبح جماحها، وتدبير أمرها، فحرم الزنا، وحرم أنواعا من النساء تحريما مؤبدا وحرم أنواعا منهن تحريما مؤقتا وأباح سائرهن بشرط الإيجاب والقبول، والمهر والشهود، وإذن الولي وقد نصح الرسول – صلى الله عليه وسلم –، بما يكسر من حدة هذه الغريزة إذا طغت فقال: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" ونهى سبحانه وتعالى عن مخالطة الأشرار للتخلص من شرور البيئة فقال تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ (سورة النساء)، وقال تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين * وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ (سورة الانعام)، وقال – صلى الله عليه وسلم –: "مثل الجليس الصالح، وجليس السوء: كبائع المسك، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا زكية" (١)، فنشأة الإنسان في بيئة خبيثة من القدر الغالب الذي لا سلطان له عليه، وأما محاولة التخلص من شرها ففي وسعه، ومن أجل ذلك كلفه الله تعالى إياها.

---

(١) رواه البخاري– عن ابي موسى– صحيح.." [١]

"عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة؛ دخل حديث بعضهم في بعض: "أنه قال رجل في غزوة تبوك:........................

عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: من الآية١٤٠] وهم يستطيعون المفارقة، والنبي صلى الله عليه وسلم امتثل أمر الله بتبليغهم، حتى إن الرجل الذي جاء يعتذر صار يقول له: ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا

---

(١) كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد عمر العرباوي ص/٢٢٠

تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [التوبة: الآية٦٥، ٦٦] ، ولا يزيد على هذا أبدا، مع إمكان أن يزيده توبيخا وتقريعا.

قوله: "عن ابن عمر": هو عبد الله.

وقوله: "ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة": والثلاثة تابعيون؛ فالرواية عن ابن عمر مرفوعة، وعن الثلاثة الآخرين مرسلة.

قوله: "دخل حديث بعضهم في بعض": أي: إن هذا الحديث مجموع من كلامهم، وهذا يفعله بعض أئمة الرواة كالزهري وغيره، فيحدثه جماعة بشأن قصة من القصص، كحديث الإفك مثلا، فيجمعون هذا ويجعلونه في حديث واحد، ويشيرون إلى هذا، فيقولون –مثلا–: دخل حديث بعضهم في بعض، أو يقول: حدثني بعضهم بكذا، وبعضهم بكذا، وما أشبه ذلك.

قوله: "في غزوة تبوك": تبوك في أطراف الشام، وكانت هذه الغزوة في رجب حين طابت الثمار، وكان مع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة نحو ثلاثين ألفا، ولما خرجوا رجع عبد الله بن أبي بنحو نصف المعسكر، حتى قيل: إنه لا يدرى أي الجيشين أكثر: الذين رجعوا، أو الذين ذهبوا؟." (١)

"والتغيير باللسان ليس أن تقول: يا فلان لا تفعل هذا اتق الله، بل أن تنتهره، وأن تريه سلطة وقدرة استعلاء بالحق، فهذا التغيير باللسان.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (لمنكر واحذر من النقصان) – النقصان هو أن تغير بالقلب؛ لأنه اضعف الإيمان. لكن هل الإنسان يمكن أن يغير بالقلب؟ ، الجواب: نعم، يمكن؛ بالكراهة للمنكر وعدم مخالطة فاعليه، لقول الله تبارك وتعالى: (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم) (النساء: الآية١٤٠) إنكم إذا – أي إذا قعدتم – مثلهم.

فإذا فرضنا أن قوما يلعبون الشطرنج ومعهم رجل صالح، فقال: يا قوم اتقوا الله، هذا حرام لا يجوز، قالوا: لن ندع هذا، فلا يجوز أن يجلس معهم، لكنهم إذا قالوا له: إن خرجت سنفعل بك كذا وكذا فجلس، فلا يأثم لأنه مكره على الجلوس، فإن قال: أنا لم اكره على الجلوس لكن أخشى إن ذهبت أن يقع بيني وبينهم عداوة، فإننا نقول له: وليكن، إنك إذا عاديتهم لله، فإنه لا يضرك، فإن قال: أخشى أن يقع بيني وبينهم قطيعة رحم، فنقول: لا يقع بينك وبينهم قطيعة رحم، صلهم أنت فإن صلة الرحم من قبلك ممكنة، وليست

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ٢/٢٧٣

متعذرة، وأنت إذا وصلتهم وهم يقطعونك فكأنما تسفهم المل، كما جاء في الحديث (١) .

فالحاصل أن التغيير له ثلاث مراتب؛ الأول باليد والثاني باللسان والثالث بالقلب، ومعنى التغيير بالقلب: الكراهة وعدم المخالطة.

---

(١) رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم (٢٥٥٨) .." [١]

"معنى الإعراض عن الجاهلين

ذكر المؤلف في الوصايا التي ختم بها عقيدته الإعراض عن الجاهلين.

والمراد بالإعراض عنهم عدم عتابهم وعدم الأخذ عليهم ما داموا جاهلين، ولكن لابد أن نعلمهم حتى يزول الجهل، ولا نتركهم على جهلهم، ولا نعرض عنهم دائما، بل نبدأ بتعليمهم ونوصيهم بالتعلم، ولكن إذا أصروا وعاندوا ولم يقبلوا فإن الإعراض عنهم أولى حتى يشعروا من أنفسهم بالنقص، قال الله تعالى في صفة بعض أوليائه: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ [القصص:٥٥] ، هكذا حكى الله عن بعض أوليائه، واللغو هو الذي يسمعونه من الكلام الباطل أو السيئ الذي يعمرون به المجالس من خوض فيما لا فائدة فيه ولا أهمية له من صياح ولغط ونحو ذلك، فأولياء الله الصالحون إذا سمعوا هؤلاء اللاغين أعرضوا عنهم، ثم نصحوهم وقالوا: ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ ، أي: نحن بريئون منكم ومن أعمالكم التي منها هذا اللغو ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ ، وهذا دليل على أن أولئك الذين يخوضون في اللغو جاهلون.

وكذلك أيضا أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ثم أمر المؤمنين بالإعراض عن مجالس اللهو والباطل والاستهزاء والسخرية وما أشبهها، فأنزل على محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ [الأنعام:٦٨] .

يعني: إذا لم تستطع أن تردهم وترشدهم وتهديهم إلى الصراط السوي وتدلهم عليه وتصرفهم عن هذا الخوض في آيات الله باستهزائهم بها فاجتنبهم ولا تجلس معهم حتى يخوضوا في حديث غيره.

وهذه الآية نزلت في مكة خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان الخطاب -بغير شك- يعم جميع المؤمنين، فكأن المؤمنين لم يعملوا بها أو بعضهم، فعاتبهم الله في سورة مدنية فقال تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث

---

(١) شرح العقيدة السفارينية ابن عثيمين ص/٧١٠

غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ [النساء:١٤٠] ، فعاتبهم عتابا أشد من العتاب الأول بقوله: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ يعني: إذا جلستم معهم وهم يخوضون في آيات الله فإنكم تكونون شركاء لهم في هذا الاسم.

فهذه الآية عامة، فإذا جلست مع أناس في مجلس ورأيتهم يستهزئون ويسخرون بالملتزمين وبأهل الدين، أو يسخرون ببعض شعائر الإسلام ويلوكون بها ألسنتهم ويتنقصون بعض الشعائر وبعض أهل الخير ويعيبونهم بكذا وكذا، ويعيبون أهل الدين بجهلهم به كما عابت الكفار من جاء من مضر بأنهم رجعيون لم يتمسكوا بنص من الوحيين جاء به الأثر، فهؤلاء إن قدرت على أنك ترد عليهم وتبطل ما يقولونه وتقنعهم بأنهم على شر وأن عملهم عمل سيئ فإنك تفعل، أما إذا لم تقدر على ذلك فقم عنهم، وقل: إني بريء منكم لي عملي ولكم عملكم، أنتم بريئون مما أعمله وأنا بريء مما تعملون.

فقم عنهم واترك مجالستهم حتى تسلم من الإثم ولا تعمك هذه الآية: ﴿إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ .

فالحاصل أن الله تعالى أمر بالإعراض عن الجاهلين حتى يتعلموا ويبين لهم الحق، فإذا أصروا على جهلهم وعنادهم فيجب الإنكار عليهم، والعقوبة بعد البيان، وذلك لأنهم بعد البيان إذا أصروا على التجاهل كانوا ليسوا بجهلة ولكنهم مارقين.

والناس من حيث العموم أربعة أقسام، كما ذكروا ذلك عن الخليل بن أحمد، ذكروا أنه كان مرة يقطع أبياتا من الشعر، فاستهجنه ابنه فقال لتلامذته: إن أبي أصابه هوس أو جنون.

فدخلوا عليه فذكروا ذلك له، فقال: الناس أربعة: الأول: عالم ويدري أنه عالم، فهذا كامل فسودوه.

الثاني: عالم ولا يدري أنه عالم، فهذا غافل فنبهوه.

الثالث: جاهل ويدري أنه جاهل، فهذا مسترشد فأرشدوه.

الرابع: جاهل ولا يدري أنه جاهل، فهذا مارق فاتركوه.

وهو شر الأقسام، ويسمى الجاهل المركب الذي يكون جاهلا ويدعي أنه عالم، يقول بعضهم في وصفه: لما جهلت جهلت أنك جاهل جهلا وجهل الجهل داء معضل ويقول الآخر: ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري وأنك لا تدري بأنك لا تدري تعتقد أنك عالم وأنت في الحقيقة جاهل، وبين الجاهلين تقلب.

فالحاصل أنا نعرض عن الجاهلين حتى يتعلموا ويبين لهم الحق، فإذا تعلموا وبين لهم الحق ففي ذلك

الوقت لا نتركهم، بل ننكر عليهم ونعاقبهم ونقيم العذر بينهم، ونأخذ الحق منهم، وما دموا جاهلين فإننا نرشدهم ونعلمهم.." [1]

"والله سبحانه وتعالى أعلم ولنذكر من كلام الله تعالى وكلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكلام أئمة العلم جملا في جهاد القلب واللسان ومعاداة أعداء الله وموالاة أوليائه، وأن الدين لا يصح ولا يدخل الإنسان فيه إلا بذلك فنقول:

باب في وجوب عداوة أعداء الله

من الكفار والمرتدين والمنافقين

وقول الله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠]. وقوله تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة: ١] إلى قوله: ﴿كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ [الممتحنة: ٤]. وقوله تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال الإمام الحافظ محمد بن وضاح: أخبرني غير واحد أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات: اعلم أخي أن ما حملني على الكتابة إليك ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس، وحسن حالك مما أظهرت من السنة، وعيبك لأهل البدع، وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم، فقمعهم الله بك، وشد بك ظهر أهل السنة، وقواك عليهم بإظهارهم عيبهم، والطعن عليهم، فأذلهم الله بيدك، وصاروا ببدعتهم مستترين فأبشر يا أخي بثواب ذلك، واعتد به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج." [2]

"ولنذكر من كلام الله تعالى وكلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكلام أئمة العلم جملا في جهاد القلب واللسان ومعاداة أعداء الله وموالاة أوليائه، وأن الدين لا يصح ولا يدخل الإنسان فيه إلا بذلك فنقول:

باب في وجوب عداوة أعداء الله

---

(١) اعتقاد أهل السنة ابن جبرين ١٦/١٣

(٢) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد مدحت آل فراج ص/٥٧

من الكفار والمرتدين والمنافقين

وقول الله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة: ١].

إلى قوله: ﴿كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ [الممتحنة: ٤]، وقوله تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ [المجادلة: ٢٢] (٣٧/ش).

(٣٧/ش) هذا من الفقه الدقيق لهذا الإمام العظيم، فبعد بيانه للتوحيد ووجوب الالتزام به، والشرك وحرمة الوقوع فيه، بدأ الشيخ يعرض للقضية الخطيرة الحية دائما، القضية التي ينقسم بها الناس إلى حزبين لا ثالث لهما، حزب الله، وحزب الشيطان ...." (١)

"..

حصلت منه موالاة أهل الشرك والانقياد لهم ارتد بذلك عن دينه.

فتأمل قوله تعالى: ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم﴾ [محمد: ٢٥]، مع قوله: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ [المائدة: ٥١]، وأمعن النظر في قوله تعالى: ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠]، وأدلة هذا كثيرة» (١).

لا شك أن التوحيد مناقض ومضاد للشرك من كل وجه، وهكذا ينبغي أن تكون العلاقة بين أهل التوحيد وأهل الكفر المحاربين، وأن يكون الفرق بين المعسكرين كالفرق بين معتقد كل منهما.

فالمسلم مطالب دوما بتميزه عن المشرك، وأن يكون هذا التميز تحت راية الله وحدها، داخل معسكر العصبة المؤمنة الموحدة لربها بالألوهية والربوبية، والمفردة له بالطاعة والعبادة.

ولما كان ذلك كذلك، صار لا فرق في حس المؤمن، في تحقيق البراءة من المشركين، من أن يكونوا من

---

(١) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد مدحت آل فراج ص/٣٩٥

ذوي قربى، أم غير ذلك.

ومن ثم كان مستحيلا على المؤمن بالله واليوم الآخر أن يواد أعداء الله، ولو كانوا أقرب الناس إليه. لأن حب الله لا يجتمع مع حب أعدائه في قلب

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٧٤٥ - ٧٤٦).." [(١)]

"..

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: (قال شيخ الإسلام: أي ابن تيمية- في اختياراته: من جمز (١) إلى معسكر التتار، ولحق بهم، ارتد، وحل دمه وماله" (٢)

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب: " إن الأدلة على كفر المسلم إذا أشرك بالله، أو صار مع المشركين على المسلمين ولو لم يشرك، أكثر من أن تحصر، من كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم المعتمدين (٣).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله- رحمهما الله- في أثناء رده على سؤال ورد عليه، يريد فيه صاحبه معرفة الحد الفاصل بين الولاء المكفر للمشركين، وغير المكفر، فقال- رحمه الله تعالى-: " فالجواب: إن كانت الموالاة مع مساكنتهم في ديارهم، والخروج معهم في قتالهم، ونحو ذلك، فإنه يحكم على صاحبها بالكفر، كما قال تعالى ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ [المائدة: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠] (٤)

---

(١) جمز: أي ذهب ... وقد جاء في حديث ماعز - رضي الله عنه - " فلما أذلقته الحجارة جمز" أي أسرع هاربا من القتل. انظر لسان العرب، مادة "جمز". والحديث متفق على صحته، صحيح البخاري (٥٢٧٠)، وصحيح مسلم (١٦٩١).

(٢) فتاوى الأئمة النجدية (١/ ٤٤٣).

---

(١) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد مدحت آل فراج ص/٤٢٢

(٣) الرسائل الشخصية/ ٢٧٢

(٤) مجموع الرسائل والمسائل (١/ ٤٧٥)." [١]

"..

فالواجب على من أحب نجاة نفسه، وسلامة دينه، أن يعادي من أمره الله ورسوله بعداوته، ولو كان أقرب قريب، فإن الإيمان لا يستقيم إلا بذلك والقيام به، لكنه من أهم المهمات، وآكد الواجبات.

إذا عرفت هذا: فمواكلة الرافضي، والانبساط معه، وتقديمه في المجالس، والسلام عليه، لا يجوز لأنه موالاة وموادة، والله تعالى قد قطع الموالاة بين المسلمين والمشركين، بقوله: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾ [آل عمران: ٢٨] وقال تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠].

والسلام تحية أهل الإسلام بينهم، فإذا سلم على الرافضة، وأهل البدع، والم جاهرين بالمعاصي، وتلقاهم بالإكرام والبشاشة، وألان لهم الكلام، كان ذلك موالاة منه لهم، فإذا وادهم وانبسط لهم مع ما تقدم جمع الشر كله، ويزول ما في قلبه من العداوة والبغضاء، لأن إفشاء السلام سبب لجلب المحبة، كما ورد في الحديث: (ألا أدلكم على ما تحابون به)؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (أفشوا السلام بينكم) (١)، فإذا سلم على الرافضة والمبتدعين وفساق المسلمين، خلصت مودته ومحبته في حق أعداء الله وأعداء رسوله.

---

(١) صحيح مسلم (٥٤)، وسنن الترمذي (٢٥١٠) والحديث رواه المصنف بمعناه. والله أعلم.." [٢]

"﴿من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ ١ وقال: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ ٢ فذلك ما فرض الله على القلب من إيمان، وهو عمله، وهو رأس الإيمان.

"وفرض ﴿الله﴾ على اللسان: القول والتعبير عن القلب بما عقد وأقر به، فقال في ذلك: ﴿قولوا آمنا بالله﴾ ٣. وقال: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ ٤ فذلك ما فرض الله على اللسان من القول، والتعبير عن القلب، وهو عمله، والفرض عليه من الإيمان.

---

(١) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد مدحت آل فراج ص/٤٥٠

(٢) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد مدحت آل فراج ص/٥٠٣

وفرض الله على (السمع) : أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرم الله، وأن يغض عما نهى الله عنه، فقال في ذلك: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ ٥ ثم استثنى موضع النسيان، فقال جل وعز: ﴿وإما ينسينك الشيطان﴾ أي: فقعدت معهم ﴿فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ ٦ وقال: ﴿فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾ ٧ وقال: ﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ إلى قوله: ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ ٨ وقال: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ ٩ وقال:

---

١ سورة المائدة، الآية ٤١.

٢ سورة البقرة، الآية ٢٨٤.

٣ سورة البقرة، الآية ١٣٦.

٤ سورة البقرة، الآية ٨٣.

٥ سورة النساء، الآية ١٤٠.

٦ سورة الأنعام، الآية ٦٨.

٧ سورة الزمر، الآيتان ١٧، ١٨.

٨ سورة المؤمنون، الآيات من ١-٤.

٩ سورة القصص، الآية ٥٥.." [1]

"﴿من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ [المائدة: ٤١] وقال: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ [البقرة: ٢٨٤] فذلك ما فرض الله على القلب من الإيمان، وهو عمله، وهو رأس الإيمان.

وفرض ﴿الله﴾ على اللسان: القول والتعبير عن القلب بما عقد وأقر به، فقال في ذلك: ﴿قولوا آمنا بالله﴾ [البقرة: ١٣٦]. وقال: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ [البقرة: ٨٣]، فذلك ما فرض الله على اللسان من القول، والتعبير عن القلب، وهو عمله، والفرض عليه من الإيمان.

وفرض الله على (السمع): أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرم الله، وأن يغض عما نهى الله عنه، فقال في

---

(١) اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٤٦

ذلك: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠] ثم استثنى موضع النسيان، فقال جل وعز: ﴿وإما ينسينك." [1]

"المستعان، والسلام» (١) .

وفي رده على فرية الخصوم في زعمهم بأن الشيخ وأتباعه يكفرون بالذنوب كما يفعل الخوارج قال: «والمسألة الأخرى: يذكر لنا من أعداء الإسلام، من يذكر أنا نكفر بالذنوب، مثل التتن، وشرب الخمر، والزنا أو غير ذلك من كبائر الذنوب؛ فنبرأ إلى الله من هذه المقالة، بل الذي نحن نقول: الذنوب فيها الحدود، ومعلقة بالمشيئة، إن شاء الله عفا، وإن شاء عذب عليها.

وأما الذي نكفر به: فالشرك بالله، كما قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾ [النساء: ٤٨] [سورة النساء، آية: ٤٨] ، وقال تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين - بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾ [الزمر: ٦٥ - ٦٦] [سورة الزمر، آية: ٦٥ - ٦٦] ، وقال تعالى: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾ [المائدة: ٧٢] [سورة المائدة، آية: ٧٢] .

ونكفر أيضا: المستهزئين بالدين، مثل ما قال الله في الصحابي، الذي غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك: ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون - لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦] [سورة التوبة، آية: ٦ ٥ - ٦٦] وغيرهم مثل ما حكى الله تعالى: ﴿إنما كنا نخوض ونلعب﴾ [التوبة: ٦٥] وفي الآية الأخرى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ [النساء: ١٤٠] [سورة النساء، آية: ١٤٠] » (٢) .

وقال كذلك في رسالة له إلى عامة المسلمين:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الوهاب: إلى من يصل إليه من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) اعتقاد الأئمة الأربعة محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٥٤

(١) الدرر السنية (١٠) .

(2) الدرر السنية (١٠، ١٣٠) .." [1]

"- ذكروا في التفاسير: أنهم كانوا ثلاثة أشخاص، اثنان منهم يستهزؤن والثالث كان يضحك ولا يخوض، وكان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع - وهو الذي عفي عنه - فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه.

فهذا الذي حضر هو مثل الذي استهزأ، كما قال تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ (النساء:١٤٠).

- إن تلك الصفات التي ذكرها المنافقون؛ هم أولى بها من النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين؛ وهي (الكذب والجبن والشراهة في الأكل).

- قول المصنف رحمه الله في المسائل (الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله): النميمة: هي نقل الكلام على وجه الوشاية والإفساد، كما في الحديث ((أتدرون ما العضه؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (نقل الحديث من بعض الناس إلى بعض؛ ليفسدوا بينهم)) (١)، وأما النصيحة لله ولرسوله؛ فلا يقصد بها ذلك، وإنما يقصد بها احترام شعائر الله عز وجل، وإقامة حدوده، وحفظ شريعته.

- قول المصنف رحمه الله في المسائل (الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله): الفرق هو أن العفو الذي يحبه الله هو الذي فيه إصلاح، لأن الله اشترط ذلك في العفو؛ فقال تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ (الشورى:٤٠) أي: كان عفوه مشتملا على الإصلاح، أما من كان عفوه إفسادا لا إصلاحا؛ فإنه آثم بهذا العفو، فإن هذا يحض الظالم على التمادي، وإن أعداء الله الذين يحاربون دينه ويظهرون العداوة؛ الأصل في معاملتهم الشدة والغلظة، كما في قوله تعالى ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار﴾ (الفتح:٢٩)، فلا يكون الرفق معهم إلا في جانب الدعوة وتأليف القلوب.

فالغلظ والرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر راجع إلى مناسبة الحكمة في ذلك - وإن كان الأصل هو الرفق بلا ريب -.

- في الحديث استعمال الغلظة في محلها، وإلا فالأصل أن من جاء يعتذر فإنه يرحم، لكن هنا هذا الهازل

---

(١) إسلامية لا وهابية ناصر العقل ص/٢٥٦

ليس أهلا للرحمة.

- الاستهزاء بواحد من هذه الثلاثة المذكورة في الآية هو كفر أكبر مخرج عن الملة، أما الاستهزاء بالدين ففيه تفصيل، وهو أنه قد يكون المقصود بالدين هو الإسلام نفسه؛ وهذا يكون كفرا أكبرا، أما لو كان المقصود هو تدين الرجل المسبوب - وليس شريعته - التي ينتمي إليها أصلا؛ فهذا لا يكفر؛ وإنما يزجر عن هذا اللفظ الموهم. (٢)

- قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله في كتابه (الزواجر عن اقتراف الكبائر) (٣):

(الكبيرة الأولى: الشرك بالله: - في سياق الكلام على ما يكفر به صاحبه، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم -: .... أو يلعنه أو يسبه أو يستخف أو يستهزئ به أو بشيء من أفعاله؛ كلحس الأصابع، أو يلحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو فعله، أو يعرض بذلك أو يشبهه بشيء على طريق الإزراء أو التصغير لشأنه أو الغض منه.

أو تشبه بالعلماء أو الوعاظ أو المعلمين - على هيئة مزرية بحضرة جماعة - حتى يضحكوا، أو يلعبوا استخفافا، أو قال: قصعة ثريد خير من العلم - استخفافا أيضا -). (٤)

---

(١) صحيح. الأدب المفرد (٢٤٥) عن أنس مرفوعا. الصحيحة (٨٤٥).

(٢) وفي مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله (٣٨٩٩): (سئل الشيخ - مفتي الديار السعودية رحمه الله - عن حكم سب دين رجل: من محمد بن إبراهيم إلى فضيلة الأخ المكرم الشيخ عبد الملك بن إبراهيم - رئيس عام هيئات الأمر بالمعروف في الحجاز - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد اطلعنا على المعاملة الواردة منكم برقم .... الخاصة باعتراف سعد بن ... بسب الدين، والمثبت اعترافه لدى فضيلة رئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة، وأنه لم يثبت لدى فضيلته ما يوجب إقامة حد الردة بقتل سعد المذكور، ... إذ أنه لم يصرح بسب الإسلام، وإنما سب دين ذلك الرجل، وهذا يحتمل أنه أراد أن تدين الرجل ردي، والحدود تدرأ بالشبهات، وبهذا تكون إحالة المذكور إلى القاضي المستعجلة لتقرير التعزيز اللازم عليه وجيها. أما سجنه فإنه يكتفى بما مضى له في السجن، والله يحفظكم).

قلت: وحديث (ادرؤوا الحدود بالشبهات) ضعيف. رواه ابن عساكر في التاريخ (٣٤٧/ ٢٣)، وهو في الإرواء (٢٣١٦).

ولكن – في الجملة – معناه صحيح، ويشهد له ما في سنن البيهقي الكبرى (١٧٠٦٤) موقوفا عن ابن مسعود رضي الله عنه (ادرءوا الجلد والقتل عن المسلمين ما استطعتم). حسن. انظر التعليق على حديث الضعيفة (٢١٩٨)، ولفظه هناك (الحد) بدل (الجلد) بخلاف الأصل عند البيهقي والإرواء (٢٣٥٥).

وفي فتوى أخرى أيضا (رقم ٣٩٠٠) قال رحمه الله: (من محمد بن إبراهيم إلى فضيلة مساعد قاضي محكمة صامطة – سلمه الله – السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد جرى اطلاعنا على خطابكم رقم ... بخصوص مسألة معوض بن .... وما صدر منه من لعنه دين محمد بن المهدي، وما قررتموه في حقه من جلده عشرة أسواط تعزيرا، واستتابته، ثم توبته واستغفاره، وطلبكم منا الإحاطة بذلك، ونفيدكم أن سبه دين محمد بن المهدي – والحال أن محمد المهدي مسلم – هو سب للدين الإسلامي، وسب الدين – كما لا يخفى – عليكم ارتداد – والعياذ بالله –.

وعليه فيلزمكم – علاوة على ما أجريتم – إحضار المذكور، وأمره بالاغتسال، ثم النطق بالشهادتين، وتجديده التوبة بعد إخباره بشروطها الثلاثة من الإقلاع عن موجب الإثم، والندم على صدوره منه، والعزم على عدم العودة إليه. ونظرا لما ذكرته عنه من أنه جاهل بمدلول ما صدر منه؛ فيكتفى بما قررتموه عليه تعزيرا. وفقكم الله، والسلام عليكم. مفتي الديار السعودية).

(٣) (الزواجر) (٤٨/ ١).

(٤) وفي روضة الطالبين (٢٨٧/ ٧) للنووي رحمه الله: (ولو حضر جماعة، وجلس أحدهم على مكان رفيع – تشبها بالمذكرين – فسألوه المسائل – وهم يضحكون – ثم يضربونه بالمخراق، أو تشبه بالمعلمين، فأخذ خشبة، وجلس القوم حوله كالصبيان، وضحكوا واستهزؤوا، وقال: قصعة ثريد خير من العلم؛ كفر. قلت (النووي): الصواب أنه لا يكفر في مسألتي التشبه. والله أعلم).

قلت: وذلك لاحتمال أن يكون المقصود الاستهزاء بشخص المدرس نفسه لا بمعلم الشريعة إجمالا، ولكن هذا لا يعني أن فعله مباح، كما هو مفهوم من قوله (لا يكفر)، وقد أقر رحمه الله كون ذلك من الكبائر. والله أعلم.." [1]

". إظهار الطاعة والموافقة للمشركين على دينهم قال تعالى: " إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم * ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم * فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم * ذلك بأنهم اتبعوا

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ٣٩٢/١

ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم " (محمد، آية: ٢٥. ٢٨).

. موالاة المشركين والكافرين قال تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين " (المائدة، آية: ٥١).

وقال تعالى: " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء " (آل عمران، آية: ٢٨).

. الجلوس عند المشركين في مجالس شركهم من غير إنكار قال تعالى: " وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا " (النساء، آية: ١٤٠).." [1]

"منهج السلف في البعد عن الشبهات

كان السلف رحمهم الله يحرصون على التباعد عن الشبه، وهذا منهج قرآني، فإن الله سبحانه وتعالى قد أمر العباد بأن يبعدوا عن الذين يخوضون في آيات الله، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء:١٤٠] ، وقال جل ذكره: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم﴾ [الأنعام:٦٨] ، والخوض في الشبهات وإيرادها هو من الخوض في آيات الله؛ ولذلك تدل هذه الآية على ما كان عليه السلف رحمهم الله من تباعد عن الشبهات، وحرص على النأي عنها.." [2]

"التحاكم إلى الطاغوت مجردا عن التصريح بالرضا، فهذا لا يكفر صاحبه إلا إذا ثبت أنه كان له مندوحة عن هذا التحاكم، وأنه لم يكن مضطرا ولا محتاجا إليه. والحق أن من يتحاكم إلى الطاغوت في غير ضرورة شرعية، لا يمكن إلا أن يكون راضيا عن هذا الشرع الطاغوتي. فرجع الأمر الثاني – عند التحقيق –إلى الأول، وتبين أن المناط الحقيقي هو الرضا والقبول.

ودليل كفر المتحاكم إلى الطاغوت قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾ الآيات، وهي صريحة في أن إرادة التحاكم إلى الطاغوت إيمان بهذا الطاغوت، وكفر بالله عز وجل. وقال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا

---

(١) الإيمان بالله جل جلاله علي محمد الصلابي ص/٢٦٥

(٢) شرح كشف الشبهات لخالد المصلح خالد المصلح ٤/١

لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ ، فبينت الآية أن متابعة الذين يشرعون من دون الله عز وجل شرك مناقض لمعنى كلمة: لا إله إلا الله.

وقال تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ ، فإذا كان هذا حال من يقعد – من غير إنكار – في مجلس يكفر فيه بآيات الله فكيف بمن يتحاكم – طائعا مختارا– إلى القوانين التي هي من أعظم المحادة لله ورسوله؟!." [1]

"والمخاصمة عن الخونة، في تزييف الحقائق وتضليل الشعوب، وتقبيح الحسن، وتحسين القبيح، وإلباس الباطل ثوب الحق، وإلباس الحق ثوب الباطل، أليس هؤلاء داخلين تحت ما نهت عنه هاتان الآيتان نهيا صريحا لا لبس فيه ولا غموض؟ ولكن أي من يسمع ويعقل ويتدبر أمره فيما يقول ويفعل في هذه الحياة؟

الدليل الحادي عشر: قول الله تعالى: (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا) [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

يقول الله تعالى لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - يا محمد بشر المنافقين الذين يتخذون أهل الكفر بي، والإلحاد في ديني أولياء، يعني أنصارا وأخلاء من دون المؤمنين تاركين موالاة المؤمنين، معرضين عنها، يطلبون عند هؤلاء الكفار المنعة والقوة والنفوذ، وما علم أولئك السفهاء البلهاء أن العزة لله جميعا (١) قال تعالى: (ولله ا لعزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) [المنافقون: ٨].

الدليل الثاني عشر: قول الله تعالى: (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) [النساء: ١٤٠].

فذكر تعالى أنه نزل على المؤمنين في الكتاب، أنهم إذا جلسوا مجلسا، يمدح فيه الكفر بالله والكافرون، ويقر فيه الاستهزاء بالله ورسوله وكتابه، ثم سكتوا عن أولئك المجرمين وعن باطلهم وصحبوهم على تلك

---

(١) انظر تفسير القرطبي (٥/ ٢١١).." [2]

---

(١) شرح منظومة الإيمان عصام البشير المراكشي ص/١٨٦

(٢) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية محماس الجلعود ٨٦/١

"سادسا: التشبه بهم في أمور كفرهم: إن التشبه بهم في أمور كفرهم، معاونة لهم على كفرهم، وإظهار الرضا بكفرهم، وتحقيق لأهوائهم ورغباتهم، وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من تشبه بقوم فهو منهم» (١).

سابعا: ذكر ما فيه تعظيم لهم: إن من موالاة الكفار ما درج عليه الحكام والرؤساء في هذا العصر من إرسال برقيات التهاني والمدح والإطراء في مناسبات التزاور والأعياد التي ما أنزل الله بها من سلطان والدليل على أن هذه الأعمال موالاة للكفار، ما ورد من النهي عن إطلاق لفظة سيد على المنافق فكيف بالكافر الصريح قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تقولوا للمنافق سيدنا فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم عز وجل» (٢).

ثامنا: تفضيل السكنى والإقامة بين الكفار اختيارا: إن من أنواع الموالاة للكفار تفضيل السكنى والإقامة بينهم اختيارا في ديارهم وحضور مجالسهم مع إمكان الحصول على مقام مأمون بين المسلمين. فإن سماع كلامهم القبيح، مع الاستمرار في الجلسة دون الرد أو الغضب أو الخروج من ذلك موالاة توجب كفر من يفعل ذلك قال تعالى: (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) (٣).

هذه بعض الأمثلة على أنواع الموالاة للكفار وهي ليست للحصر

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والطبراني في الكبير، قال العراقي: سنده صحيح.

انظر كتاب جند الله ثقافة وأخلاقا/ سعيد حوى ص١٨٥.

(٢) أخرجه أبو داود والبخاري في الأدب المفرد وأحمد. وقال الألباني: حديث صحيح. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني م٢ ص١٠١ رقم الحديث (٣٧١).

(٣) سورة النساء آية (١٤٠).." [1]

"الواردة في ذم مساكنة الكفار والإقامة معهم على من لم يقدر على إظهار دينه، أو رضي عنهم وتابعهم على دينهم وإن كان يدعي الإسلام، فمن الأدلة الواردة في ذم مخالطة المشركين على ذلك الوصف المتقدم ما يلي:-

---

(١) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية محماس الجلعود ٦٤٩/٢

أولا- قول الله تعالى: (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) (١). لأن الرضا بالكفر كفر، وعلى هذا استدل العلماء بأن الراضي بالذنب كفاعله، لأن الذي يدعي الإسلام، ويكون مع المشركين في الاجتماع بهم، والنصرة لهم، والسكن معهم بحيث يعده المشركون أو المرتدون عن الإسلام أنه واحد منهم، فهو كافر مثلهم، وإن ادعى الإسلام (٢).

ولا فرق في ذلك بين المدة القريبة أو المدة البعيدة، فكل بلد لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيه، لا يجوز له المقام فيه ولو يوما واحدا إذا كان يقدر على الخروج منه (٣). فحكم الإقامة كحكم السفر في ذلك، نظرا لما يترتب عليهما من منافع أو مفاسد متشابه في حق الفرد والأمة على حد سواء (٤).

وقد قال القرطبي في الآية المتقدمة في قوله تعالى: (إنكم إذا مثلهم) (٥): إن هذه الآية نزلت في المنافقين الذين يجالسون أحبار اليهود

---

(١) سورة النساء آية (١٤٠).

(٢) انظر مجموعة التوحيد ص٤٨.

(٣) المصدر السابق المكان نفسه.

(٤) المصدر السابق المكان نفسه.

(٥) سورة النساء آية (١٤٠).." [١]

"في وقت البعثة لظروف اقتضتها طبيعة المجتمع الجاهلي، ولكن الآن تغير الوضع وأصبح الاقتصاد العالمي شبكة من العلاقات التي يصعب فصلها، فيجب أن نقول بتغير الحكم؛ ليصبح التعامل بالربا حلالا. كما لا يجوز لمسلم أن يقول: إن الخمر ينبغي أن يكون حلالا؛ تبسيطا لأسواق السياحة، أو إن ما نراه ونشاهده على شواطئ المجون من العراء الفاضح أو القول بالزواج العرفي أو تكوين الأسر غير التقليدية كمعاشرة الرجل للرجل والمرأة للمرأة أو الرجل للأجنبية ... إلخ ما نسمع من أفواه دعاة التغريب والتحديث، فإن ذلك كله من باب وضع السم في الدسم؛ ليخاطبوا بذلك غرائز الشباب استغلالا للظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها البلاد، وليس ذلك كله إلا محاولة لتطويع المبادئ الإسلامية وتنزيلها على حسب أهوائهم لترضي رغباتهم، ونزواتهم ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم

---

(١) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية محماس الجلعود ٢/٨٥١

لمشركون﴾ [الأنعام: ١٢١] . وهؤلاء كما تحدث القرآن عنهم: ﴿يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ ، وإن أطعمتموهم، ﴿إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ . نسأل الله أن يحمي شباب الأمة من تضليل هؤلاء وخداعهم، كما نسأله سبحانه أن ينير بصائرهم ليروا الحق حقا والباطل باطلا.." [١]

"الشرك، كما قال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ [سورة التوبة: ٣١] (١)

.

(٩) مجالستهم، والدخول عليهم وقت استهزائهم بآيات الله. وقال تعالى في النهي عن مجالستهم:

﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم** ﴾ [سورة النساء: ١٤٠] .

قال ابن جرير:

(قوله (إنكم إذا مثلهم) أي إنكم إذا جالستم من يكفر بآيات الله ويستهزئ بها وأنتم تسمعون فأنتم مثلهم إن لم تقوموا عنهم في تلك الحال، لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها.

(وفي الآية دلالة واضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من الكفرة والمبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم (٢) .

وفي الحديث (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم) . (٣)

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٢٢) .

(٢) تفسير الطبري (٥/٣٣٠) .

(٣) رواه أحمد (في المسند) (ح ٨/٨٠ ح ٥٧٠٥) بتحقيق أحمد شاكر وصحيح البخاري (٨/١٢٥ ح ٤٤١٩) كتاب المغازي وصحيح مسلم (٤/٢١٨٥ ح ٢٩٨٠) كتاب الزهد.." [٢]

---

[١] الوحي والإنسان - قراءة معرفية محمد السيد الجليند ص/١٩٩

[٢] الولاء والبراء في الإسلام محمد بن سعيد القحطاني ص/٢٤٢

"والهجر الشرعي نوعان:

الأول: بمعنى الترك للمنكرات.

والثاني: بمعنى العقوبة عليها.

فالأول هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم ﴾ [سورة الأنعام: ٦٨] .

وقوله تعالى:

﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم** ﴾ [سورة النساء: ١٤٠] .

وهذا الهجر من جنس هجر الإنسان نفسه عن فعل المنكرات كما قال صلى الله عليه وسلم"المهاجر من هجر ما نهى الله عنه" (١) ومن هذا الباب الهجرة من دار الكفر والفسوق إلى دار الإسلام والإيمان، فإنه هجر للمقام بين الكافرين والمنافقين الذين لا يمكنونه من فعل ما أمر الله به، ومن هذا قوله تعالى:

﴿والرجز فاهجر ﴾ [سورة المدثر: ٥] .

أما النوع الثاني وهو الهجر على وجه التأديب: فهو هجر من يظهر المنكرات حتى يتوب منها كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون "الثلاثة الذين خلفوا" (٢) حتى أنزل الله توبتهم.

---

(١) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (ج ١/٥٣ ح ١٠) .

(٢) سيرد حديثهم إن شاء الله في الباب الأخير عند الحديث عن كعب بن مالك وهو أحدهم.." [١]

"إعراض السلف عن أهل البدع

أما إعراضهم عن أهل البدع وعن مخالطتهم فقد أصبح أمرا معلوما بالضرورة عند أهل السنة فقد حذروا من مجالسة أهل البدع والاستماع إليهم لعلمهم أن أصحاب البدع يوردون شبهات يضللون بها العامة قال تعالى:

﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ (٢) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث: "إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة" (٣) .

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام محمد بن سعيد القحطاني ص/٣٠٩

وفي رواية: "وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة" (٤) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (٥) وقال صلى الله عليه وسلم: "من رغب عن سنتي فليس مني" (٦) .

وهذه الآيات والأحاديث كلها تدل على وجوب الإعراض عن المبتدعين وعن أقوالهم وما يحدثونه في دينهم بأهوائهم التي يقدمونها على السنة ومن هنا كانت نفرة أهل السنة عن أهل البدع اتباعا لأمر الله وأمر المصطفى صلى الله عليه وسلم ونصحا لأنفسهم ولغيرهم.

---

(١) الأنعام: الآية٦٨

(٢) النساء: من الآية١٤٠

(٣) من حديث أخرجه أبو داود ٤/ ٢٠٠.

(٤) مسلم ٨٦٧ كتاب الجمعة ج ٢ ص ٥٩٢ ١

(٥) البخاري كتاب الصلح مع الفتح ج٥ ص٣٠١ ومسلم كتاب الأقضية ج٣ ص ٣٤٣.

(٦) باب نقض الأحكام الباطلة ةرد محدثات الأمور المسند ج٢ ص ١٥٨.." [١]

"وكان ابن طاوس جالسا فجاء رجل من المعتزلة قال فجعل يتكلم قال فأدخل ابن طاوس إصبعيه في أذنيه وقال لابنه أي بني أدخل إصبعيك في أذنيك واشدد ولا تسمع من كلامه شيئا. قال معمر راوي الخبر يعني أن القلب ضعيف (١) .

وروى الدارمي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال: "إذا رأيت قوما يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة" (٢) .

وكان الشافعي ينهى النهي الشديد عن الكلام في الأهواء ويقول: "أحدهم إذا خالف صاحبه قال كفرت والعلم فيه أنما يقول أخطأت" (٣) .

وقال علي بن المديني: "من قال فلان مشبه علمنا أنه جهمي ومن قال فلان مجبر علمنا أنه قدري ومن قال فلان ناصبي علمنا أنه رافضي" (٤) .

وقد رويت عن السلف من النصوص الكثيرة ما لا يحتمل المقام ذكرها هنا وكلها تهدف إلى أمر واحد هو اجتناب أهل البدع والتحذير منهم امتثالا لقول الله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي ١٤٣/١

عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ (٥)

.

وقوله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم إن** الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ (٦)

.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج١ ص١٣٥.

(٢) أخرجه اللالكائي ص١٣٥.

(٣) أخرجه اللالكائي ج١ ص١٤٦.

(٤) شرح السنة اللالكائي ج١ ص ١٤٧.

(٥) سورة الأنعام:٦٨.

(٦) سورة النساء: ١٤٠.." [١]

"فمكروه أن تنظر إليه أو يخطر ببالك، وقد سوى الله عز وجل بين المستمع والقائل في قوله تعالى: (إنكم إذا مثلهم) النساء: ١٤٠ ومثل الصائم مثل التوبة لأن الصبر من أوصافها وإنما كانت التوبة مكفرة لما سلف من السيئات لأجل أنه صبر عما سلف من سئ العادات ثم اعتقد ترك العود إلى مثل ما سلف بصيانة جوارحه التي كانت طرائق المكروهات، كذلك كان الصيام جنة من النار وفضيلة من درجات الأبرار، إذا صبر عليه الصائم فحفظ جوارحه فيه من المآثم فإذا أمرحها في الآثام كان كالتائب المتردد الناقض للميثاق لم تكن توبته نصوحا ولا كان صوم هذا صالحا وصحيحا ألا ترى إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصوم جنة من النار ما لم يخرقها بكذب أو غيبة وأمره في قوله عليه السلام: إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولايجهل وان امرؤ شاتمه فليقل: إني صائم، وفي لفظ آخر لايجعل يوم صومه ويوم فطره سواء أي يتحفظ في صومه لحرمته، وفي خبر: آخر الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته، فحفظ الأمانة من صيانة الجوارح لقول النبي صلى الله عليه وسلم لماتلا هذه الآية: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) النساء: ٥٨ وضع يده على سمعه وبصره قال السمع أمانة والبصر أمانة فذلك مجاز قوله فليقل: إني

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي ١٤٥/١

صائم، أي يذكر الأمانة التي حمل فيؤديها إلى أهلها ومن حفظ الأمانة أن يكتمها فإن أفشاها من غير حاجة فهي خيانة لأن مودعها قد لا يجب أن يظهرها وحقيقة حفظ السر نسيانه وضياع السر أن يكثر خزانه فحقيقة الصائم أن يكون ناسيا لصومه لا ينتظر الوقت شغلا عنه بالمؤقت.." (١)

"٩٣٢ – أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم، ثنا سعيد بن عيسى بن زيد، ثنا محمد بن أبي تميلة قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ﷺ" ليس لأحد أن يفعل مع من شاء لأن الله عز وجل يقول: ﴿إذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ [الأنعام: ٦٨] ، ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠] ، وليس له أن ينظر إلى من يشاء لأن الله عز وجل يقول: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ [النور: ٣٠] ، وليس له أن يقول ما لا يعلم أو يسمع إلى ما شاء أو يهوى ما شاء لأن الله عز وجل يقول: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ ، ولا تفعل، يقول: ولا تقل "." (٢)

"قيئا فيه ما أكلتما فقاءت إحداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم (١)

الثالث كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وأكل السحت فقال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وقال عز وجل لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت فالسكوت على الغيبة حرام وقال **تعالى إنكم إذا مثلهم ولذلك** قال صلى الله عليه وسلم المغتاب والمستمع شريكان في لإثم (٢)

الرابع كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصرا ويهدم مصرا فإن الطعام الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله

وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها والحرام سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش (٣) فقيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١٣٦/١

(٢) الزهد الكبير للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/٣٤١

الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام

الخامس أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلىء جوفه فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن مليء من حلال

وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر

ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها

فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوي فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء

وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى إنا أنزلناه في ليلة القدر ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الأمر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله عز وجل

السادس أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ

---

(١) حديث أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في الغيبة للصائم أخرجه أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بسند فيه مجهول

(٢) حديث المغتاب والمستمع شريكان في الإثم غريب وللطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة

(٣) حديث كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش أخرجه النسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة." (١)

"الله بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة (١) حديث إن الرجل ليتكلم الكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن وللشيخين والترمذي إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا في النار لفظ الترمذي وقال حسن غريب (٢) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح (٣) حديث لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم وقال صلى الله عليه وسلم ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته (٤) وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة (٥) وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول ما عهد إلي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال (٦) وقال أيضا ما ضل قوم بعد أن هداهم الله تعالى إلا أوتوا الجدل (٧) وقال أيضا لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقا (٨)

وقال أيضا ست من كن فيه بلغ حقيقة

---

(١) حديث بلال بن الحارث إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله الحديث أخرجه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح وكان علقمة يقول كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثرايا

(٢) وقال أبو هريرة إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالا يرفعه الله بها في أعلى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم أعظم النا س خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل

(٣) وإليه الإشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم وقال** سلمان أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في معصية الله

وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم توضئوا فإن بعض ما تقولون شر من

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢٣٥/١

الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها
ويدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه
الآفة الرابعة المراء والجدال
وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده م وعدا فتخلفه
(٤) حديث ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته أخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع بإسناد ضعيف دون قوله لا تفهم حكمته ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفا على ابن مسعود
(٥) حديث من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة الحديث تقدم في العلم
(٦) حديث أم سلمة إن أول ما عهد إلي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني والبيهقي بسند ضعيف وقد رواه ابن أبي الدنيا في المراسيل من حديث عروة بن رويم
(٧) حديث ما ضل قوم إلا أوتوا الجدل أخرجه الترمذي من حديث أبي أمامة وصححه وزاد بعد هدى كانوا عليه وتقدم في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره المصنف
(٨) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يذر المراء وإن كان محقا أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ لا يؤمن العبد حتى يترك الكذب في المزاحة والمراء وإن كان صادقا." (١)

"فإنم قيل فقد قال الله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ . ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ . ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ وهذا يوجب أن لا يؤاخذ أحد بذنب أحد وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب.

وقريء ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ وعلى هذه القراءة يكون المعنى أنها تصيب الظالم خاصة وهي قراءة زيد بن ثابت وعلي وأبي وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين.
والجواب: أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر، فمن الفرض على من رآه أن يغيره إما بيده، فإن لم يقدر فبلسانه،

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١١٦/٣

فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطيع سوى ذلك. روى الأئمة «عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فلبسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ليس عليه غيره وذلك أضعف الإيمان» .

روي عن بعض الصحابة أنه قال: إن الرجل إذا رأى منكرا لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات: اللهم إن هذا منكر لا أرضاه فإذا قال ذلك فقد أدى ما عليه، فأما إذا سكت عليه فكلهم عاص، هذا بفعله وهذا برضاه كما ذكرنا.

وقد جعل الله في حكمه وحكمته الراضي بمنزلة الفاعل فانتظم في العقوبة.

دليله قوله تعالى ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ فأما إذا كره الصالحون ما صنع المفسدون وأخلصوا كراهيتهم لله تعالى." (١)

"وعن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده .فقلت: يا رسول الله أما فيهم أناس صالحون؟ قال بلى. قلت :فكيف يصنع أولئك؟ قال : يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان)(١).

والثانية :حال من سكت عن تغيير المنكر مداهنة لأهله وهو قادر على التغيير ،وهذا قد ارتكب إثما بتقاعسه ومداهنته،فهو شريك في الإثم ،ولذا فهو مستحق للعقوبة في الآخرة،،وما يقع عليه في الدنيا والآخرة من العقاب إنما هو جزاء وفاق لمعصيته وعدم قيامه بواجب ألزمه الشارع به .

فقد استحق بنو إسرائيل اللعن لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،واللعن يقتضي استحقاق العقوبة في الآخرة، فدل ذلك على أن المداهن مع القدرة مستحق للعقوبة كفاعل المنكر.

ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم** .. ﴾ (النساء:١٤٠)

فقد سوت هذه الآية في الحكم بين فاعل المنكر والساكت عنه إذا كان قادرا على التغيير ،قال القرطبي : ((فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر ،لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم والرضا بالكفر كفر قال الله عز وجل: ﴿ إنكم إذن مثلهم ﴾ ، فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء))(٢).

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة شمس الدين القرطبي ص/١٠٦٣

(١) أخرجه أحمد (٢٩٤،٣٠٤/٦) والطبراني في الكبير (٣٢٥،٣٧٧/٢٣) .قال الهيثمي في المجمع (٢٦٨/٧): ((رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح)).
(٢) تفسير القرطبي (٤١٨/٥) .." [١]

"٦٥٧٥ - قوله (عبد الله بن عثمان)

هو عبدان ، وعبد الله شيخه هو ابن المبارك ، ويونس هو ابن يزيد .

قوله (إذا أنزل الله بقوم عذابا)

أي عقوبة لهم على سيئ أعمالهم .

قوله (أصاب العذاب من كان فيهم)

في رواية أبي النعمان عن ابن المبارك " أصاب به من بين أظهرهم " أخرجه الإسماعيلي ، والمراد من كان فيهم ممن ليس هو على رأيهم .

قوله (ثم بعثوا على أعمالهم)

أي بعث كل واحد منهم على حسب عمله إن كان صالحا فعقباه صالحة وإلا فسيئة ، فيكون ذلك العذاب طهرة للصالحين ونقمة على الفاسقين . وفي صحيح ابن حبان عن عائشة مرفوعا " إن الله إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون قبضوا معهم ثم بعثوا على نياتهم وأعمالهم " وأخرجه البيهقي في " الشعب " وله من طريق الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عنها مرفوعا " إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله بأسه فيهم ، قيل : يا رسول الله وفيهم أهل طاعته ؟ قال : نعم ، ثم يبعثون إلى رحمة الله تعالى " قال ابن بطال : هذا الحديث يبين حديث زينب بنت جحش حيث قالت " أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث " فيكون إهلاك الجميع عند ظهور المنكر والإعلان بالمعاصي . قلت : الذي يناسب كلامه الأخير حديث أبي بكر الصديق " سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب " أخرجه الأربعة وصححه ابن حبان ، وأما حديث ابن عمر في الباب وحديث زينب بنت جحش فمتناسبان ، وقد أخرجه مسلم عقبه ، ويجمعهما أن الهلاك يعم الطائع مع العاصي ، وزاد حديث ابن عمر أن الطائع عند البعث يجازى بعمله ، ومثله حديث عائشة مرفوعا " العجب أن ناسا من أمتي يؤمون هذا البيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم ، فقلنا : يا رسول الله إن الطريق قد تجمع الناس ، قال : نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون

---

(١) االفوائد من حديث مثل القائم، ص/٣٧

مصادر شتى ، يبعثهم الله على نياتهم " أخرجه مسلم . وله من حديث أم سلمة نحوه ولفظه " فقلت يا رسول الله فكيف بمن كان كارها ؟ قال : يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته " وله من حديث جابر رفعه " يبعث كل عبد على ما مات عليه " وقال الداودي : معنى حديث ابن عمر أن الأمم التي تعذب على الكفر يكون بينهم أهل أسواقهم ومن ليس منهم فيصاب جميعهم بآجالهم ثم يبعثون على أعمالهم ، ويقال إذا أراد الله عذاب أمة أعقم نساءهم خمس عشرة سنة قبل أن يصابوا لئلا يصاب الولدان الذين لم يجر عليهم القلم انتهى . وهذا ليس له أصل وعموم حديث عائشة يرده ، وقد شوهدت السفينة ملأى من الرجال والنساء والأطفال تغرق فيهلكون جميعا ، ومثله الدار الكبيرة تحرق ، والرفقة الكثيرة تخرج عليها قطاع الطريق فيهلكون جميعا أو أكثرهم ، والبلد من بلاد المسلمين يهجمها الكفار فيبذلون السيف في أهلها ، وقد وقع ذلك من الخوارج قديما ثم من القرامطة ثم من الططر أخيرا والله المستعان . قال القاضي عياض : أورد مسلم حديث جابر " يبعث كل عبد على ما مات عليه " عقب حديث جابر أيضا رفعه " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله " يشير إلى أنه مفسر له ، ثم أعقبه بحديث " ثم بعثوا على أعمالهم " مشيرا إلى أنه وإن كان مفسرا لما قبله لكنه ليس مقصورا عليه بل هو عام فيه وفي غيره ، ويؤيده الحديث الذي ذكره بعده " ثم يبعثهم الله على نياتهم " انتهى ملخصا . والحاصل أنه لا يلزم من الاشتراك في الموت الاشتراك في الثواب أو العقاب بل يجازى كل أحد بعمله على حسب نيته . وجنح ابن أبي جمرة إلى أن الذين يقع لهم ذلك إنما يقع بسبب سكوتهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأما من أمر ونهى فهم المؤمنون حقا لا يرسل الله عليهم العذاب بل يدفع بهم العذاب ، ويؤيده قوله تعالى (وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) وقوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ويدل على تعميم العذاب لمن لم ينه عن المنكر وإن لم يتعاطاه قوله تعالى (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم**) ويستفاد من هذا مشروعية الهرب من الكفار ومن الظلمة لأن الإقامة معهم من إلقاء النفس إلى التهلكة ، هذا إذا لم يعنهم ولم يرض بأفعالهم فإن أعان أو رضي فهو منهم ، ويؤيده أمره صلى الله عليه وسلم بالإسراع في الخروج من ديار ثمود . وأما بعثهم على أعمالهم فحكم عدل لأن أعمالهم الصالحة إنما يجازون بها في الآخرة ، وأما في الدنيا فمهما أصابهم من بلاء كان تكفيرا لما قدموه من عمل سيئ ، فكان العذاب المرسل في الدنيا على الذين ظلموا يتناول من كان معهم ولم ينكر عليهم فكان ذلك جزاء لهم على مداهنتهم ، ثم يوم القيامة يبعث كل منهم فيجازى بعمله . وفي الحديث تحذير وتخويف عظيم لمن سكت عن النهي ، فكيف بمن داهن ، فكيف

بمن رضي ، فكيف بمن عاون ؟ نسأل الله السلامة . قلت : ومقتضى كلامه أن أهل الطاعة لا يصيبهم العذاب في الدنيا بجريرة العصاة ، وإلى ذلك جنح القرطبي في " التذكرة " وما قدمناه قريبا أشبه بظاهر الحديث . وإلى نحوه مال القاضي ابن العربي ، وسيأتي ذلك في الكلام على حديث زينب بنت جحش " أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث " في آخر كتاب الفتن .." (١)

"على المعصية عندهم كما تقرر إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم النهي محمول على الزجر والتغليظ وتقبيح اعتقادهم على قول من لم يحكم بكفرهم وعلى الحقيقة على قول من حكم بكفرهم إذ الفاسق لا منع ولا كراهة في شهود جنازته بخلاف المريض فضلا عن كفره يمنع عن عيادته كذا ذكره ابن حجر وهو مخالف لمذهبنا فإن عيادة المريض من المسلمين فرض كفاية كشهود جنازتهم وخص هاتين الخصلتين لأنهما ألزم وأولى من سائر الحقوق فإنهما حالتان مفتقرتان إلى الدعاء بالصحة والمغفرة فيكون النهي عنهما أبلغ في المقصود رواه أحمد وأبو داود وكذا الحاكم وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله لا تجالسوا أهل القدر بضم أوله أي لا تواددوهم ولا تحابوهم فإن المجالسة ونحوها من المماشاة من علامات المحبة وإمارات المودة فالمعنى لا تجالسوهم مجالسة تأنيس وتعظيم لهم لأنهم إما إن يدعوكم إلى بدعتهم بما زينه لهم شيطانهم من الحجج الموهمة والأدلة المزخرفة التي تجلب من لم يتمكن في العلوم والمعارف إليهم ببادي الرأي وإما أن يعود عليكم من نقصهم وسوء عملهم ما يؤثر في قلوبكم وأعمالكم إذ مجالسة الأغيار تجر إلى غاية البوار ونهاية الخسار قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين التوبة ولا ينافي إطلاق الحديث تقييد الآية في المنافقين حيث قال الله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يكونوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم النساء** وكذا قوله عز وجل وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره الأنعام فلم ينه عن مجالستهم مطلقا لأن الحديث يحمل على من لم يأمن على نفسه منهم فيمنع عن مجالستهم مطلقا والآية على من أمن فلا حرج عليه في مجالسته لهم بغير التأنيس والتعظيم ما لم يخوضوا في كفر وبدعة وكذا إذا خاضوا وقصد الرد عليهم وتسفيه أدلتهم ومع هذا البعد عنهم أولى والإجتناب عن مباحثتهم أحرى ولا تفاتحوهم من الفتاحة بضم الفاء وكسرها." (٢)

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ١١٣/٢٠

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤١٠/١

" ١٦٦٧ - (إن الله تعالى إذا أنزل سطواته) جمع سطوة (١) قهره وشدة بطشه وفي رواية ابن حبان سطوته بالإفراد (على أهل نقمته) أي المستوجبين لها (فوافت آجال قوم صالحين فأهلكوا بهلاكهم ثم يبعثون على) حسب (نياتهم وأعمالهم) [ص ٢٠٢] أي بعث كل واحد منهم على حسب أعماله من خير وشر فإن كانت نيته وعمله صالحة فعقباه صالحة وإلا فسيئة فذلك العذاب طهرة للصالح ونقمة على الفاسق فالصالح ترفع درجاته والطالح تسفل دركاته فلا يلزم من الاشتراك في الموت الاشتراك في الثواب والعقاب بل يجازى كل واحد بعمله على حسب نيته ومن الحكم العدل أن أعمالهم الصالحة إنما يجازون عليها في الآخرة أما في الدنيا فمهما أصابهم من بلاء فهو تكفير لما قدموه من عمل سيء والنقمة عقوبة المجرم والفعل من نقم بالفتح والكسر ذكره القاضي وذهب ابن أبي جمرة إلى أن الذين يقع لهم ذلك بسبب سكوتهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اه . وذهب بعضهم إلى التعميم تمسكا بآية ﴿ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم** ﴾ وأخذ منه مشروعية الهرب من الكفار والظلمة لأن الإقامة معهم من إلقاء النفس في التهلكة

(هب عن عائشة) وهو صحيح ورواه عنها أيضا ابن حبان في صحيحه بلفظ إن الله إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون قبضوا معهم ثم بعثوا على نياتهم وأعمالهم

---

(١) يقال سطا عليه يسطو سطوا قهره وأذله وهو البطش بشدة اه ." [1]

"عليه في الفرع (إلى) صلاة (الجمعة).

وذكر عمر بن شبة بسنده أن وقعة الجمل كانت في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وذكر أيضا من رواية المدايني عن العلاء أبي محمد عن أبيه قال: جاء رجل إلى علي وهو بالزاوية فقال: علام تقاتل هؤلاء؟ قال علي: على الحق. قال: فإنهم يقولون إنهم على الحق. قال: أقاتلهم على الخروج عن الجماعة ونكث البيعة.

وعند الطبراني أن أول ما وقعت الحرب أن صبيان العسكرين تسابوا ثم تراموا ثم تبعهم العبيد ثم السفهاء فنشب الحرب وكانوا خندقوا على البصرة فقتل قوم وخرج آخرون وغلب أصحاب علي ونادى مناديه: لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا جريحا ولا تدخلوا دار أحد ثم جمع الناس وبايعهم، واستعمل ابن عباس على البصرة ورجع إلى الكوفة.

---

(١) فيض القدير، ٢/٢٠١

وعند ابن أبي شيبة بسند جيد عن عبد الرحمن بن أبزى قال: انتهى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي إلى عائشة يوم الجمل وهي في الهودج فقال: يا أم المؤمنين أتعلمين أني أتيتك عندما قتل عثمان فقلت: ما تأمريني فقلت الزم عليا فسكتت. فقال: اعقروا الجمل فعقروه فنزلت أنا وأخوها محمد فاحتملنا هودجها فوضعناه بين يدي علي فأمر بها فأدخلت بيتا.

وعند ابن أبي شيبة والطبري من طريق عمر بن جاوان عن الأحنف فكان أول قتيل طلحة ورجع الزبير فقتل. وقال الزهري: ما شوهدت وقعة مثلها فني فيها الكماة من فرسان مضر فهرب الزبير فقتل بوادي السباع، وجاء طلحة سهم غرب فحملوه إلى البصرة ومات. وحكى سيف كان قتلى الجمل عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي ونصفهم من أصحاب عائشة. وقيل قتل من أصحاب عائشة ثمانية آلاف، وقيل ثلاثة عشر ألفا ومن أصحاب علي ألف، وقيل من أهل البصرة عشرة آلاف ومن أهل الكوفة خمسة آلاف.

١٩ - باب إذا أنزل الله بقوم عذابا

هذا (باب) بالتنوين (إذا أنزل الله بقوم عذابا) أي يذكر جواب إذا اكتفاء بما في الحديث.

٧١٠٨ - حدثنا عبد الله بن عثمان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا يونس، عن الزهرى أخبرنى حمزة بن عبد الله بن عمر أنه سمع ابن عمر - رضى الله عنهما - يقول: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم».

وبه قال: (حدثنا عبد الله بن عثمان) الملقب عبدان قال: (أخبرنا عبد الله) بن المبارك قال: (أخبرنا يونس) بن يزيد الأيلي (عن الزهري) محمد بن مسلم بن شهاب أنه قال: (أخبرني) بالإفراد

(حمزة بن عبد الله بن عمر) بالحاء المهملة والزاي (أنه سمع) أباه (ابن عمر -رضي الله عنهما- يقول: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-):

(إذا أنزل الله بقوم عذابا) أي عقوبة لهم على سيئ أعمالهم (أصاب العذاب من كان فيهم) ممن ليس هو على منهاجهم ومن من صيغ العموم، فالمعنى أن العذاب يصيب حتى الصالحين منهم وعند الإسماعيلي من طريق أبي النعمان عن ابن المبارك أصاب به من بين أظهرهم (ثم بعثوا) بضم الموحدة (على) حسب (أعمالهم) إن كانت صالحة فعقباهم صالحة وإلا فسيئة فذلك العذاب طهرة للصالح ونقمة على الفاسق. وعن عائشة مرفوعا: إن الله تعالى إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون قبضوا معهم ثم بعثوا على نياتهم وأعمالهم صححه ابن حبان وأخرجه البيهقي في شعبه، فلا يلزم من الاشتراك في الموت الاشتراك في الثواب أو العقاب بل يجازى كل أحد بعمله على حسب نيته وهذا من الحكم العدل لأن أعمالهم الصالحة

إنما يجازون بها في الآخرة وأما في الدنيا فمهما أصابهم من بلاء كان تكفيرا لما قدموه من عمل سيئ كترك الأمر بالمعروف.

وفي السنن الأربعة من حديث أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– سمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قول: "إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعذاب". وكذا رواه ابن حبان وصححه فكان العذاب المرسل في الدنيا على الذين ظلموا يتناول من كان معهم ولم ينكر عليهم، فكان ذلك جزاء لهم على مداهنتهم ثم يوم القيامة يبعث كل منهم فيجازى بعمله فأما من أمر ونهى فلا يرسل الله عليهم العذاب بل يدفع الله بهم العذاب ويؤيده قوله تعالى: ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ [القصص: ٥٩] ويدل على التعميم لمن لم ينه عن المنكر وإن كان لا يتعاطاه قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث **غيره إنكم إذا مثلهم ويستفاد** منه مشروعية الهروب من الظلمة لأن الإقامة معهم." [(١)]

" – حديث سمرة قال الذهبي إسناده مظلم لا تقوم بمثله حجة . وحديث جرير أخرجه أيضا ابن ماجه ورجال إسناده ثقات ولكن صحح البخاري وأبو حاتم وأبو داود والترمذي والدارقطني إرساله إلى قيس بن أبي حازم ورواه الطبراني أيضا موصولا وحديث معاوية أخرجه أيضا النسائي قال الخطابي إسناده فيه مقال . وحديث عبد الله السعدي أخرجه أيضا ابن ماجه وابن منده والطبراني والبغوي وابن عساكر

قوله : " فهو مثله " فيه دليل على تحريم مساكنة الكفار ووجوب مفارقتهم والحديث وإن كان فيه المقال المتقدم لكن يشهد لصحته قوله تعالى ﴿ فلا تقعدوا **معهم إنكم إذا مثلهم** ﴾ وحديث بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده مرفوعا " لا يقبل الله من مشرك عملا بعد ما أسلم أو يفارق المشركين " قوله " لا تتراءى نارهما " يعني لا ينبغي أن يكونا بموضع بحيث تكون نار كل واحد منهما في مقابلة الأخرى على وجه لو كانت متمكنة من الإبصار لأبصرت الأخرى فإثبات الرؤية للنار مجاز

قوله : " ما قوتل العدو " فيه دليل على أن الهجرة باقية ما بقيت المقاتلة للكفار

قوله : " لا هجرة بعد الفتح " أصل الهجرة هجرة الوطن وأكثر ما تطلق على من رحل من البادية إلى القرية

قوله : " ولكن جهاد ونية " قال الطيبي وغيره هذا الاستدراك يقتضي مخالفة حكم ما بعده لما قبله والمعنى أن الهجرة التي هي مفارقة الوطن التي كانت مطلوبة على الأعيان إلى المدينة إنقطعت إلا أن

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١٠/١٩٦

المفارقة بسبب الجهاد باقية وكذلك المفارقة بسبب نية صالحة كالفرار من دار الكفر والخروج في طلب العلم والفرار بالدين من الفتن والنية في جميع ذلك

قوله : " إذا استنفرتم فانفروا " قال النووي أن الخير الذي انقطع بإنقطاع الهجرة يمكن تحصيله بالجهاد والنية الصالحة و إذا أمركم الإمام بالخروج إلى الجهاد ونحوه من الأعمال الصالحة فاخرجوا إليه

قال الطيبي أن قوله ولكن جهاد الخ معطوف على محل مدخول لا هجرة إلى الهجرة من الوطن أما للفرار من الكفار أو إلى الجهاد أو إلى غير ذلك كطلب العلم فانقطعت الأولى وبقيت الأخريان فاغتنموهما ولا تقاعدوا عنهما بل إذا استنفرتم فانفروا

قال الحافظ وليس الأمر في انقطاع الهجرة من الكفار على ما قال انتهى

وقد اختلف في الجمع بين أحاديث الباب فقال الخطابي وغيره كانت الهجرة فرضا من أول الإسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم للاجتماع فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا فسقط فرض الهجرة إلى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو انتهى

قال الحافظ وكانت الحكمة أيضا في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من اذى من يؤذيه من الكفار فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه وفيهم نزلت ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ الآية وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها

وقال الماوردي إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام فالإقامة فيها أفضل من الرحلة عنها لما يترجى من دخول غيره الإسلام ولا يخفى ما في هذا الرأي من المصادمة لأحاديث الباب القاضية بتحريم الإقامة في دار الكفر

وقال الخطابي أيضا أن الهجرة أفترضت لما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة إلى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ﴾ فلما فتحت مكة ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل انقطعت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب

وقال البغوي في شرح السنة يحتمل الجمع بطريق أخرى فقوله لا هجرة بعد الفتح أي من مكة إلى المدينة . وقوله " لا تنقطع " أي من دار الكفر في حق من أسلم إلى دار الإسلام قال ويحتمل وجها آخر وهو أن قوله لا هجرة أي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان بنية عدم الرجوع إلى الوطن المهاجر

منه إلا بإذن فقوله لا تنقطع أي هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الأعراب ونحوهم وقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الإسماعيلي بلفظ " انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار " أي ما دام في الدنيا دار كفر فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي أن يفتن على دينه ومفهومه أنه لو قدر أن لا يبقى في الدنيا دار كفر إن الهجرة تنقطع لإنقطاع موجبها وأطلق ابن التين أن الهجرة من مكة إلى المدينة كانت واجبة وأن من أقام بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة بغير عذر كان كافرا

قال الحافظ وهو إطلاق مردود

وقال ابن العربي الهجرة هي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام وكانت فرضا في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستمرت بعده لمن خاف على نفسه والتي انقطعت أصلا هي القصد إلى حيث كان وقد حكى في البحر أن الهجرة عن دار الكفر واجبة إجماعا حيث حمل على معصية أو ترك أو طلبها الإمام بقوته لسلطانه وقد ذهب جعفر بن مبشر وبعض الهادوية إلى وجوب الهجرة عن دار الفسق قياسا على دار الكفر وهو قياس مع الفارق والحق عدم وجوبها من دار الفسق لأنها دار إسلام وإلحاق دار الإسلام بدار الكفر بمجرد وقوع المعاصي فيها على وجه الظهور ليس بمناسب لعلم الرواية ولا لعلم الدراية . وللفقهاء في تفاصيل الدور والأعذار المسوغة لترك الهجرة مباحث ليس هذا محل بسطها ." (١)

"١٦٦٧ - (إن الله تعالى إذا أنزل سطواته) جمع سطوة (١) قهره وشدة بطشه وفي رواية ابن حبان سطوته بالإفراد (على أهل نقمته) أي المستوجبين لها (فوافت آجال قوم صالحين فأهلكوا بهلاكهم ثم يبعثون على) حسب (نياتهم وأعمالهم) -[٢٠٢]- أي بعث كل واحد منهم على حسب أعماله من خير وشر فإن كانت نيته وعمله صالحة فعقباه صالحة وإلا فسيئة فذلك العذاب طهرة للصالح ونقمة على الفاسق فالصالح ترفع درجاته والطالح تسفل دركاته فلا يلزم من الاشتراك في الموت الاشتراك في الثواب والعقاب بل يجازى كل واحد بعمله على حسب نيته ومن الحكم العدل أن أعمالهم الصالحة إنما يجازون عليها في الآخرة أما في الدنيا فمهما أصابهم من بلاء فهو تكفير لما قدموه من عمل سيء والنقمة عقوبة المجرم والفعل من نقم بالفتح والكسر ذكره القاضي وذهب ابن أبي جمرة إلى أن الذين يقع لهم ذلك بسبب سكوتهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اه. وذهب بعضهم إلى التعميم تمسكا بآية ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ وأخذ منه مشروعية الهرب من الكفار والظلمة لأن

---

(١) نيل الأوطار، ٨/١٢٥

الإقامة معهم من إلقاء النفس في التهلكة

(هب عن عائشة) وهو صحيح ورواه عنها أيضا ابن حبان في صحيحه بلفظ إن الله إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون قبضوا معهم ثم بعثوا على نياتهم وأعمالهم

---

(١) يقال سطا عليه يسطو سطوا قهره وأذله وهو البطش بشدة اه." (١)

"وفي «السنن الأربعة» من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعذاب))، وكذا رواه ابن حبان وصححه: فكان العذاب المرسل في الدنيا على الذين ظلموا يتناول من كان معهم ولم ينكر عليهم، فكان ذلك جزاء لهم على مداهنتهم، ثم يوم القيامة يبعث كل منهم فيجازى بعمله، فأما من أمر ونهى فلا يرسل الله عليهم العذاب بل يدفع الله بهم العذاب، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ [القصص: ٥٩] ويدل على التعميم لمن لم ينه عن المنكر وإن كان لا يتعاطاه قوله: ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠].

ويستفاد منه مشروعية الهرب من الظلمة؛ لأن الإقامة معهم من إلقاء النفس إلى التهلكة، وفيه تحذير وتخويف عظيم لمن سكت عن النهي، فكيف بمن داهن، فكيف بمن رضي، فكيف بمن عاون نسأل الله السلامة.

وأخرج البيهقي من طريق الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا: ((إذا ظهر الشر في الأرض أنزل الله بأسه فيهم، قيل: يا رسول الله، وفيهم أهل طاعته، قال: نعم ثم يبعثون إلى رحمة الله تعالى)).

وفي حديث زينب بنت جحش قالت: ((أنهلك وفينا الصالحون قال: ((نعم إذا كثر الخبث)) فيكون إهلاك الجميع عند ظهور المنكر والإعلان بالمعاصي، وأخرج مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا: ((العجب أن ناسا من أمتي يؤمون هذا البيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، فقلنا: يا رسول الله، إن الطريق قد يجمع الناس، فقال: نعم فيهم المستنصر والمجبور وابن السبيل، يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم)). ومن حديث أم سلمة رضي الله عنها مثله، ولفظه: ((فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارها؟ قال: يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيمة على نيته))، ومن

---

(١) فيض القدير المناوي ٢/٢٠١

حديث جابر رضي الله عنه رفعه: ((يبعث

[ج ٢٩ ص ٤٣٩]

كل عبد على ما مات عليه))..." [١]

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٤٣٢٧